شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي –حفظه الله-

الشريط الأول

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي التميمي –رحمه الله تعالى–:

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 56].

وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} [الإسراء: 24]

وقوله: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}، وقوله: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [الأنعام: 153]

قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} – إلى قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم؛ قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا؛ قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشِّرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

الشيخ: ما شاء الله، طيب تعيد جملة جملة.

الطالب: قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–: كتاب التوحيد وقول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

الشيخ:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوله: "كتاب التوحيد": الكتاب في اللغة: الضم والجمع، وفي الاصطلاح: اسم لجملة من العلم يشتمل غالبًا على أبواب وفصول ومسائل، والتوحيد في اللغة: مصدر وحد ويوحد توحيدًا؛ أي: أفرد ربه بالعبادة، والتوحيد في الاصطلاح أو لسان الشرع: هو إفراد الله تعالى بالعبادة بكل عبادة مالية أو بدنيه أو هما معًا، وهو الإقرار بربوبيته والإيمان بحق بأسمائه وصفاته، وأنواعه ثلاثة: وهذا الحصر بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة أن أنواع التوحيد ثلاثة:

توحيد الربوبية وتعريفه: هو الإقرار بأن الله -تبارك وتعالى- خالق كل شيء ومدبر جميع الأمور والمتصرف بالكون بما يشاء ويريد؛ بالنفع والضر والإحياء والإماتة والخلق والرزق؛ لأنه رب العالمين ورب كل شيء، وهذا النوع من أنواع التوحيد توحيد الربوبية أقر به كفار قريش؛ أي أن الله -تبارك وتعالى- هو الخالق الرازق وأنه المحيي المميت، ولكنهم لم يقروا بتوحيد الألوهية والأسماء والصفات؛ فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، الله -عز وجل- أخبر عنهم أنهم أقروا بروبيته؛ قال الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: 87]، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت: 61] غير أنه لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم لم يوحدوا الله في عبادته.

والنوع الثاني: **توحيد الألوهية** ويُقال الإلهية: وهو إفراد الله -تبارك وتعالى- بجميع العبادة التي يجب أن تصرف لله ولا يجوز أن تصرف لأحد سواه ومنها الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والخوف والخشية والإنابة والرجاء والتوكل وغيرها من أنواع العبادات؛ التي لا يجوز صرفها لغير الله -تبارك وتعالى-.

والنوع الثالث: **توحيد الأسماء والصفات** الواردة؛ أي أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وتحقيق التوحيد فيها الإيمان الحق ظاهرًا وباطنًا بأن لله الأسماء الحسنى

والصفات العلى على الوجه اللائق بعظمته وجلاله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

وهذه الأنواع الثلاثة نوع منها يسمى توحيد القصد والطلب، ونوع يسمى توحيد المعرفة والإثبات؛ فتوحيد القصد والطلب: هو توحيد الألوهية؛ أي أنه مطلوب من العباد أن يتوجهوا إلى الله بعباداتهم وأن يقصدوا بها وجه الله -تبارك وتعالى- مخلصين له الدين.

والمعرفة والإثبات يتناول توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، توحيد الربوبية؛ أي إثبات ربوبية الله -تبارك وتعالى- ومعرفته حق المعرفة؛ أن تعرف ربك بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من المسخرات بإذن الله -تبارك وتعالى- ومن مخلوقاته السموات والأرض وما بينهما والعوالم عالم الملائكة وعالم الإنس والجن وعالم الشياطين وعالم الطير وعالم الوحش؛ كل ذلك دليل على قدرة الله -تبارك وتعالى- وأننا نعرف ربنا بهذه المخلوقات وبغيرها مما أنبأنا الله -تبارك وتعالى- به عن نفسه في نصوص الكتاب والسنة.

وبَيْن توحيد القصد والطلب وتوحيد المعرفة والإثبات بينهما تلازم، ومعنى التلازم بينهما: أن توحيد القصد والطلب يتضمن توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد المعرفة والإثبات يستلزم توحيد الطلب؛ أي أن توحيد الربوبية والأسماء والصفات يستلزم توحيد الألوهية وأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات؛ أظن هذا واضح.

ثم بيَّن المؤلف -رحمه الله- التوحيد بأدلته؛ فبدأ بالآيات ثم بالأحاديث، وهذا من حسن الأدب في الاستدلال أن يبدأ بالآيات القرآنية ثم بالأحاديث النبوية ثم بالآثار الواردة عن الصحابة الكرام أو التابعين مما له علاقة بالنصوص غير أنه إن لم يحصل من المستدل هذا الترتيب؛ فلا حرج عليه؛ كأن يكون قدم الأحاديث وذكر وجاء بالآيات لا يضر ذلك، ولا يعتبر قدحًا في حقه ولا إثم عليه؛ لكن الترتيب أفضل سواء في التأليف أو في الخطابة أو في الاستدلال للأحكام أو نحو ذلك.

المتن:

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]

الشيخ : هذه أول آيه

الطالب: قال: وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذريات:56]

الشيخ:

نعم هذه أول آية استدل بها المؤلف -رحمه الله- على وجوب توحيد الله -تبارك وتعالى- فجاء بقوله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ}؛ يقول الله -عز وجل- الخالق الرازق: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} حصر وقصر بيان للحكمة البالغة من خلق الإنس والجن ألا وهي: عبادته وحده دون سواه؛ وما هي العبادة؟

عرفها الإمام ابن تيمية -رحمه الله- بتعريف جامع في رسالة العبودية وهي قوله: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة" وهو تعريف لا يخرج عنه شيء من أنواع العبادات؛ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من المفروضات الواجبات والمستحبات وكل ما يتقرب به إلى الله -تبارك وتعالى- من الأقوال الطيبة؛ وعلى رأسها قراءة القرآن عبادة فاضلة، والذكر على اختلاف أنواعه من تسبيح لله وتحميد وتهليل وتكبير وتوبة واستغفار؛ ذكر بالقلب واللسان وأفعال على اختلاف أنواعها؛ من صلوات وصوم وطلب للعلم وحج وعمرة وجهاد وغير ذلك؛ حتى ما يعمله الإنسان لقضاء حاجته الدنيوية بحسن النية يكون عبادة لله -تبارك وتعالى-؛ إذا نوى به الاستعانة على طاعة الله؛ سواء كان حرَّاثًا أو صاحب بيع وشراء أو في عمل وظيفي أو صَنَّاع على اختلاف أنواع الصناعات؛ يحتسب بقلبه لأنه يريد أن يكف وجهه وأن ينفق على نفسه وينفق على من يعول، وإن جمعت له الأموال أدى حق الله منها له أجر عظيم في هذه الأعمال.

إذًا فالعبادة؛ كما قال ابن تيمية: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة" الظاهرة التي يراها الناس كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها، والباطنة من الأعمال الباطنة كالتوكل على الله والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة هذه

أعمال من الأعمال الباطنة، وكلها عند الله -عز وجل- من الأعمال التي يثيب أصحابها؛ قال تعالى: {مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات: 57]؛ أي: ما خلقهم ليرزقوا أنفسهم أو يرزقوا غيرهم ولا يطعموا أنفسهم أو يطعموا غيرهم ولكنه خلقهم لغاية مجيده وعمل جليل ألا وهي عبادته وحده دون ما سواه نعم .

المتن:

قال: وقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]

الشرح:

هذه الآية الكريمة فيها بيان أن الله -عز وجل- أرسل لجميع أمم الأرض، وأمم أهل الأرض كما ثبت في السنن سبعون أمة؛ كما في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله -تبارك وتعالى-)) وهذه الأمم ما من أمة إلا وأتى لها نذير إما رسول مرسل أو نبي من الأنبياء وإما وارث من ورثة الرسل والأنبياء وهم العلماء؛ لذا رفع الله -عز وجل- قدر العلم والعلماء؛ لأنهم ورثة الرسل والأنبياء، والرسل والأنبياء تلقوا العلم من الله -جل جلاله-؛ لذا عَظُمَ قدر العلماء العاملين بعلمهم، المتميزين عن جُهَّال الناس وسفهائهم والقائمين بما قام به رسل الله الكرام وأنبياءه العظام بقدر استطاعتهم، وفي الحديث: ((إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر)) وفي أحاديث كثيرة بيَّن فيها النبي صلى الله عليه وسلم قدر العلم وشرف العلماء اللذين بذلوا جهودهم وأخذوا نصيبهم من العلم الذي يرفع الله به العبد درجات عاليات؛ كما قال -وقوله الحق-: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11] وقال سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9] والجواب: لا يستوي العالم بالله وبأمره والجاهل لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، وقال الله -عز وجل-: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد: 19] والجواب: لا الذي يعلم إنما أنزل إلى محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الحق مبصر يبصر الطريق وهو سائر إلى داره دار

الآخرة، وأما الجاهل فهو بمنزلة الأعمى الذي يعيش في أخطار، ولا يذهب هذا العمى إلا بالتفقه بالعلم وأخذ النصيب الوافر من العلم؛ فيصبح مبصرًا، وأعظم شيء يبصر به التوحيد؛ لأن التوحيد هو أصل الدين وهو الذي لا تقبل الأعمال إلا بوجوده لو كان لك ملئُ الأرض ذهبًا وفضة وأنفقتها بدون توحيد؛ ما قبل الله ذلك منك؛ لكن مع التوحيد يقبل الله عز وجل سائر الأعمال إذا لم يمنع من ذلك مانع يأتي به الإنسان؛ فإذًا هو أساس الدين وأصله به تقبل الأعمال وبدونه لا تقبل الأعمال أبدًا، والمراد به أنواع التوحيد الثلاث التي سبق ذكرها، وبقية الأعمال كلها من حقوق التوحيد ومكملات التوحيد كبقية أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان ومعرفة بقية الأحكام كلها حقوق للتوحيد ومكملات للتوحيد. نعم.

المتن:

وقوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} [الإسراء: 24].

الشرح:

وقوله -تبارك وتعالى-: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}؛ القضاء نوعان: قضاء كوني وقضاء شرعي؛ فالقضاء الكوني هو ما كتب في الأزل في اللوح المحفوظ هذا قضاء كوني الكلام في كالإرادة الكونية والمشيئة المتعلقة بالإرادة؛ فما قضاه الله -عز وجل- في الكون لابد أن يقع كما قضاه الله وقدره، والقضاء الشرعي وهو المقصود هنا: {وَقَضَى رَبُّكَ}؛ أي: أمر ووصى شرعًا هو التكاليف هو ما كلف الله -عز وجل- به العباد أمر العباد بأوامر ونهاهم عن مناهي، وهذا يسمى القضاء الشرعي؛ فوجب على العباد أن يمتثلوا الأوامر وأن يجتنبوا المحارم وأن يؤدوا الفرائض وأن يقيموا الواجبات ويتقربوا بما استطاعوا من المستحبات، فهو قضاء شرعي مقتضى هذا القضاء أو مقتضيات هذا القضاء؛ أن لا تعبدوا إلا إياه وجوب العبادة لله وحده دون سواه؛ فمن صرفها لغير الله فقد كفر أو أشرك،

ولما كان حق الوالدين عظيم قرنه الله -تبارك وتعالى- بحقه؛ لأن الحق الأعظم لله -تبارك وتعالى- الخالق الرازق المحيي المميت المتفضل على جميع مخلوقاته؛ له الحق الأعظم، ومن الخلق للوالدين الحق الأعظم لما لهما من الفضل والإحسان على ابنهما ذكرًا كان أو أنثى؛ فكم تقاسي الأم حال الحمل وحال الإرضاع وحال الحضانة ودائمًا وأبدًا الأم معلق قلبها بابنها تريد له الخير وتكره له الشر، والأب الكادح الذي يقوم بشؤون أبنائه ذكورًا وإناثًا، ولا يرضى التقصير في حقهم؛ لعظم شأنهم وصى الله -تبارك وتعالى- بهما، وأن يحسن المولود إليهما إحسانًا متواصلاً في حال الحياة وبعد الممات، وذلك ببرهما والحذر من عقوقهما، ومن أصناف البر: لين الجانب لهما، وحسن الأدب معهما، والقيام بالخدمة التي يحتاجان إليهما من ابنهما بنفس طيبة؛ فهي من أسباب النجاة من عقوبات الله العاجلة والآجلة، وكل ذلك مع التوحيد وبدون التوحيد لا يقبل له عمل [الإنسان]. وفي قصة الثلاثة الذين أواو إلى الغار فانطبقت عليهم صخرة فلم يستطيعوا الخروج؛ فتشاوروا أن يدعوا كل واحد منهم ربه ليفرج عنهم ويتوسل بصالح عمله؛ فدعا أحدهم؛ فقال: "اللهم إنه كان لي أبوان وكنت لا أغبق قبلهما"؛ أي: من اللبن "فذات يومٍ ناء بي الشجر فرجعت وقد ناما فحلبت لهما غبوقهما وكرهت أن أُقظهما والقدح على يدي حتى طلع الفجر والصبية (...) عند قدمي؛ اللهم إن كنت عملت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرج عنا ما نحن فيه" فانفرجت الصخرة نوعًا ما؛ فدعا الثاني والثالث فانفرجت الصخرة بفضل الله ثم بصالح الأعمال التي يقدمها الإنسان مخلص فيها لله -تبارك وتعالى- ومن ذلك بر الوالدين؛ ومن بر الوالدين: التعليم فقد يكون الوالد أو الوالدة في جهل؛ فيبذل الولد الجهل في تعليمهما أمر الدين الذي أوجبه الله على كل مكلف؛ وهذا من أفضل البر وخير الإحسان.

وأما الذي يبغضه الله فهو العقوق في القول والفعل والتمرد على الوالدين ونسيان ما لهما من الحقوق، وهذا -والعياذ بالله- ظلم للنفس وإساءة إليها؛ لأن عقوبة العقوق تعجل في الدنيا قبل الآخرة مع ما ادخر الله للعاق لوالديه من العقوبة في الآخرة .

المتن:

بسم الله والحمد الله و الصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

وقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [النساء: 36].

الشرح:

الآية الكريمة: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [النساء: 36].

في معنى: "لا إله إلا الله"؛{اعْبُدُوا اللَّهَ}؛ بمعنى: إلا الله، {لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}؛ بمعنى: لا إله.

إذاً فالجملة {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: 36] في معنى: "لا إله إلا الله"، والعبادة كما عرفها ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة"؛ قال: "لكل ما يحبه الله ويرضاه"، والأفعال كثيرة منها ما يحبه الله ويرضاه، ومنها ما لا يحبه الله ولا يرضاه؛ فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال؛ الذي قال الله -عز وجل- فيه: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: 10]؛ فكل قول حسن عبادة، وعلى رأسها قراءة القرآن، وكل فعل حسن فهو عبادة وفي مقدمة ذلك إقامة الصلوات وسائر أركان الإسلام والإيمان والإحسان؛ لذا قال

الله -تبارك وتعالى- {وَاعْبُدُوا اللَّهَ}؛ أي: وحدوه؛ فالتوحيد شرط في قبول سائر الأعمال، وبدون التوحيد لا يقبل عمل من عامل لا صلاة ولا صدقة ولا صوم ولا حج إلى غير ذلك؛ لا تقبل إلا إذا كان العبد موحدًا سليمًا من الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الإعتقادي والإلحاد المخرج من الملة؛ عند إذًا إذا سلم من هذه الأفعال والأعمال السيئة؛ قُبِلَ عمله، قُبِلَتْ الأعمال لوجود التوحيد لله -تبارك وتعالى- وهو أساس الدين وأساس العبادة، وأكد الله -تبارك وتعالى- الأمر بعبادته وحده أكده بالنهي عن الشرك: {وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} من الأشياء كالأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله، {وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}؛ أي: رياءً وسمعة؛ بل يجب أن يكون العمل خالصًا لله تعالى؛ لذا عرف بالاستقراء أن لقبول العمل شرطين: الشرط الأول: الصواب، والشرط الثاني: الإخلاص؛ فإذا توفر الشرطان قُبِلَ العمل؛ الصواب والإخلاص.

والصواب أن يكون العمل على وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، والإخلاص أن يكون القصد من العمل القصد به وجه الله و الدار الآخرة.

والشرك ضد التوحيد، وهو نوعان: أكبر وأصغر والفرق بينهما أن الشرك الأكبر مخرج من ملة الإسلام إن كان صاحبه قبله مسلمًا كالردة، والأصغر لا يخرج من الملة وإنما هو أكبر من الكبائر، والخلاف فيه هل يغفر لصاحب الكبار أم أنه لابد أن يعذب بقدر ما وقع من الشرك؟ فالذي دلت عليه الأدلة أن الشرك الأصغر مثل الكبائر من حيث كونه تحت المشيئة الإلهية؛ فهو تحت المشيئة الإلهية إن شاء الله غفر لصاحبه -مع أنه مستحق للعذاب- وإن شاء الله عذبه بقدر ما جنى من الشرك الأصغر ومآله الجنة، ولما رتب العلماء الذنوب والمعاصي؛ قالوا: أعلاها الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الإعتقادي والإلحاد المخرج من الملة وهو داخل في الشرك أو الكفر؛ ثم الشرك الأصغر يليه في القدر الشرك الأصغر وهو دون الشرك الأكبر.

ثالثًا: البدع القولية والإعتقادية والفعلية قبل الكبائر، رابعًا: الكبائر كبائر الذنوب، خامسًا: الصغائر.

وهو ترتيب مبني على الأدلة من الكتاب والسنة؛ أعظم الذنوب على الإطلاق الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الإعتقادي، يليه في العِظَمِ والخطر: الشرك الأصغر، يلي الشرك الأصغر: البدع المضلة، يلي البدع: كبائر الذنوب، يلي الكبائر: الصغائر.

والسعيد من نجا من هذه المعاصي كبائرها وصغائرها، ومن وقع في الصغائر أهون من الذي يقع في الكبائر، وهكذا بقية المعاصي والذنوب.

والشرك نوعان: شركًا أكبر مخرج من الملة وشرك أصغر لا يخرج من الملة، ولكن صاحبه على خطر؛ لأنه أشرك بالله، وقد قال الله -تبارك وتعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48].

ومن العلماء من عد الشرك ثلاثة أنواع: أكبر وأصغر وخفي؛ أي: شرك خفي، والصحيح أن الشرك الخفي يتناول النوعين يتناول الشرك الأكبر ويتناول الشرك الأصغر فقد يكون الأكبر خفيًّا، وقد يكون الأصغر كذلك خفيًّا، والشاهد من الآية: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}؛ أي وحدوه وأفردوه بالعبادة وحده دون سواه ولا تشركوا معه أحد من مخلوقاته. نعم.

المتن:

وقوله: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} [الأنعام:151] الآيات.

الشرح:

الشاهد في الآية: {أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}؛ أي: أفردوه بكل عبادة مالية أو بدنية أو هما معًا وحده دون سواه، ولا تجعلوا لله شريكًا في العبادة؛ فإن الله -تبارك وتعالى- لا شريك له في عبادته كما ليس له شريك في ملكه وخلقه ورزقه وجميع التصرفات التي لا يملكها إلا الخالق —سبحانه-، وقد جاء في الآيات الثلاثة من سورة الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} ثم ابتدئها بأعظم الذنوب {أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} لا قليلاً ولا كثيرًا لا كبيرًا ولا صغيرًا ثم ذكر عشرة من الأوامر والنواهي في ثلاث آيات؛ حتى قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه؛ فليقرأ

قول الله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إلى قوله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153] فهي عشر وصايا جامعه لأصول الدين وحقوقه ومكملاته بما يتعلق بحق الله -عز وجل- وفيما يتعلق بحق الغير، فكأنه قال لو أن الرسول عليه الصلاة والسلام وصى؛ لوصى بهذه الوصايا العشر؛ التي هي جامعه لأصول الدين وحقوقه ومكملاته، وعلى رأسها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك. نعم .

المتن:

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} - إلى قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} الآية.

الشرح:

فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بالقول والفعل؛ فجاء عن ابن مسعود أن الرسول صلى الله وسلم قرأ عليه هذه الآية: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً}؛ أي: الدين دين الإسلام فخط خطًا طويلاً مستقيمًا؛ وقال: "هذا سبيل الله"، وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، وقال: "هذه خطوط على كل خط شيطان يدعوا إليه فمن أجابه قذفوه في النار"؛ فالمقصود: أن الصراط المستقيم أمر الله -عز وجل- بسلوكه ودعا الناس إلى أن يطلبوا الهداية إليه هو الطريق الصحيح الموصل إلى رضا الله (...) جنته وما فيها من النعيم المقيم؛ فمن خرج عنه وانحرف عن الصراط المستقيم؛ وقع في المهالك إما في الشرك الأكبر وإما في الشرك الأصغر وإما في البدع المضلة وإما في كبائر الذنوب إلى غير ذلك مما لا يرضي الله -عز وجل- ولا يسلم صاحبه من العقوبات إلا من شاء الله -تبارك وتعالى- من خلقه. نعم.

المتن:

وعن معاذ بن جبل –رضي الله عنه– قال: "كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار؛ فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم؛ قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا؛ قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشِّرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

الشرح:

هذا الحديث الذي خُتِمَ به الباب فيه ذكر جمع من الفوائد؛

أولاً: في بيان تواضع النبي صلى الله عليه وسلم كما دلت الآيات والأحاديث على ذلك حيث أردف صاحبه معه على الحمار.

ثانيًا: فيه بيان جواز الإرداف على الدابة المطيقة لذلك؛ أن يركب اثنان إذا كانت تطيق ذلك.

ثالثًا: فيه مشروعية طرح العالم المسائل العلمية على طلابه سواء فرادى أو جماعات؛ ليحصل الاهتمام بالمسائل التي تطرح.

رابعًا: فيه رد العلم إلى الله وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام أيام حياته لمن لا يعلم؛ فيقول: "الله أعلم أو يقول الله ورسوله أعلم"، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الرجوع إلى الكتاب وإلي السنة، والبحث فيهما عن مسائل العلم فما شيء يخفى على المرء إلا وهو موجود ومُبيَّن في القرآن الكريم أو السنة المطهرة؛ لأن الله عز وجل قال عن القرآن { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}، وقال في السنة: ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)) وقال فيهما جميعًا: ((إن تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي)).

خامسًا: بيان أنَّ الله –تبارك وتعالى– له الحق على مخلوقاته جميعًا كل بحسب حاله، ومنهم عالم الإنس والجن؛ لله الحق عليهم أن يفردوه بالعبادة وحده دون سواه، ولا يشركوا معه أحد من مخلوقاته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من كان دونهم من الصالحين، وما كان دون ذلك مما كان يُعبد من دون الله؛ الأشجار والأحجار (..) والأوثان إلى غير ذلك؛ فهذا حق الله –تبارك وتعالى– على العباد أن يوحدوه ولا يجعلوا معه شريكًا في

العبادة التي هي أنواع متعددة؛ كما أنه ليس له شريك في خلق المخلوقات ولا في رزق المخلوقات ولا في حفظهم وإحيائهم وإماتتهم؛ لا يجوز أن يجعلوا له شريكًا في العبادة؛ فهو الخلاق العليم وهو المتفضل عليهم، وهو الآمر لهم أن يعبدوه وحده دون ما سواه؛ فوجب امتثال أمره واجتناب نهيه؛ هذا حق أحقه الله وأعلنه في القرآن الكريم؛ أن يعبدوه؛ أي: يوحدوه؛ بل يعبدوه بما تحمل كلمة العبادة من معنى كما سبق معنا، ولا يشركوا به شيئًا أبدًا؛ ثم قال: "وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا" وهذا الحق أوجبه الله -عز وجل- على نفسه تكرمًا وتفضلاً على مخلوقاته ولم يوجبه أحد من الخلق ؛كما تقوله الفرق المبتدعة كالمعتزلة؛ إن الله يجب عليه الأصلح! هؤلاء من أجهل الناس بحق الله -تبارك وتعالى- وقدره ما قدروه حق قدره؛ فقالوا: إنه يجب عليه فعل الأصلح للناس! وأهل السنة والجماعة يقولون في هذا الحديث: إن الله أوجب على نفسه تفضلاً وتكرمًا ألا يعذب من لا يُشرك به شيئًا؛ أي: لا يعذبه كما يعذب الكفار الذين لهم الخلود في نار جهنم، وقد يعذب من يعذب من المسلمين من أهل الكبائر ومن أهل البدع ومن أهل الشرك الأصغر يعذبهم، ولكن بنار غير نار الكفار، وفي طبقة غير طبقات الكفار -والعياذ بالله-، فهناك طبقة في النار أعلى الطبقات؛ هي: عقوبة الموحدين ممن يعذبهم الله -تبارك وتعالى- يعاقبهم فيها في هذه الطبقة، وليس في النار شيء هين ولكن عذابه يتفاوت، يتفاوت من حيث العظم والزمن؛ فطبقة كبرى لعصاة الموحدين اللذين استحقوا العذاب وأرادوا الله تعذيبهم يعذبهم فيها لا يعذبهم بنار المشركين التي يخلدون فيها دائمًا وأبدًا؛ لذا جاء في حديث الشفاعة ما تعلمونه من أن الله -عز وجل- يأذن للشافعين [في] عصاة الموحدين أن يشفعوا؛ فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم إعتاق الموحدين؛ كما في قوله عليه الصلاة والسلام: ((جعلت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))؛ يشفع فيهم فيشفعه الله، وتشفع الملائكة فيشفعهم الله، ويشفع الصالحون بعضهم مع بعض فيشفعهم الله، ويناشدون الله -تبارك وتعالى-؛ أي: يطلبونه بإلحاح أن يخرج إخوانهم الذين كانوا يصلون معهم ويصومون معهم ويجاهدون معهم من النار؛ فيقول الله -سبحانه-: ((اذهبوا فأخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان)) فلا يبقى في النار إلا من [حبسه القرآن] وهم أهل الخلود، وأما عصاة الموحدين فلا يبقى في النار أحد، والقصة مشهورة

وصحيحة بأنهم يوضعون في نهر الحياة على أفواه الجنة ويرش عليهم من ماء الجنة وينبتون نباتًا ويعيد الله أرواحهم إلى أجسادهم؛ فيدخلون الجنة فيرون أنهم لم يعطى أحد مثل ما أعطوا، وهذا عظم فضل الله -تبارك وتعالى- وسعة رحمته التي وسعت كل شيء؛ إذًا فهذا الحق الذي أحقه على نفسه ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا؛ أي: كما يعذب الكفار والمنافقين الخالدين المخلدين في النار، ولكن من أراد الله أن يعذبه وهو أحكم الحاكمين من عصاة الموحدين؛ ففي طبقة النار العليا لمدة معلومة علمها الله وقدرها الذي لا تخفى عليه خافيه ثم يكون مآلهم إلى الجنة؛ لأنهم ليسوا كالمشركين الذين عاشوا على الشرك وماتوا على الشرك الأكبر، ولا كالكفار الذين عاشوا على الكفر وماتوا على الكفر -والعياذ بالله- وفي جانب هذا حرم الله على نفسه الظلم؛ كما في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا" فنزه نفسه عن الظلم وعن إرادة الظلم {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ} [آل عمران: 108] فإذا نزه نفسه عن إرادة الظلم؛ فهو عن الظلم أبعد فلا يظلم الله أحدًا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [يونس: 44]

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 40] وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المتن:

بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82]

عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: "فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله".

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به؛ قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله; قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا؛ قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله". رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذي وحسنه عن أنس —رضي الله عنه-: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة".

الشيخ: أقرأ جملة جملة.

الطالب: قال -رحمه الله-: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله- باب: فضل التوحيد، الباب في اللغة: ما يدخل منه ويخرج، وفي الاصطلاح: اسم لجملة من العلم يشتمل على فصول ومسائل غالبًا، وهذا الباب معقود لبيان فضل التوحيد؛ أي: الفضل الذي يناله الموحدون، الفضل الذي يترتب على تحقيق

التوحيد؛ قال: وما يكفر من الذنوب؛ أي: التوحيد وما يكفره من الذنوب، وتكفير الذنوب من فضل التوحيد، والأمن التام في الدنيا و البرزخ و الآخرة من فضل التوحيد، والهداية للعبد هداية التوفيق والصلاح من فضائل التوحيد؛ أي: لا يعطى من هذه الخصال الثلاث إلا من كان موحدًا؛ وهي: تكفير الذنوب والأمن التام والاهتداء التام، والموحدون يتفاوتون في التوحيد وبتفاوتهم في التوحيد يتفاوتون في فضل التوحيد، يتفاوتون في فضل الذي يناله الموحدون، وأقوى الناس توحيدًا وأتمهم معرفة بالتوحيد وأحسنهم تطبيقًا لمسائل التوحيد وقضاياه؛ يكون له الأمن التام وتكفير الذنوب التكفير الكامل والاهتداء التام، وكلٌ يأخذ بحصته وربك واسع المغفرة يزيد عباده من فضله؛ لذا جاء المؤلف –رحمه الله– بالدليل على فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب بآية الأنعام هذه: {الَّذِينَ آمَنُوا} الموصول من أداة العموم يشمل كل مؤمن ومؤمنة من أولى الأمم وأخرها {الَّذِينَ آمَنُوا}؛ أي: صدقوا بما يجب التصديق به بقلوبهم {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، والمراد بالظلم هنا: الشرك، وأعظمه وأشده: الشرك الأكبر؛ آمنوا: صدقوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} هذا بشرك؛ ماذا يترتب على الإيمان والبراءة من الشرك؟ الأمن التام والاهتداء التام {لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}؛ فهنيئًا للموحدين الذين حققوا التوحيد وتبرؤا من الشرك والمشركين، وكل طاعة تزيد في توحيد العبد وكل معصية تنقص من التوحيد، وكلما ازداد الإنسان من الطاعات؛ ازداد له الأمن والاهتداء، وكلما نقص بسبب التقصير أو بسبب ارتكاب المآثم؛ نقص الأمن والاهتداء وهذا هو العدل الذي يجب أن يوصف به الرب الكريم "إن الله يأمر بالعدل والإحسان". نعم.

المتن:

عن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه.

الشرح:

وهذا نص صريح على بيان فضل التوحيد؛ لأن شهادة أن لا إله إلا الله هي التوحيد أساس التوحيد وأصله، من شهد أن لا إلا الله عالمإ بمعناها وعاملاً بمقتضاها، مستيقنًا بها قلبه عاملاً بمقتضاها بجوارحه مستوفيًا لشروطها؛ نال فضل التوحيد شهد أن "لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" الجمع بين الشهادتين ركن واحد؛ أول ركن من أركان الإسلام، وبدون هذا الركن لا يُقبَل أي عمل من الأعمال، لا قول ولا فعل لا ظاهر ولا باطن؛ حتى يشهد العبد أن "لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله".

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لشهادة أن "لا إله إلا الله" أركانًا وشروطًا وحقوقًا ومكملات؛ ذكروها بالتتبع والاستقراء.

فمن شروط "لا إله إلا الله": العلم بمعناها، ومعناها: النفي والإثبات، وهما ركنا "لا إله إلا الله" النفي والإثبات؛ النفي المعروف من قولك: "لا إله"، والإثبات من قولك: "إلا الله"؛ إذًا فالعلم بمعناها والعمل بمقتضاها شرط من شروط "لا إله إلا الله"، وقبولها من الناطق بها؛ بالإضافة إلى بقية الشروط؛ اليقين: أن يقولها وهو مستيقن بها قلبه غير شاك ولا متردد، وهذا لا يتم له إلا بمعرفة معناها "لا إله"؛ أي: لا معبود حقًّا إلا الله وحده لا شريك له، لا معبود حق إلا الله، والقبول؛ أي: أن يقبل ما دلت عليه لا إله إلا الله من المعاني، والانقياد: أن يكون منقادًا لما دلت عليه من المعنى؛ من معنى النفي والإثبات؛ نفي الألوهية عمن سوى الله وإثبات الألوهية لله دون سواه؛ والإخلاص: أن يكون مخلصًا في قول "لا إله إلا الله" غير شاك وغير مكذب، وأن يكون صادقًا لا يكون كاذبًا كما كان المنافقون يقولون "لا إله إلا الله" وهم كاذبون، والمحبة؛ أي: أن يحب هذه الكلمة التي هي العروة الوثقى وكلمة الإخلاص وكلمة التقوى أن يحبها ويحب من أنزلها القائل سبحانه: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: 19] ويحب من بلغها وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين فضلها وقدرها، ويحب من اتبعها من آمن بها واعتز بها وجاهد في سبيل إعلائها بالقول أو بالفعل أو بالتعليم أو نحو ذلك، وبعضهم زاد شرطًا ثامنًا هذه سبعة شروط، وزاد البعض شرطًا ثامنًا وهو: الكفر بما يعبد من دون الله -عز وجل-، وهذا معنى البراءة الكفر أن يتبرأ المسلم من عقيدة الكفار ومما يعبدون، ويتولى عباد الله المؤمنين، وشهادة أن محمدًا رسول الله كذلك لها شروط ذكرها العلماء وعلى رأسها: الإيمان برسالته

عليه الصلاة والسلام، الإيمان برسالته وأنه رسول الله حقًا، وأنه خاتم المرسلين وإمامهم وأفضل خلق الله أجمعين، وأنه الصادق المصدوق؛ فيؤمن برسالته التي خُتِمت بها الرسالات فلا نبي بعده، وهكذا: محبته وجود محبته عليه الصلاة والسلام محبة شرعية لا غلو فيها ولا جفاء؛ أهل الجفاء أعداء الدين وأعداء رب العالمين وأعداء المرسلين، ومنها: تقديم قوله على قول كل أحد من البشر، ومنها: تصديقه في كل ما أخبر به من الأخبار الماضية ومن الأخبار المستقبلة مما جاء به الكتاب والسنة فكم قص القرآن العظيم علينا من الأخبار التي من غابر الأزمان قصص الرسل والأنبياء، وما جرى من الرسل وقومهم، وبين رجال صالحين مع مجتمعاتهم وهكذا السنة جاءت بما جاء به القرآن الكريم، ومنها: اجتناب كل ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم وزجر؛ فلابد من الوفاء بشروط هاتين الشهادتين شهادة "أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله" وهذا أصل الدين وقاعدته.

"وشهد أن عيسى عبد الله ورسوله" كل مسلم ومسلمة يشهدون أن عيسى الذي جاء ذكره في القرآن والسنة؛ عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، كل هذه جاء بها القرآن الكريم، وفيها رد صريح على اليهود والنصارى بالدرجة الأولى بين الغلاة والجفاة؛ أما اليهود فأهل جفاء فيه رموا أمه بالزنا، وأما النصارى فإنهم غلو في عيسى؛ فقالوا تارة هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلاثة؛ فأكذبهم الله -تبارك وتعالى-: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ} وفي قوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} هنا يقف القارئ {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} وقف لازم؛ ثم يبدأ {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} سبحانه؛ أما المسلمون أجمعون يشهدون أن عيسى عبد الله ليس ابن لله، ولا هو الله ولا ثالث ثلاثة؛ وإنما هو عبد الله ورسوله أرسله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه كتاب فيه هدى ونور؛ وهو الإنجيل وأمره ببيان التوراة وما فيها من الأحكام (ولبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) يقول لأمته: {وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الزخرف: 63] بيَّن لهم ما أشكل في التوراة، وبيَّن لهم ما أنزله الله عليه في الإنجيل؛ فهو عبد الله ورسوله وكلمته وهي قوله -تبارك وتعالى-: "كن"؛ فكان كما قال -عز وجل-: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ} آدم خلقه الله من تراب وهذا [لفظ] أمر الله به جبريل عليه السلام أن ينفخ في درع مريم وهي الفتحة

التي في أعلى الثوب فوصلت إلى فرجها فتكونت بشرًا سويًّا فحملت به، والقصة مذكورة في كثير من سور القرآن؛ لأهميتها وعظم شأنها ودلالتها على كمال قدرة الله -تبارك وتعالى- الذي إذا أراد شيء قال له: "كن"؛ فيكون، ومن شهد أن الجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان؛ الجنة لأولياء الله الصالحين وحزبه المفلحين، والنار لأعداء الله من عالم الإنس والجن والشياطين، وأنها حق كلاهما موجودة؛ فالمؤمنون يشهدون بذلك؛ ذكر الله الجنة ونعوتها وصفات أهلها في جمل متعددة من سور القرآن الكريم؛ لتكون أمة القرآن راغبة فيما أعد الله -تبارك وتعالى- لها من جواره سبحانه ومن خلودهم في دار كرامته؛ كما ذكر النار وأوصافها وما هي عليه من الصفات التي تقشعر منها الجلود؛ تحذيرًا من أسباب الدخول فيها من الأقوال السيئة والأفعال القبيحة والإجرام.

وأمة القرآن تكون راغبة وراهبة، ومن خير طرق الوعظ والإرشاد أن يجمع الإنسان بين الترغيب والترهيب؛ كما هي طريقة القرآن؛ إذا ذكر الله الجنة ونعوتها ونعوت أهلها والأعمال التي صارت سببًا في دخولها؛ وإلا دخول الجنة بمحض رحمة الله وكرمه وإحسانه، واقتسام منازلها بصالح الأعمال، إذا ذكر الجنة ونعوتها؛ ذكر النار وصفاتها؛ ليظل المؤمنون راغبين وراهبين مما يحملهم على عمل الصالحات وترك المنكرات، والرغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والنعيم المقيم، ورضا رب العالمين.

"وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"؛ أي: من حقق التوحيد صار موحدًا؛ جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، بينما أحبه ورضيه ونجاه مما يكره في الدنيا والآخرة، "أدخله الله على ما كان من العمل"؛ يعني: وإن كان مقصرًا وإن كان عمله الصالح قليلاً؛ إلا أنه لا يحرم من الجنة إما أن يدخله ابتداء بدون أن تمسه النار، وإما أن يدخلها بعد أن يعذب إن استحق العذاب بقدر جريمته؛ ثم يكون مآله إلى الجنة؛ بتكفير الله -عز وجل- لسيئاته والله أعلم.

شرح فضيلة الشيخ:

الشريط الثالث

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

قال: "ثم أدعهم إلي التحول من دارهم إلي دار المهاجرين .."

الشرح:

هذا كما أسلفنا أنه قبل الفتح.

المتن:

قال: "وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين"

الشرح:

يعني إذا تحولوا إلي المهاجرين؛ فلهم من الأحكام ما للمهاجرين، وعليهم من الأحكام ما على المهاجرين.

المتن:

"فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين"

الشرح:

يعني قبل الإسلام ولم يقبلوا التحول؛ فإنهم يكونون كأعراب المسلمين؛ أي: ليسوا كالمهاجرين؛ فليس لهم من الغنيمة شيء، وليس لهم من أحكام المهاجرين شيء.

المتن:

"يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين؛ فإن هم أبوا فاسألهم الجزية"

الشرح:

نعم. إذا أبوا من الدخول في الإسلام؛ فهذه الذي ينبني عليها ما بعدها؛ إذا أبوا أن يدخلوا في الإسلام؛ فلا يخلوا: إما أن يكونوا أهل كتاب، أو في حكم أهل الكتاب، أو يكونوا كفار وثنيين.

فإذا كانوا من أهل الكتاب، أو المجوس الذي قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب).

إذا كانوا من أهل كتاب طُلِب منهم الدخول في الإسلام فإذا أبوا طُلبت منهم الجزية، ويقدرها الإمام الوالي المسلم؛ فإن بذلوها أمَّنوهم على أموالهم وعلى دمائهم، وإن لم يبذلوا أبو أن يدفعوا الجزية؛ فإنهم يُقاتلون، بخلاف عباد الأوثان الوثنيون العرب؛ فإنهم يطلب الدخول في الإسلام فإن أبوا قُتلوا، ولم تطلب منهم الجزية كأهل الكتاب.

المتن:

فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

الشرح:

هذا حكم مقرون بعلته وهو: أنهم إذا طلبوا منهم أن ينزلوا على حكم؛ فلينزلوا على حكمهم؛ فيحكموا بما آراهم الله -عز وجل- بدون حيف ولا جور، ولكن لا يقول لهم: أنزّلكم على حكم الله أو على حكم الرسول عليه الصلاة والسلام. أعد العبارة

الطالب:

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه.

الشرح:

نعم، يعني لا تقول لهم: لكم عهد الله، لكم عهد الله ولكم ذمة الله، ولكم عهد الرسول ولكم ذمة الرسول؛ لا يجوز؛ لأن ذلك ينافي التعظيم؛ تعظيم الله وتعظيم الرسول؛ لأنك لا تدري ماذا ستصنع معهم؟

ولكن تجعل لهم ذمتك؛ تقول: لكم عهد عليّ ولكم عقد، وبيني وبينكم عقد، ولكم ذمتي أني لا أجور ولا أحيف وإنما أقول الحق، إن أصبت والحمد لله، وإن لم تصب؛ فقد اجتهدت وأخطأت فخطأ معفوٌ عنه. نعم.

المتن:

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنْزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا"

الشرح:

وهذه الأولى أيضًا؛ فيها تعظيمٌ لله، وتعظيم للرسول عليه الصلاة والسلام؛ فإذا حاصرتهم، وحصل الاتفاق أن ينزلوا على حكم بين المسلمين وبينهم؛ فليُنزلهم على حكمه، ولا ينزلهم على حكم الله؛ يقول لهم: لكم حكم الله، أحكم بينكم بحكم الله، ولا يقول: أحكم بينكم بحكم رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ ولكن يقول: احكم باجتهادي؛ فجاء

الحكم معلل؛ لأنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله وحكم رسوله أو لا تصيب؛ فإذا لم تصب وقد قلت: حكم الله؛ اعتديت، أو حكم رسوله؛ يكون اعتداء منك؛ لكن على حكمك وأنت صادق اللهجة ووفي؛ فإن أصبت فلك أجران، وإن أخطأت فلك أجر وخطأك معفوٌ عنك فيه. نعم.

وهذه يعني خطة عسكرية وكفى بها صلاحًا وإصلاحًا؛ لأن الذي رسمها هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وإنما هي بالوحي من الله -تبارك وتعالى- والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان؛ فقال الله: (من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك)" 1 رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد؛ قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته".

الشيخ:

أعد.

الطالب:

قال -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في الإقسام على الله

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب ما جاء في الإقسام على الله

المراد بالإقسام: اليمين، الحلف؛ ومعناه: أن يُقسم على الله -تبارك وتعالى- أن يفعل كذا وكذا، وهو على قسمين: جائز ومحظور؛ بحسب حال المقسم؛ فقد يكون المقسم على الله من أهل الجهل والكبر وعدم التعظيم على الله -تبارك وتعالى- فهذا هو المذموم، وهذا الإقسام هو المحظور؛ لأنه أقسم على الله أن يفعل بفلان كذا، وأقسم أن يعطي فلانًا كذا، وهو متعاظم في نفسه، متصفٌ بصفة الكبر، وهو محتقر للخلق؛ فلا يرى أحدًا يماثله؛ فهذا هو الذي يُذم، وتوعده النبي صلى الله عليه وسلم بهذه العقوبة، من ذا الذي يحلف ويتألى بأني لا أغفر لفلان لكونه فاسقًا أو لكونه قليل العمل، والمتألي يرى نفسه بأنه كثير العمل،

وأنه صاحب فضل وإحسان وله عند الله رفعة ومقام، وفي الحقيقة إذا كان للإنسان رفعة ومقام عند الله –عز وجل– فهو من أهل التذلل لله والخضوع لله –عز وجل– والتعظيم؛ فلا يحكم على الله بأن يفعل بفلانٍ كذا، ويعطي فلانًا كذا، ومن أجل هذا المعنى أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لأن المتألي الذي يتألى على الله، ويفرض حكمه على حكم الله ما ملأ قلبه التوحيد، وليس في قلبه التعظيم الكامل لله –تبارك وتعالى– فكلامه هذا ينافي كمال التوحيد، وقد ينافي أصل التوحيد بحسب النية وبحسب القصد، فإذا تكبر على الله –تبارك وتعالى– وقدم حكمه على حكم الله –عز وجل– كفر، ورأى بأنه حكمه أولى بالتقدير والتعظيم والأخذ به؛ يكفر كفرًا أكبر، وإن جرت هذه اللفظة على لسانه وهو متعظم في نفسه ومحتقر لغيره؛ فقد أتى بما ينافي كمال التوحيد وهذه خسارة عظيمة، وإذا تمادى في ذلك؛ جره إلي ما هو أكبر من ذلك؛ هذا نوع من التألي وهو مذموم ومتوعدٌ عليه بهذا الحديث: ((من الذي يتألى عليّ–أي: يحلف عليَّ– أني لا أغفر لفلان؛ فقد غفرتُ له، وأحبطت عملك)).

يقول الراوي: إن هذه القصة حصلت بين عابد وفاسق؛ فتعاظم العابد نفسه ورأى أنه لا يساويه أحد، ورأى الفاسق مقصر في عمله؛ فحمله ذلك أن يحلف أن الله لا يغفر له، وهو حكم وتجرأ على الله –عز وجل– لأن المغفرة بيده وهو أعلم بحال عباده وبمآلهم، من هو في الجنة ومن هو في النار، من هو السعيد ومن هو الشقي، والأعمال بالخواتيم

فلا يحمل إنسان جهل فلان أو فسقه أن يقول له: والله لا يغفر الله لك؛ بل لا يحدث نفسه بذلك، ولا يتعاظم في نفسه أنه يراه فاسقًا، فبين وقت وآخر ربما يحول الله قلب هذا الفاسق قلبًا حيًّا مخلصًا صالحًا؛ فيتحول عمله إلي عمل صالح؛ فيكون القائل قد أوبق نفسه بأنه حكم على الله أن يفعل به كذا وكذا؛ ولهذا من هدي السلف: أنهم لا يحتقرون العاصي بمعصيته ويتعاظمون عليه أبدًا؛ بل الإنسان دائمًا يحتقر نفسه، ويرى بأنه هو (..) القصور وأن عنده النقص الكثير، وإن رأى في آخر نقص؛ فالواجب التناصح والتذكير والتنبيه والأمر والنهي، ويحفظ لسانه من الكلمات التي تكون سببًا في خسرانه ويسعد بها غيره؛ فذاك الرجل الفاسق؛ سعد بهذه الكلمة التي طلعت من الرجل العابد؛ صارت سببًا في مغفرة الله له، وإصلاح حاله ومآله، وصارت سببًا في شقاء المستعجل؛ الذي استعجل الحكم في شيء لا

يملك الكلام فيه، المغفرة بيد الله، الرحمة بيد الله، التوفيق بيد الله، الأمور كلها في قبضة الله -تبارك وتعالى-، والواجب، فلا يحدث نفسه الإنسان باحتقار فلان، يحتقر الجاهل لجهله والعاصي لمعصيته، وإنما الواجب أن يتهم نفسه هو بالقصور في جنب الله، والقصور في الطاعة، والوقوع في المخالفة، ويخاف على نفسه أشد الخوف، فإذا كان هذا حاله؛ ما احتقر فلانًا ولا استبعده من رحمة الله -تبارك وتعالى- فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء من حال إلي حال بحكمته ورحمته؛ فقد يكون الإنسان صالحًا في ظاهره وباطنه فينزغه الشيطان؛ حتى يتحول من صلاح القلب والعمل إلي فساد القلب وفساد العمل بسبب ما يجنيه هو وقد يكون عكس ذلك، قد يكون مقصرًا وقد يكون فاسقًا بارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة؛ ثم يمنُّ الله عليه بالهداية؛ فيتحول من حال المعصية إلي حال الطاعة؛ فيظفر برضا الله -تبارك وتعالى- وجنته؛ هذا فيما يتعلق بالمقام الأول بموضوع التألي.

ونوع من التألي جائز، ومنشأه وسببه يعني: تعظيم الله -تبارك وتعالى- تعظيم الله ومعرفة حاجة المخلوقات إلي خالقها وبارئها وأنه لا يقضي الحاجة سواه، وأنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه؛ فيلجأ صاحب الحاجة إلي الله -تبارك وتعالى- ويقسم، يقسم بأن الله يقضي حاجته، أقسم عليك بك يا ألله أن تقضي هذه الحاجة، أو تصرف هذا الشر، ويقسم على ذلك يقسم على الله، وهذا الباعث لهذا القسم على الله والتألي هو إظهار الحاجة والفقر، وإظهار التعظيم لله، وأن الخير إن لم يأت به الله، والشر لم يصرفه الله؛ فإنه لا صارف للشر ولا جالب للخير؛ فقلبه مملوء من تعظيم الله، والتذلل والخضوع لله -تبارك وتعالى- فأقسم على الله أن يقضي حاجته، أو يصرف عن السوء والمكروه؛ فيستجيب الله -تبارك وتعالى- له، فيقضي الحاجة ويدفع الشر، ويفك الكربة ويذهب الهم والحزن، وهذا يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من العباد من أقسم على الله لأبره)؛ من العباد الصالحين الخاضعين لله -تبارك وتعالى- المحبين الذين يعرفون قدر أنفسهم ويعرفون قدر الله -تبارك وتعالى- ولا يحتقرون أحدًا من الخلق، لا فاسق ولا جاهل ولا غير ذلك، لا يحتقرونهم؛ ولكنهم يبذلون التناصح فيما بينهم، والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والتعليم للخلق وهم خائفون على أنفسهم، فعندما يعلم المعلم وينصرف يجب أن يرجع إلي نفسه يرجع ويعود إلي نفسه ولو نصح فردًا واحدًا نصيحة ليفعل كذا من الخير أو يترك كذا

من الشر يرجع إلي نفسه ويعظها ويذكرها بالله، لا يكون الناس أولى بنفعه من نفسه؛ فيكون هو بالدرجة الأولى أولى بنفعه لنفسه؛ فإذا ذكر نفسه وعاتبها، وانطلق في فعل الخير وترك الشر، والرغبة فيما عند الله والخوف من الله -تبارك وتعالى- لأنه يُعلِّم الناس؛ فإنه على خير وعلى هدى ويزداد هدى؛ فينطبق عليه: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) لصلاح قلبه ولخضوعه لله -تبارك وتعالى، ولتعظيمه لله -عز شأنه- ولإيمانه أنه لا ملجأ ومنجى من الله إلا إليه، ولا قاضي للحاجة إلا هو، ولا يدفع الكربة ويكشف الهم والغم والكرب إلا الله -تبارك وتعالى- وهذه من خير العبادات ومن خير الوسائل، التي يقضي الله بها الحاجات ويفك بها الكربات ويدفع الشر ويحب الإنسان الخير؛ فهذا لا حرج فيه، وهو من المسائل التي يجوز فيها الإقسام على الله -تبارك وتعالى-.

كلام بين الشيخ والطالب

الطالب:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:

باب الإقسام على الله، وباب لا يستشفع بالله على خلقه، وهذان الأمران من سوء الأدب في حق الله، وهو منافٍ للتوحيد، أما الإقسام على الله فهو في الغالب من باب العُجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله.

وأما الاستشفاع بالله على خلقه؛ فهو تعالى أعظم شأنًا من أن يتوسل به إلي خلقه؛ لأن رتبة المتوسل به غالبًا دون رتبة المتوسل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله؛ فيتعين تركه فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه؛ فكيف يُعكَسُ الأمر؟! فيُجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم، الذي خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها؟!

الشيخ:

هذا الباب أيضًا تابع للباب الأول بمعنى؟

وهو الاستشفاع بالله على خلقه، نعم فيه سوء أدب، الاستشفاع يكون من العبد يستشفع بغيره من المخلوقات على الخلق؛ كأن يطلب من فلان شفاعةً لقضاء حاجة عند فلان، هذا مشروع لسبب من الأسباب، وأرغب النبي صلى الله عليه وسلم بأن يشفع

الإنسان لأخيه (اشفعوا تؤجروا)؛ كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي: في الحاجات التي تُشرع الشفاعة فيها، وأما يأتي إنسان ويستشفع بالله على أحد من خلقه، بالعلي الأعلى على المخلوق الضعيف؛ فهذا هو الذي يدل على سوء الأدب وعدم تقدير الله حق قدره؛ لذا منع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما جاءه رجل فقال له: "إنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليكِ" قال: (سبحان الله، أتدري ما الله؟)؛ يعني: ما شأن الله؟

ما زال يكررها؛ قال له: (شأن الله أعظم إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه) لكن يستشفع بالمخلوق على المخلوق، يستشفع بالمخلوق إلي المخلوق لقضاء حاجة أو دفع شر، ويستشفع إلي الله -تبارك وتعالى-

-كلام جانبي بين الشيخ والطلبة بسبب انقطاع الكهرباء-

أما الشفاعة من العباد إلي الله -تبارك وتعالى- فهذا مشروع و (..) بشروطه، وهو أذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع فيه.

المتن:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله ! سبحان الله ! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد" وذكر الحديث، رواه أبو داود.

الشرح:

صحيح، من سوءِ الأدب أن يُستشفع بالله على أحدٍ من خلقه، وهو العلي الأعلى، ومن حسن الأدب في باب الشفاعة أن تُؤتى من بابها، وهو أن يستشفع بالمخلوق إلي

المخلوق، ويستشفع عند الله -تبارك وتعالى- بخلقه كما في حديث الشفاعة يوم القيامة؛ فتشفع الأنبياء، ويشفع الصالحون بشروطها.

الشفاعة المطلقة لها شروط:

- إذن الله -تبارك وتعالى- للشافع أن يشفع.
- ورضاه عن المشفوع فيه.

إذا توفر الشرطان شُرِعَت الشفاعة، وأما في الدنيا فيشفع بعض الناس في بعض لقضاء حاجة، وهي من باب التعاون على البر والتقوى وعمل الخير. والله أعلم.

الطالب:

أحسن الله إليكم يا شيخ.

في حديث التألي على الله قوله: (إني قد غفرت له وأحبطت عملك)؛ هل يُفهم منه الكفر الأكبر والخلود في النار؟

الشيخ:

إحباط العمل؛ إذا كانت هذه الكلمة إذا صدرت منه؛ فكفر بها كفرًا أكبر؛ فقد أحبط جميع عمله، وإن كان دون ذلك فلعله .. يعني على عمل يومه أو نحو ذلك؛ المهم بحسب عظم الذنب، فالكفر الأكبر؛ يحبط جميع العمل، والكفر الأصغر لا يحبط جميع العمل؛ لكنه قد يحبط نوع عمل معين وقع فيه الإنسان. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير –رضي الله عنه– قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقلنا: أنت سيدنا؛ فقال: السيد الله تبارك وتعالى؛ قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً؛ فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان" رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس –رضي الله عنه–: "أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا؛ فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله " رواه النسائي بسند جيد.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد؛ هي: أن الغلو في الأشخاص؛ إما أن ينافي أصل التوحيد، أو ينافي كمال التوحيد، فإذا غلا الناس في شخص؛ حتى بلغ بهم الغلو أن يستغيثوا به –كما يفعل القبورية في هذا الزمان وقبل هذا الزمان– يستغيثون به ويستنجدون به؛ فجعلوه شريكًا مع الله بسبب الغلو بزعم أنه رجل صالح، ورجل من صفاته كذا وكذا، وهذا العمل ينافي أصل التوحيد ويكفر قائله، إذا وصل إلي حد الاستغاثة؛ فقد غلا فيه.

وقد ينافي كمال التوحيد إذا لم يصل إلي هذا الحد؛ بل لم يخرج من دائرة الإسلام ولكنه غلا في الشخص؛ أطراه بالمدح، وأكثر من مدحه والثناء عليه بما هو فيه وما ليس فيه؛ وقع في المحظور ولكنه لم يخرج من دائرة الإسلام؛ لأنه لم يحصل منه صرف نوع من أنواع العبادة كالاستغاثة أو الاستعانة في الذي اطراه؛ فيكون قد نقص ثواب عمله، فيكون صنيعه منافي لكمال التوحيد لا لأصل التوحيد؛ فهذه تعتبر من المناسبات لهذا الباب.

ثانيًا: موضوع الأحاديث الواردة في هذا هو ما بوب عليه المؤلف –رحمه الله– الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب: حماية المصطفي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد؛ فالتوحيد يجب أن يكون خالصًا لله –تبارك وتعالى– وأن يكون سالمًا من شوائب الشرك، وسالمًا من وسائل الشرك وذرائعه، ومن ذلك المدح والإطراء الذي يسبب الغلو في الأشخاص؛ لاسيما

عند المواجهة قد تواجه شخصًا تقول له: أنت كذا وكذا، توصفه بأوصاف وتطريه بصفات ربما تدخل على نفسه العجب والتعاظم؛ فتقع في المأثم من جهتين:

الجهة الأولى: أنك تسببت في تعاظم هذا الشخص؛ بما أطريته به ومدحته به حتى تعاظم في نفسه؛ فوقع في موجبات الغضب من الله -تبارك وتعالى- لأن الواجب أن يكون العبد متذللاً لله، خاضعًا لله، ولا يجوز له أن يكون بخلاف ذلك كالتعاظم والافتخار بما يوصف به؛ فيقع فيما يخدش توحيده.

والجهة الثانية: نفسه؛ لأنه أطراه؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)، وهو بحق أفضل مخلوقات الأرض والسماء، ولكنه لا يرضى بالإطراء، والمدح في الوجه ما له، ومن كان دونه فهو من باب أولى؛ يغتر، والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم ولكنه لا يرضى أن يُمدح في وجهه حتى يقع من مدحه في الذم وفي موجبات الغضب من الله -تبارك وتعالى- فهو لم يسكت عنهم؛ وإلا فهو القائل: (أنا سيد ولد آدم) قال: (أنا سيد ولد آدم، ولا فخر يوم القيامة) لكنه لم يرضى أن يواجهه الشخص بقول: " أنت سيدنا" أو " أنت السيد" أو "أنت أعظمنا" أو " أنت خيرنا وابن خيرنا"، وكل هذه الأوصاف صحيحة؛ الرسول صلى الله عليه وسلم هو السيد، وهو أعظم البشر، وهو خيرهم، ولكنه خاف على أمته الغلو في الصالحين وأن يمدح بعضهم بعضًا؛ فيقع الجميع في المحظور الممدوح والمادح، لا سيما المواجهة؛ لأن القلوب ضعيفة، الممدوح يغتر ويتعاظم ينظر مادام هذه صفاته فهو أفضل من غيره؛ فدخل عليه العُجب والتعاظم واحتقار الآخرين؛ فوقع في الإثم، فيما ينقص ثواب أعماله، وينقص توحيده.

وإذا سلم من المدح؛ صار محافظًا على توحيده وعلى كماله وكمال إيمانه؛ لذا خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أن يدخل عليهم ما يُبطل توحيدهم، أو ينقص ثواب توحيدهم بسبب الغلو في الصالحين؛ فأرشدهم إلي الطريق الصحيح؛ كما قال: (قولوا بقولكم أو ببعض قولكم) وهو إنكار، إنكار عليهم أن يقولوا مثل هذا القول: " أنت سيدنا وابن سيدنا وأعظمنا قولاً، وخيرنا وابن خيرنا"؛ أنكر عليهم، وأرشدهم إلي الصواب؛ فقال لهم: (إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله) وكفى بهذا شرفًا؛ أي: العبودية، كونه عبد لله،

الإضافة هنا من تقتضي التشريف والتكريم للنبي صلى الله عليه وسلم والرسالة مقامها أعلى المقامات أن يكون رسولاً؛ فلا يحتاج من أمثال هذا الإطراء الذي يدخل الفتنة على المادح، ويدخل الفتنة على الممدوح غير الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه معصوم من التعاظم والعُجب، معصوم من المعاصي، لكن بني آدم وإن كانوا صالحين فهم غير معصومين من أن يدخل عليهم العُجب فيما يسمعون، أو يدخل عليهم التعاظم في أنفسهم ولو لم يصرحوا به، أو يدخل عليهم احتقار الآخرين إذا سمعوا مدح المادح

فيكونون في مأثم، فحمى النبي صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسد ذرائع الشرك بمثل هذه الألفاظ التي هي وسائل وذرائع للوقوع في الشرك الأكبر،وقد جاء في الحديث: (إذا جاءكم المداحون فاحثوا في وجوههم التراب).

هذا ينزل على حالات وليس كل من مدحك في وجهك حثوت في وجهه التراب، ولكن هذا يُقال به في حق من حرفتهم مدح الناس وإطرائهم من أجل التكسب، من أجل المال أو الاستفادة الدنيوية من منصب أو جاه أو مال أو خدمة وما شاكل ذلك؛ فهؤلاء يزجرون زجرًا يمنعهم عن إطرائهم بسبب أن ينالوا من الدنيا الحقيرة ما ينالون؛ فقالوا ما هو حق وما هو باطل في المدح، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم زاجرًا لهم: (احثوا في وجوههم التراب)؛ ولأنه لا يستعمل هذا التوجيه لكل أحد، وقبل ذلك يقدم التعليل، يُقال هذا لا يجوز، هذا نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وزجره، وما شاكل ذلك فلعله ينتهي وينتفع.

كلام جانبي بين الطالب والشيخ

المتن:

عن عبد الله بن الشخير –رضي الله عنه– قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقلنا: أنت سيدنا؛ فقال: ((السيد الله تبارك وتعالى))

قوله: "أنت سيدنا"؛ السيد عند العرب هو المطاع في قبيلة المتبع فيها؛ فقال صلى الله عليه وسلم: ((السيد الله تبارك وتعالى))، هذا من النبي صلى الله عليه وسلم تواضع ومن الهضم لنفسه، وإلا فهو سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر.

قوله: "وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً"؛ الطول: هو القيادة والكرم، وهذه صفةٌ لائقةٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه صلوات الله وسلامه عليه أحب أن يُقتدى به في رد مدح المادح؛ لأن المدح مما يجعل النفوس تتعاظم، وتخرج عن طورها (..)، فردع المادح بأن يُرد عليه مدحه، والنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن تقتدي أمته بتجاوز ذلك وعدم قبوله ...

(حدث انقطاع في الشريط)

وعن أنس -رضي الله عنه-: "أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا" الحديث

قولهم: "يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا" لاشك أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أصحاب شرفٍ ونبل في زمن الجاهلية، ولكن الخيرية التي ترتبت على النبوة لم تنلهم، وفي ذلك مجاوزة للحق والله أعلم،

علمًا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره المدح وينهى عنه، وقال للمادح: (ويلك قطعت عنق صاحبك) ثلاثًا، وقال: (إذا لقيتم المادحين فاحثوا في وجههم التراب) أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الأسود.

فيؤخذ أولاً من هذا:

أولاً: النهي عن المدح

ثانيًا: قطع أسباب الغلو

ثالثًا: تواضع النبي صلى الله عليه وسلم

رابعًا: كونه صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد، وقال: (لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله).

خامسًا: أراد أن يُبين لهم أن السيادة المطلقة هي لله -تبارك وتعالى-، وفي الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، ومن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)، إذًا فهذا من حماية جناب التوحيد وقطع أسباب الغلو، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء سعد بن معاذ -رضي الله عنه- ليحكم في بني قريظة- قال صلوات الله وسلامه عليه: (قوموا إلي سيدكم).

سادسًا: يؤخذ من قوله: (لا يستجرنيكم الشيطان)، أن الشيطان يستجري بني آدم؛ بمعنى: أنه ينزلهم درجةً درجة؛ ليوقعهم في الشرك؛ كما فعل مع قوم نوح، وكما يفعل مع الناس بإيقاعهم في المعاصي، والله سبحانه وتعالى يقول: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169))) البقرة

تنبيه: بعد أن (..) ما حضرني في شرح هذا الباب، وكنت متذكرًا أنه قد سبق باب شبيه لهذا نبهني أحد الإخوة -جزاه الله خيرًا- لأنه في بعض الأسئلة التي قدمت للطلاب في بعض المدارس: ما هو الفرق بين الباب؛ باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلي الشرك وبين هذا الباب الذي هو باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك، وأنه قد اطلع هو وبعض زملائه على شرح الشيخ عبد الرحمن بن السعدي -رحمه الله- وأنه فرق بين البابين، أن الأول في الأفعال وهذا في الأقوال، وبعد التأمل فيما أورده المؤلف -رحمه الله- (..) أن قول السعدي -رحمه الله- هو الحقيقة والكل مقصود به حماية التوحيد مما يخدشه ونسأل الله أن يفقهنا في دينه وأن يهدينا صراطه المستقيم وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن يرزقنا العمل به. وبالله التوفيق، انتهى ما قاله -رحمه الله-.

الشرح:

يستثنى من هذا الموضوع؛ المدح، ما تدعو إليه الحاجة، البيان الذي تدعو إليه الحاجة، وأن يوصف رجل بالجهاد وهو كذلك، ويوصف رجل بالعلم، وتعرف مكانته، ويُقبل الناس على علمه والاستفادة منه، ويقول الواصف لا يزيد عن ما هو موصوف به لا يبالغ، وأن تستدعي الحاجة في بعض المقامات، لكن المواجهة بالمدح هذه التي زجر عنها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لضعف الإنسان البشري؛ لأنه قد يدخله العجب والتعاظم واحتقار الآخرين والاغترار بنفسه؛ فيقع في موجبات الغضب، لكن تترجم مثل لعالم مثلاً ترجمة تذكره بما هو فيه ليكون من وراء ذلك يُدعى له، ثانيًا: ليُقبل الناس على دراسة معتقده ومؤلفاته وما خَلَّفَه؛ فلا يدخل في الإطراء المذموم، وإنما وراء الفائدة؛ فلا حرج.

ثم لو ذكرته بما هو فيه وهو على قيد الحياة بدون مواجهة، لكن لجمهور الناس لا حرج أيضًا في ذلك؛ لأن وراء ذلك المقصد الحسن؛ لينتفع الناس بعلم العالم، ويقتدي الناس بهذا المجاهد والمتصدق ونحو ذلك، ولا حرج في ذلك. والله أعلم.

الطالب:

أحسن الله إليكم يا شيخ، سؤال من الشبكة.

هذا سائل من فرنسا يقول: بعض الإخوة لا يستطيعون الهجرة إلي بلاد الإسلام الآن ولكنهم يتمسكون بدينهم ويستمعون إلي أشرطة العلماء ويدرسون كتبهم؛ فهل منكم من نصيحة؟

الشيخ:

الذين لا يستطيعون هم معذورون بنص القرآن، إذا كان لا يستطيعون الخروج من بلاد الكفر بعدما أكرمهم الله بالإسلام إلي بلاد الإسلام؛ فهم معذورون، ويجدوا ويجتهدوا في التفقه في دينهم، بواسطة الوسائل المشهور في هذا الزمن والموصلة للعلم الشرعي كهذه الوسيلة وغيرها من الوسائل؛ الكتب وخطب الجمعة، والدروس والمحاضرات والندوات، يقبل عليها دائمًا وينقلها لأهاليهم وأُسرِهم وإخوانهم وهم مع ذلك يعدون العدة ويجتهدون في جمع المال ليتثنى لهم الخروج من بلاد الكفر إلي بلاد الإسلام، وإلا فهم معذورون وعليهم المحافظة على إسلامهم بقدر الاستطاعة؛ لأن الله -عز وجل- لما ذكر بأن البقاء في ديار الكفر للمسلم ظلم؛ استثنى المستضعفين من النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً؛ فكل ضعيف داخل في هذا العذر. والله أعلم.

السائل:

هل الفأل من الطيرة؟

الشيخ:

قال الرسول: (ويعجبني الفأل) إذا سمع كلمة طيبة تفاءل بها، أو رأى منظرًا حسنًا فتفاءل به؛ لكن إذا رأى ضد ذلك لا يرده عن حاجته، إذا سمع شيئًا لا يعجبه أو رأى شيئًا لا يعجبه، لا يرده عن حاجته ولا يتشاءم به.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر: 67]

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع؛ فيقول: أنا الملك؛ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[الزمر: 67]

وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله".

وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع" أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى؛ ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟"

وروى عن ابن عباس قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم".

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس".

وقال: قال أبو ذر -رضي الله عنه- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض".

وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم؛ قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم" أخرجه أبو داود وغيره.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا الحديث الجديد، الجديد في الدراسة سندًا ومتنًا، والدراسة له طلب علم، وطريقتها أن يطلع الطالب على الشروح، شروح هذا الكتاب كتاب التوحيد؛ فيقرأها بقدر ما يستطيع، ويلخص الفوائد أول بأول، ثم يستطيع يطلع بفوائد عدة مفيدة ينتفع بها وينفع بها من شاء الله من خلقه، يحتاج إلي اهتمام (..) قُسِم الكتاب.

والمناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد ظاهرة، وهي: أن من لم يقدر الله حق قدره لا يخلو من حالين: إما أن يكون يأتي بما ينافي أصل التوحيد؛ فيكون كفرًا أكبر أو شركًا أكبر يُخرج من الدين، أو يأتي بشيء يقدح كمال توحيده، فما قدر الله به حق قدره، ولكنه ليس كأهل الكفر إما تقصير في مفروضات وواجبات لا تخرجه من الإسلام، وأما وقوع في معاصي كذلك لا تخرجه عن الإسلام، ولكنها تدل على انه ما قدّر الله حق قدره فنقص توحيده؛ فيكون بهذا الاعتبار منافي لكمال التوحيد لا لأصل التوحيد، هذه المناسبة.

وفي قوله -عز وجل-: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ))؛ أي: المكلفون من عالم الأنس والجن عمومًا، ولكنهم متفاوتون في هذا التقصير، ما قدروا الله حق قدره، متفاوتون تفاوتًا عظيمًا؛ فالكفار على أصنافهم، الكفار الصرحاء، واليهود والنصارى، وأهل الإلحاد وأهل الشرك الأكبر وأهل النفاق الإعتقادي؛ هؤلاء ما قدروا الله حق قدره؛ حيث لم يمتثلوا لله أمرًا ولم يجتنبوا له نهيًا، فهؤلاء جرمهم أعظم الإجرام، وأثمهم أكبر الآثام، وعقوبتهم أشد العقوبات بأن لهم النار خالدين فيها دائمًا وأبدًا، وعذابهم في مزيد لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

وسائر الخلق درجات، أهل الإسلام ينطبق على الكثير منهم أنهم ما قدروا الله حق قدره، وذلك أن من ألم بالمعاصي ولو كان من أهل التوحيد والصلاة والصيام ونحوها، ولكنه ألم بالمعاصي وقع في الكبائر وأصر على الصغائر؛ ما قدر الله حق قدره؛ فكل من جنحت به نفسه إلي فعل معصية أو تقاعست عن فعل طاعة؛ يعتبر ما قدر الله حق قدره ولكنه ليس

ككفر الكافرين ونافق المنافقين، وإنما بقدر يفوته بسببه من الخير ما يفوته، أو يعاقبه الله -تبارك وتعالى- بسببه العقوبة التي يستحقها إن لم يعفو عنه بمنه وكرمه.

إذًا فلا يستطيع أحد أن يقدر الله حق قدره، ولكن الناس درجات ومقامات متفاوتة سواء بالنسبة للأمم أو بالنسبة للجماعات أو بالنسبة للأفراد، وكل من قصر في طاعة مع قدرته، أو ارتكب محرمًا باختياره وبدون إكراه فإنه يأخذ نصيبه من عدم تقدير الله حق قدره؛ لأننا مأمورون أن نستحي من الله وأن نقدره حق قدره، والذي لا يستحي من الله، يهم بالمعصية بدون استحياء من الله؛ فما قدّر الله حق قدره، ولكن المعاصي تختلف، معصية تخرج المكلف من الإسلام إن كان مسلمًا، ومعصية لا تخرجه من الإسلام ولكن يكون بها مستحقًا لعقوبة، ومعصية تكفرها أعمال، الطهارة والخطى إلي المساجد وقراءة القرآن والذكر، وهذه الصغائر التي لا يصر عليها المكلفون على (..)، هذه مسألة.

والمسألة الثانية أن الروايات الواردة في هذا الباب فيها دليل واضح وصريح على عظمة الله -تبارك وتعالى- لأنه إذا نظرت في عظم مخلوقاته، نظرت في خلق السماوات لا تستطيع أن تحيط بها، ونظرت في خلق الأرض لا تستطيع أن تحيط بها، ونظرت في خلق بقية المخلوقات من ماء و شجر و (..) وجبال وبحار إلي غير ذلك من مخلوقات الله، كلها في قبضة الله -تبارك وتعالى- كلها في قبضة الله -تبارك وتعالى- يتصرف فيها كما يشاء ومتى شاء وبما أراد من خير أو غيره أو تدبير شأن بحكمة فالعادل والناظر في هذه الآيات وهذه البراهين من مخلوقات الله -عز وجل- والمتفكر فيها فقد مدح الله المتفكرين في خلق السماوات والأرض وأثنى عليهم وشهد لهم بالإيمان؛ لأن المتفكر والمتعقل بعد هذا التفكر في مخلوقات الله ينتقل إلي قوة تعظيمه لله -تبارك وتعالى- وعلمه بأن الله الذي خلق هذه المخلوقات العِظَام قادرٌ على كل شيء، ويستحق أن نقدره حق قدره، وأن نعظمه حق تعظيمه؛ كما يليق بجلاله وعظمته، وهذا -كما قلت لكم- هذا الحديث من الروايات إذا تأمله الإنسان ازداد إيمانًا إلي إيمانه بقدرة الله وملكوته، وأنه لا يخرج عن ملكه شيء، وأنه مسيطر على كل شيء، وفي قبضته كل شيء من مخلوقاته؛ فإذا كانت هذه المخلوقات العِظَام في كف الرحمن عز شأنه كخردله في كف أحدنا؛ أي: حبة صغيرة في كف أحدنا، وهذا مثال تقريبي إذا تأمل هذا ازداد إيمانه وازداد تقديره لربه -تبارك وتعالى- فلا يفقده

حيث أمره ولا يراه حيث حرم عليه ونهاه، وفي هذه الروايات دليل على إثبات الكف للرحمن -تبارك وتعالى- كغيره من الصفات الذاتية؛ إثبات اليدين والوجه والقدم والكف والأصابع كل هذا حق ووردت به النصوص؛ فنثبته كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ نثبت لله اليدين؛ كما ورد في النص: ((بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)) [المائدة: 64].

ونثبت له الوجه ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)) [القصص: 88]، ((وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)) [الرحمن: 27].

نثبت له الكف كما ورد في هذه الروايات، نثبت له الأصابع كما ورد في هذه الروايات وفي هذا الحديث، وكل ذلك على الوجه الذي يليق بعظمة الله وجلاله، لا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تأويل ولا تعطيل؛ بل كما قال الله -عز وجل-: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: 11].

وفيه دليل على أن الكرسي أعظم من مخلوقات السماوات والأرض؛ إذا كانت السماوات والأرض في الكرسي إلا كسبع دراهم ألقيت في فلاة؛ فهذا دليل على عِظَم هذا المخلوق: الكرسي؛ فقد ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الكرسي موضع القدمين للجبار -تبارك وتعالى- وهو القول الصحيح بخلاف من فسر الكرسي بالعلم؛ ليس معه دليل على ذلك والصحابي أدرى بتفسير القرآن من غيره لا سيما ابن عباس الذي برع في تفسير القرآن الكريم وجمع العلم؛ ثم هو الكرسي في العرش كحلقة ألقيت في فلاة، وهو دليل على عِظم العرش، وأنه سقف المخلوقات كلها، وأنَّ الجبار -تبارك وتعالى- استوى عليه استواءً يليق بعظمته وجلاله، ولا يخفى عليه شيء في السماوات على كِبَرِ حجمها، وبعد ما بين كل سماء وسماء، وبعدها عن الأرض ومع ذلك فالله لا يخفى عليه شيء في باطن الأرض ولا في أي مكان كان؛ لأنه كما سمى نفسه بكل شيء عليم، وكما وصف نفسه: ((لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)) [سبأ: 3].

قد جرى بها علمه -تبارك وتعالى- وجرى بها القلم عن علم، عن علم الله؛ فما يقع شيء وما قد وقع وما سيقع إلا وهو معلوم لله -تبارك وتعالى- صفته وزمنه ومكانه، لا يتقدم ولا يتأخر حتى الشوكة يشاكها الإنسان قد قضاها الله وكتبها ولابد أن تكون كما

كُتِبَت زمانًا ومكانًا وصفةً، وهكذا بقية الصفات كلها؛ فيوم القيامة كما جاء في الآية (..) هذه النصوص يطوي الله -عز وجل- السماوات على كبرها وكثافتها جميعًا يطويها كطي السجل للكتب؛ أي: كطي الورقة التي يكتب فيها الإنسان مكتوبة ثم يطويها لا تصُعب عليه ولا تقلقه؛ فالله -عز وجل- شأنه أعظم؛ قال: ((يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنبياء: 104].

فجاء في الحديث أنه يطويها بيمينه ويقبض الأرض بشماله ويهزهن؛ فيقول: ((أنا الجبار أنا المتكبر أين الجبارون؟ -يعني: من أهل الأرض- أين المتكبرون؟))؛ أي: كلهم في قبضته وتحت حكمه وتحت تصرفه، وجميع من في السموات والأرض لا يحكم فيهم سوى الله -تبارك وتعالى- في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، وما مكنَّ فيه من الخلق ما مكن الخلق فيه من الأحكام بشرعه؛ فهذا دليل على قدرته وحكمته وعدله ورحمته؛ لينظر كيف يعملون.

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي -حفظه الله-

الشريط الثاني
فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

ولهما في حديث عِتبان (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

الشرح:

الحمد لله رب العالمين اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أهل التوحيد حرمهم الله على النار، وتحريمهم على النار؛ منهم من حرم الله على النار فلا يدخله ابتداءً ولا يسمعَ حسيسها؛ وهؤلاء أهل الإيمان الكامل والذين حققوا التوحيد فهو تحريم مطلقًا لا يدخلونها، ونوع منهم أهل التوحيد وهم أهل كبائر وماتوا بدون توبة؛ فهؤلاء تحت المشيئة ولكن حرمهم الله على النار؛ أي: من الخلود فيها؛ بل إن دخلوها فمآلهم الجنة؛ لأنهم من أهل التوحيد.

المتن:

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى: يارب علمني شيئًا أذْكرك وأدعوك به؛ قال: ((قل يا موسى لا إله إلا الله))؛ قال: يارب كل عبادك يقولون هذا؛ قال: ((يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كِفة ولا إله إلا الله في كِفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله)) رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

الشرح:

هذا الحديث فيه بيان فضل "لا إله إلا الله" وأنها لا يثقلُ معها شيء ولا يبقى معها شيئًا من الذنوب؛ إلا غفره الله تبارك وتعالى بِ "لا إله إلا الله"، ولا يكفي أن يقولها الإنسان بلسانه، ولا يترتب عليها هذا الثواب إذا كانت مجرد قول باللسان؛ ولكن قول وعمل، يقولها بلسانه ويعمل بمقتضاها ومقتضاها بقية الأركان، أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان، وتحليل الحلال وتحريم الحرام، وغير ذلك مما هو معلوم به الإسلام بالضرورة، هذا من حقوق "لا إله إلا الله" فمن استوفى حقوقها و قام بمستلزماتها وبمقتضاها؛ فإنه يحرم على النار، وأنه لا يثقُل معها شيء، وهذا المثل الرائع ((لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كِفة))؛ يعني: في ميزان له كفتان إحدهما توضع فيها السموات والأرض وما بينهما، والسموات والأرض وما بينهما لو كانت أجرامًا ووضعت في كفة ووضعت "لا إله إلا الله" في كفة؛ لمالت بهن "لا إله إلا الله" وطاشت هذه الأجرام كلها، وما ذلك إلا لما لهذه الكلمة العظيمة من معنى ومن فضل ومن قدر عند الله؛ لأن فيها تخليص التوحيد، فيها تخليص التوحيد لله وحده دون سواه؛ فهي دالةٌ على أنواع التوحيد الثلاثة؛ دلت على توحيد الألوهية بالمطابقة، ودلت على توحيد الربوبية بالالتزام، ودلت على توحيد الأسماء والصفات بالتضمن؛ فهي شملت جميع أنواع التوحيد الثلاثة، فحُقَ لها أن تثقل في الميزان وتطيش الذنوب لو كانت كالسموات والأرض وعُمَّارها؛ ولكن بشرط أن تكون هذه الكلمة أن يكون عالمِا بمعناها عاملاً بمقتضاها خاضعًا لما دلت عليه من المعاني؛ فلابد من العلم والعمل.

وفي قصة صاحب البطاقة الذي أسرف على نفسه من الذنوب والخطايا فحُسِب فوضع له في الميزان تسع وتسعون سجلاً من الذنوب كل سجل مد البصر فصارت سبب في هلاكه

إلا أن الله أنقذه بـ "لا إله إلا الله"؛ قيل له: هل لك من حسنة؟ قال: لا؛ فقيل له: بلى لك حسنة؛ فجئ ببطاقة فيها "لا إله إلا الله" فوضعت في كفة والسجلات في كفة؛ فطاشت بها السجلات، وثقلت "لا إله إلا الله"، وهو دليل على فضلها وأنه لا يجوز أن يقولها الناس بألسنتهم ويُقصِّروا في فهم ما دلت عليه من المعاني؛ وهو تخليص التوحيد لله في جميع أنواعه، والعمل بمقتضياتها من إقامة مراتب الدين كلها إسلام وإيمان وإحسان وهكذا بقية الأحكام كلها تتعلق بلا إله إلا الله من مستلزماتها ومن مقتضياتها.

ثانيًا: في الحديث هذا بيان فضل الأنبياء وحرصهم على الازدياد من العمل الصالح الذي يرفع الله به درجات العباد؛ فموسى تطلع إلى شيء ليخصه الله به دون غيره؛ فأرشده الله إلى لا إله إلا الله؛ فقال: كل عبادك يقولون هذا؛ يعني: كل ينطق لا إله إلا الله، وهو يريد شيء يكون من خصائصه؛ فضُرب له هذا المثل العظيم، وإن كان في سنده ضعف هذا الحديث إلا أنه يتقوى بغيره، أما مجرد النطق كما أسلفتُ فلا ينفع؛ فالمنافقون كانوا يقولون "لا لإله إلا الله" مئات المرات، وآلاف المرات ولكنها لم تنفعهم؛ لأنهم كاذبون في قولهم غيرُ صادقين؛ فما تنفعهم لا إله إلا الله.

وفي الحديث دليل على أن في السموات عُمَّارًا وأهل عبادات وطاعة لله عز وجل لا يحصيهم إلا خالقهم؛ فيها الملائكةُ الكرام على وظائف وأعمال ومنهم من أعمالهم العبادة فقط، منهم القيام الذين لا يركعون، ومنهم الرُّكَّع الذين لا يرفعون، والسجد الذين لا يقومون، ومنهم من هم حول العرش يسبحون، وهم كما وصفهم الله ((يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)) [الأنبياء: 20] لا يفترون لا يملون ولا يخلدون إلى راحة؛ لأنهم ليسوا بحاجتها بل جبلهم الله –تبارك وتعالى- على ما فيه أُنْسهم وراحتهم وهو العبادة، جبلهم على الطاعة فلا سبيل لهم إلى المعصية؛ بعكس الشياطين جُبلوا على المعصية فلا سبيل لهم إلى الطاعة، بخلاف عالم الإنس وعالم الجن غير الشياطين فإنهم مُكِّنوا من فعل الطاعة أعطوا القدرة على فعل الطاعة وفعل المعصية؛ ابتلاءً من الله لهم ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)) [الملك:2] وأمرهم بالطاعة ونهاهم عن المعصية، ووعدهم الثواب الجزيل على فعل الطاعة وترك المعصية، وتوعدهم بالعذاب الأليم على ترك الطاعة واقتراف المعاصي، وأعطاهم القدرة أن يفعلوا الطاعة ويتركوا المعصية، أعطاهم القدرة وأعطاهم الهدى؛ وهو

السبيل بين طريق الهدى وطرق الضلال؛ كما قال-عز وجل-: ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)) [البلد: 10] ، ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)) [الإنسان: 3]، فمن فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فبفضل الله ورحمته ثم بكسبه، والعكس من ترك الطاعات واقترف المعاصي؛ فبعدل الله وحكمته ثم بكسبه، وبيَّن الله ذلك غاية البيان في نصوص القرآن والسنة ولم يجبر الله -تبارك وتعالى- أحدًا كما تقول الطائفة الجبرية من المعطلة؛ الذين قالوا إن العبد مجبور على فعل المعصية، ومن لازم هذا القول وصف الله بالظلم؛ أي: أنه يعذب العبادَ العصاة ظلمًا، وكذبوا وعظم جهلهم؛ لبعدهم عن نصوص الكتاب والسنة، وبخلاف معتقد القدرية الذين قالوا إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه وليس لله فيه أمر ولا نهي ولا قدرة وهؤلاء كذبوا؛ لأن الله قال الله ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)[الصفات:96] ((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)) [الفرقان :2] فابن آدم بل جميع المكلفين كل أعمالهم مخلوقة ولكن تنسب إليهم فعلاً؛ لذا قالوا: إن الأعمال تنسب إلى الله خلقًا وإيجادًا وتقديرًا وتنسب إلى أهلها كسبًا؛ وهذا هو الحق، وقال الله تعالى: ((لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ))[البقرة:286]، لها ما كبست من الخير وعليها ما اكتسبت من المآثم كل يجازى من جنس عمله، وكذلك الأرواح التي تصعد إلى الله من عُمَّارِ السموات.

والخلاصة أن هذا الحديث دليل عظيم على عظم فضل كلمة "لا إله إلا الله" التي هي كلمة التقوى، وهي العروة الوسطى، وهي كلمة الإخلاص، وأن أهلها حقًا لا (..) أبدًا وإن دخلوا النار؛ أخرجهم الله تبارك وتعالى إلى الجنة وكانت هي مآلهم ودارهم الدائمة الباقية. نعم.

المتن:

وللترمذي حسنه عن أنس —رضي الله عنه- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)) .

الشرح:

فيه الحديث هذا دليلان عظيمان:

الأولُ: فضل التوحيد ومنزلته عند الله -تبارك وتعالى-.

والدليل الثاني: عِظَمُ الشرك وأنه أكبر الذنوب والآثام، فمن لاقى الله -تبارك وتعالى- وهو من أهل التوحيد؛ فإما أن يدخله الجنة بدون أن تمسه النار، وإما أن يستحق العذاب؛ فيعذب بقدر جنايته ومآله الجنة قطعًا لدلالة النصوص على ذلك ومنها هذا النص؛ فالتوحيد له فضله العظيم الذي لا يقدرُ قدرهُ إلا الله ويعرفه العالِمُون المؤمنون.

وفيه بيان خطر الشرك قليلاً كان أو كثيرًا صغيرًا أو كبيرًا فهو خطيرٌ على أصحابه، أما الكبير فإنه لا يغفر، وأما الشرك الأصغر فإن صاحبه على خطر عظيم وهو تحت المشيئة.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120] وقال: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: 59].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا؛ ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت؛ قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت؛ قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الخصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة"؛ قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي؛ فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم؛ فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ ثم نهض فدخل منْزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه؛ فقال: هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون؛ فقام عكاشة بن محصن؛ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم؛ قال: أنت منه؛. ثم قام جل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم؛ فقال: سبقك بها عكاشة".

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللَّهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه الأبواب الثلاثة بعضها متصل ببعض؛ لأن الكلام فيها متعلق بموضوع واحد وهو بيان حقيقة التوحيد؛ كما في الباب الأول كتاب التوحيد، والباب الثاني في باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، والباب الثالث باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فالثلاثة الأبواب في موضوع واحد؛ حقيقة التوحيد وأنواعه كما في الباب الأول، وفضل التوحيد وأثره الطيب على صاحبه في الدنيا والبرزخ والآخرة، وفضل من حقق التوحيد وأن من فضائله -أي: من فضائل تحقيق التوحيد- دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فتحقيق التوحيد معناه تخليصه من شوائب الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي، وتخليصه مما ينقصه وهي البدع وكبائر الذنوب والإصرار على الصغائر؛ هذه لا تذهب التوحيد بالكلية ولكنها تنقص التوحيد، فمن حقق التوحيد؛ خلصه من شوائب الشرك، وخلصه من البدع المضلة، وتخلص من كبائر الذنوب ولم يصر على الصغائر؛ فهذا هو الذي ظفر بهذا الوعد بأنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

المتن:

قال: باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب .

وقول الله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120]

الشرح:

هو أكثر دخول الجنة للموحدين على اختلاف طبقاتهم؛ فمن حفظ التوحيد؛ دخل الجنة مع أول الدخلين، ولن تمسه النار؛ خلصه مما ذكر من الشرك بجميع أنواعه والبدع بجميع أنواعها وكبائر الذنوب بكل أنواعها، ومن الإصرار على الصغائر؛ فإنه يدخل الجنة مع أول الداخلين، ولن تمسه النار ولن يسمع حسيسها، وقوم من أهل التوحيد طبقات متعددة يجمعهم عمل التوحيد، ولكنهم طبقات فيما يتعلق بالعمل طبقة تكون مقصرة في أداء الفرائض والواجبات وتقع في المحرمات؛ بل في كبائر الذنوب، ولكن لا يخرجهم ذلك من

دائرة الإسلام؛ فهؤلاء تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم بقدر جرائمهم ومآلهم الجنة لأنهم من أهل التوحيد، وكل يعذب بقدر ما جنى ولا يظلم ربك أحدًا؛ فلو يعذبهم يومًا واحدًا بما جناهُ؛ لكفا به نكالاً؛ لأن اليوم الواحد؛ كما قال الله تعالى: ((وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ))[الحج:47] كألف سنة من هذه السنين التي نعرفها، وهو يوم واحد من أيام الآخرة، فلو عُذب يومًا واحدًا العاصي؛ لكفى بذلك نكالاً وبعد هذا العذاب يخرجه الله عز وجل من النار؛ كما جاء في أحاديث الشفاعة الصحيح؛ أن الله يخرج أقوامًا من النار قد امتحشوا صاروا حممًا؛ فيلقون على أفواه قصور الجنة؛ فيرش عليهم من الماء فينبتون نباتًا حتى يكتملوا وتعودُ إليهم أرواحهم ويدخلهم الله الجنة .

وطبقة أخرى يكون عذابها بما ينالُه صاحبها من الكروب؛ من الكروب في مواقف القيامة، ومن التعب الذي يقاسيه ولا يدخله الله النار؛ فيكون ذلك عذابه وعرصات القيامة وهو من أهل التوحيد فيدخله الله عز وجل الجنة ولم يدخل النار؛ فالمقصود أنه بحسب ما يقدمه الموحد من عمل؛ موحد ناجي من النار ويدخل الجنة مع أول الداخلين وهو في الكُمَّلَ التوحيد، وما يتعلق بالتوحيد من حقوق وواجبات ومكملات، وقسم لا تنالهم النار ولكن مكفرات بألوان من ألوان العذاب، وقسم يدخلون النار بقدر ما جنوا من الذنوب والمعاصي؛ ثم يخرجهم الله –عز وجل– فلا يبقى في نار الكفار –ولا في النار مطلقًا– لا يبقى موحد أبدًا.

وفي قول الله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120]

الشاهد في قوله: {حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، والحنيف المراد به المائل عن الشرك إلى التوحيد؛ فليس من أهل الشرك إبراهيم عليه السلام؛ لأنه حطم أصنام المشركين، ولأنه أُذِيَ في سبيل ذلك بما لم يؤذى به أحد؛ حيث أوقدوا له نار وحملوه في المنجنيق إلى العلو ثم قذفوه في النار، بعدما صارت نارًا مخيفة حامية؛ فكان قوي التوحيد، وقوي الثقة في الله –عز وجل– فطُرح في النار فما أصبه منها شيءٌ يؤذي أبدًا؛ لأن الله أوحى إليه بقوله الحق: ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)) [الأنبياء:69– 70].

لذلك وصفه الله هنا بأربعة أوصاف "أُمَّةً"؛ ولفظ "أُمَّةً" يطلق ويراد به عدة معاني؛ يطلق ويراد به القدوة؛ كن أمة؛ أي: قدوةً وإمامًا في الخير، ويطلق ويراد به المدة؛ كما في قوله -عز وجل-: ((وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)) [يوسف:45].

والوصف الثاني: القنوت؛ والمراد به: دوام الطاعة ((أُمَّةً قَانِتًا))؛ أي: مطيعًا لله -عز وجل- بما تحمل كلمة الطاعة من معنى.

والثالث؛ الوصف الثالث: ((حَنِيفًا))؛ أي: مائل عن الشرك إلى التوحيد.

((وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) الوصف الرابع بأنه من الموحدين، ولم يكن من المشركين، ولمَّا تنازع فيه أهل الملل الكافرة كل يريد أن ينتمي إليه؛ أكذبهم الله جميعًا؛ فقال سبحانه: ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [أل عمران: 67] فبرأه الله -تبارك وتعالى- من ملل أهل الكفر الظاهرة المعروفة، وشهد له وقوله الحق أنه لم يكن من المشركين؛ وإنما هو من الموحدين؛ فالشاهد في هذه الآية في هذا الباب؛ في قوله تعالى: ((حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))؛ أي: مستسلمًا لله وخاضعًا له تعالى. نعم

المتن:

قال وقال: ((وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ)) [المؤمنون:59].

الشرح:

نعم من صفات أهل الإيمان: أنهم آمنوا بربهم؛ آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، ولم يشرك بالله تبارك وتعالى لا شركًا أكبر ولا شركًا أصغر؛ وإنما عاشوا في ظل التوحيد الذي أمر الله -تبارك وتعالى- به، ونهى أن يكون معه شريك في العبادة؛ كما لم يكن له شريك في الخلق والملك والتدبير.

المتن:

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا؛ ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت؛ قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت؛ قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث

حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الخصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة"؛ قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي؛ فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم؛ فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ ثم نهض فدخل منْزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه؛ فقال: هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون؛ فقام عكاشة بن محصن؛ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم؛ قال: أنت منه؛. ثم قام جل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم؛ فقال: سبقك بها عكاشة".

الشرح:

ما شاء الله.

أول الحديث.

الطالب:

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا؛ ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت.

الشرح:

هذه القصة الثابتة اشتملت على فوائد؛ منها: أن من سنة السلف مذاكرة العلم، وأن بعضهم يستفيد من بعض، وبعضهم يسأل بعضًا؛ فأصبحوا ذلك من العلماء؛ لأن العلم: قال الله وقال رسوله عليه الصلاة والسلام، ومذاكرتهم في نصوص الكتاب والسنة.

ثانيًا: في القصة البعد من الرياء؛ لأن الذي سأل عن الكوكب قال: وقال رآه، اعتذر قال: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت يريد أن يبعد عن نفسه الرياء، والتحدث بما لم يكن عليه من العبادة وذلك لمعرفتهم بخطر الرياء الصغير والكبير.

وفيه أيضًا: أن العلم يأخذ بالرواية كما يأخذ العلم بالدراية يأخذ الرواية؛ فما هو إلا نقل العدل إلى العدل؛ حتى يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جبريل –عليه السلام– وإلى الله –تبارك وتعالى–؛ فهذا سند العلم العدل من الأمة عن العدل؛ أعني الصدوق عن الصدوق سواء ذكرًا كان أم أنثى؛ حتى يرويه الصحابي عن النبي صلى الله علي وسلم، والنبي عليه الصلاة والسلام سمعه من جبريل، وجبريل تلقاه من رب العالمين؛ فصار الوحي كله حق وصدق، والناس عملوا بما رواه العدل عن العدل والثقة عن الثقة ولم يشترط غير هذا.

في شبهة يرددها من قل نصيبه من العلم ويُدْلي بها على طُلاب العلم؛ وهذه الشبهة يقولون: كيف نأخذ مثلاً عن البخاري؟ ومن الذي أخبرنا أو أدْرانا أن هذه الأحاديث التي أودعها البخاري في الكتاب أنها عن رسول الله؟ وهكذا في بقية الكتب والتفاسير وهي شبهة خطيرة؛ يريدون أن يشككُ الناس في دينهم، ويُلْبسوا عليهم أمر دينهم؛ حتى يبقى من قل نصيبه من العلم في حيرة، وممن سمعتهم بأُذْني واحد هكذا لُبِّس عليه؛ فأخذ يُلبس على الناس؛ قال: هذا كتاب التويجري "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ" من الذي أخبرني بأن التويجري هو الذي ألفه؟ قلنا: هذا القول نُقل العدل عن العدل، والكتاب موجود ومدون وأصوله عند في مكتبة صاحبه لا يحتاج أن تشك فيه، لا تخادع نفسك ولا تضل الناس؛ فإنكارك لأنك لا تدري أكتبه التويجري أم غيره؛ هذا يسري على جميع المؤلفات؛ من الذي لحقناه وعرفنا أنه هو الذي ألف هذا الكتاب؟! كأهل السنن وأهل المسانيد وأهل الصحاح وأهل تفسير القرآن، ما شك في هذا أحد من المسلمين؛ لأن العلم ينقله العدل عن العدل حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما بعد رسول الله إلا جبريل الأمين الذي زكاه الله عن رب العالمين؛ فهي شبهة خطيرة لكنها لا تَمُر إلا على من قل نصيبه من العلم؛ فالعلم وصلنا رواية ودراية العدل عن العدل بسند متصل وما كان غير متصل؛ هيأ له

الله علماء أفاضل بينوا ما إذا كان فيه ضعف، وما كان منكر، وما كان مطلوبًا من أهل الباطل؛ كل ذلك فُرِض وبُيِّن فما بقي هناك أي إشكال.

وفي القصة معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث رُفع له في الأفق ورأى الأمم على الوصف الذي جاء في هذا الحديث؛ رأى النبي ومعه الرجل، ورأى النبي ومعه الرجلان، ورأى النبي وليس معه أحد؛ والمعنى: أن من الأمم من كذبوا نبيهم ولم يؤمنوا بما جاء به ولم يؤمن به أحد؛ فدعاهم إلى الله وكذبوه فحاط بهم سوء العذاب، والنبي ومعه الرجل آمن به الواحد؛ كما في قول الله عن إبراهيم: ((فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ)) [العنكبوت: 26]

((هنا حدث انقطاع في الشريط))

أي آمن به اثنان، والنبي وليس معه أحد؛ أي: لم يؤمن به أحد! ثم رأى موسى وقومه وكانوا أكثر الأمم رأى سواد عظيم؛ فقيل له: هذا موسى وقومه وهم أكثر قوم بني إسرائيل قوم موسى؛ ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم أمته رُفع له سواد عظيم؛ فقيل له: "يا محمد هذه أمتك" ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وقد جاء في بعض الروايات: "مع كل ألف سبعون ألفًا" وهذه من فضائل هذه الأمة، مع كل ألف سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فاشتاق الناس إلى معرفة ما هؤلاء، ما صفاتهم وما هي أعمالهم؛ فأخذوا يتحدثون ليلتهم لعلهم يظفروا بحقيقة هؤلاء، وحقيقة أعمالهم؛ فبعضهم قال: "لعل هؤلاء الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا" وقال بعضهم: "لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ ثم لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم أخبره وسألوه؛ فقال: (هم الذين لا يسترقون)؛ أي: لا يطلبون الرقية من غيرهم؛ لأن طلب الرقية من الغير قد يكون سبب في ميلان القلب إلى هذا الغير، وتعلق القلب به، فمن كمال التوحيد: أنه لا يطلب، وهل يمنع أن يرقي نفسه؟ أو إذا رقاه راق بدون طلب هل يمنع من ذلك؟ لا، إذا رُقِيَ بدون طلب ما علق قلبه بالراقي، وإذا رقى نفسه ما علق قلبه بغيره؛ وإنما عمد إلى سبب مشروع أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وفُعل بالنبي صلى الله عليه وسلم فرُقِيَ، رقاه جبريل -عليه السلام- لما سُحِرَ فلم يمل القلب إلى الراقي.

ومن شروط الرقية: أن يعتبر -من يُرقى- أن يعتبرها سبب من الأسباب، ومن خير الأسباب التي يعالج بها، ولا يعلق قلبه بالرقية ولا بالراقي؛ يعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى وأنه

عمل سببًا مشروعًا فلا يمنع من أن يكون من يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ قال: (ولا يكتوون)؛ لما في الكي من التعذيب بالنا،ر ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعذيب بالنار؛ ولكنه أذن بالكي إذا كان ولابد؛ فلا حرج أن يكتوي ويعلق قلبه بالله –تبارك وتعالى– ويروى أنه كوى سعد مما أصابه من الجراح وتُوفي سعد، قال: (وعلى ربهم يتوكلون)؛ أي: يفوضون أمورهم إلى الله –تبارك وتعالى– في كل شأن من شؤونهم؛ لأن الله الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم؛ هو الذي أمرضهم وهو الذي يشفي؛ كما قال الله –عز وجل– إخبارًا عن إبراهيم: ((وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) [الشعراء: 80]

والتوكل على الله حاصل للمؤمن ولو رقى نفسه أو رقاه غيره ولم يعلق قلبه به أو رُقي بدون طلب، وهكذا حاصل لمن اكتوى عند الحاجة إلى الكي، واحتجم عند الحاجة إلى الحجامة، وعمل الأسباب المشروعة كلها؛ لا يمنع أن يكون من أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب، (....) هو تحبيب الإيمان في القلوب والعمل الصالح بالجوارح وحفظها من المحارم والمآثم وهؤلاء هم الذين يدخلون الجنة بدون أن تمسهم النار ولا يسمعون حسيسها، وفي الحديث في الصحيحين أن أول زمرة يدخلون الجنة على ضوء القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أكبر كوكب دريٍّ في السماء وهكذا بحسب العمل.

(ولا يتطيرون) من صفاتهم: أنهم لا يتطيرون؛ أي: لا يتشاءمون بشيء تقع عليه أبصارهم أو يسمعونه بآذانهم فيكرهونه فيتطيرون به؛ كما كان أهل الجاهلية يفعلون وذلك أن في الجاهلية كان إذا كان الرجل خارجًا من بيته قاصدًا سفرًا فسمع صوتا لا يعجبه؛ تشاءم به ورجع عن حاجته، أو رأى منظرًا لا يعجبه؛ كالأعمى والأعرج والطريح على الطريق؛ رجع إلى بيته ولم يمضي إلى حاجته تطيرًا؛ لذا جاء في تعريف الطِيَرَة أنها ما أمضاك أوردك؛ يعني: إن رأى شيئًا لا يعجبه رجع وترك حاجته، وإن رأى شيئًا يعجبه مضى لحاجته ولم يرجع، وهذا من فعل الجاهلية فبرء الله منه أهل الإيمان الكامل الذين حققوا التوحيد أتم التحقيق، وخَلَّصوه من جميع شوائب الشرك من الشرك الأكبر والأصغر والخفي والبدع وكبائر الذنوب والإصرار على صغائرها خلصوا توحيدهم من ذلك كله والله أعلم.

الطالب:

أحسن الله إليكم

عُكّاشة يا شيخ عُكّاشة ابن محصن

يقول عُكّاشة ابن محصن

الشيخ:

هذا صحابي جليل وقصته أنه علم من أعلام النبوة حيث سأل الله أن يكون من السبعين يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب؛ قال له: أنت منهم، انتهى إذا قال الرسول أنت منهم ما بقي شك ولا جدل، يموت على التوحيد التام ويبعث من السبعين الألف؛ فطمع رجل آخر؛ فقال: يا رسول الله أدعوا الله أن يجعلني منهم؛ قال: سبقك بها عكّاشة، هذا بيان أن الرسول لا يقول إلا بوحي من الله، وهذا الذي لم يقل له أنت منهم الثاني ما جاء الرسول به وحي أنه منهم، ولا يمنع أن يكون من عباد الله الصالحين (....) من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن الذين طمعوا في الخير وأحبوا الخير والجزاء عليه.

الطالب:

أحسن الله إليكم يا شيخ ذكرتم أن كلمة "لا إله إلا الله" دلت على توحيد الألوهية بالمطابقة وعلى الربوبية بالالتزام وعلى توحيد الأسماء والصفات بالتضمن نرجو توضيح ذلك.

الشيخ:

معنى ذلك دلالتها على توحيد الإلهية بالمطابقة؛ لأن معنى لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود حق إلا الله -عز وجل- فبمجرد النطق تعرف أن من قال لا إله إلا الله؛ حقق هذا النوع من أنواع التوحيد الذي هو توحيد الألوهية .

وعلى توحيد الربوبية باللزوم؛ أي: أن من وحد الله -تبارك وتعالى- لزمه من وحد الله ب باللزوم وإلاّ بالتّضمن

الطالب:

بالالتزام.

الشيخ:

كلها واحد بالُّزوم و بالالتزام، نعم دلت على توحيد الربوبية بالالتزام؛ أي: من وحد الله لزمه أن يقر بأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الكون، ودلت على توحيد الأسماء والصفات

بالتضمن؛ وذلك أن من وحد الله في إلهيته وفي ربوبيته تضمن توحيده هذا الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

الطالب:

يا شيخ هل ثبت أن الذين يعذبون بالكروب يوم القيامة؟

الشيخ:

يعني ما دخلوا النار هؤلاء ما أدخلهم النار لذنوبهم؛ ولكن صار من عقوبتهم الكروب التي تعلوهم يوم القيامة والهموم والخوف، شدائد من كرب يوم القيامة وهذا من تعذيب للنفس؛ لكنه ما أدخلهم النار.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: الخوف من الشرك.

وقول الله -عز وجل-: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]

وقال الخليل عليه السلام: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: 35]

وفي الحديث: "أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر؛ فسُئِلَ عنه؛ فقال: الرياء" رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: "من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار" رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: "من لقي الله وهو لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار".

الشرح:

مناسبة هذا الباب للأبواب التي قبله هي أن الأبواب التي قبله في بيان حقيقة التوحيد وفضل التوحيد، وبيان أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، فكل الأبواب الثلاثة

تتعلق بالتوحيد بحقيقته وأنواعه وفضله وثواب من حققه، ولما كان ضد التوحيد؛ الشرك؛ أتى المصنف بهذا الباب بعد الكلام على التوحيد؛ ليُبين خطر الشرك على الموحد وأنه يخشى على الموحد أن يدخل عليه نوع من أنواع الشرك لاسيما الأصغر.

والشرك معناه: جعلوا شريك مع الله -تبارك وتعالى- في العبادة.

أو هو عبادة غير الله أو عبادة غيره معه، عبادة غير الله؛ كعبادة الأصنام والأوثان وسائر المعبودات من معبودات الأرض والسماء؛ لأنها غير الله -تبارك وتعالى- مخلوقة، أو عبادة غيره معه؛ أي: من يعبد الله ويعبد غيره فهو مشرك شرك أكبر ولا ينفعه أنه يعبد الله في بعض الأحيان، ويعبد معه غيره من البشر من المخلوقات؛ بل عمله حابط ولو أشرك بنوع واحد من أنواع الشرك؛ إما الدعاء أو الرجاء أو الخوف أو الرغبة أو الرهبة أو الذبح أو النذر أو الاستعانة أو الاستعاذة، بنوع واحد من أنواع التوحيد أي أنواع الشرك أشرك؛ فإن عمله فإن عمله حابط، وهو مشرك شرك أكبر، وقول الله تعالى: ((وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)) [الفرقان: 23] بسبب الشرك إذًا هذه العبادات كلها من توجه بها لله -عز وجل- فهو الموحد ومن توجه بها إلى غير الله أو بعضها فهو المشرك؛ شركًا أكبر مخرج من الملة؛ وهو نوعان أكبر وأصغر، والفرق بينهما أن الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار إن مات عليه؛ أي: إن مات دون توبة؛ كمن مات وهو يستغيث بغير الله ولو صلى وصام؛ لكن يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله -عز وجل- أو يذبح لغير الله ولو شيئًا يسيرًا ولو كان يصلي ويصوم ويقرأ القرآن، ومما يؤسف له قُرَّاء يحفظون القرآن عن ظهر قلب وهم (...) عبادة الأضرحة وهذا كثير في البلدان الإسلامية الأخرى، وحما الله هذه البلاد فلا يوجد في مسجد قبر ولا يوجد في أرضها وثن يعبد ظاهرا أبدًا والفضل لله -عز وجل- ثم لما نشر من العلم من عهد إمامين مجديدين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الكبير الأول، صار الأمر على ما كان عليه من هدم الأصنام والأوثان و(.....) والمعبودات من دون الله واتسع نطاق الدعوة من ذاك اليوم إلى يومنا هذا؛ فالتوحيد هو المعلن والشرك كَبت الله -عز وجل- أهله، وأبصر الناس وعرفوا بأسباب ملموسة، كأسباب والمناهج المقررة في المدارس والجامعات والمساجد، يُبدأ بتصحيح الاعتقاد فيها؛ بخلاف الدول الأخرى غفلوا عن هذا، وابتلوا بوضع القبور في المساجد في معظم المساجد؛ فلحق الضرر

الكبير هذه الأمة وتوارثوا هذا الشرك ومع الأسف يتعصبون له، ويتعصبون على من يريد أن يثنيهم عنه، ويقولون: أنتم تبغضون الصالحين من أولياء الله، يظنون أن محبة الصالحين عبادتهم؛ وهذا من الجهل الفظيع؛ لهذا من توجه بعبادته لغير الله -عز وجل- من حي أو ميت أو جماد أو ملك أو غيرها من مخلوقات السموات والأرض فهو مشرك شرك أكبر.

والنوع الثاني: الشرك الأصغر وله صور متعددة والفرق بينه وبين الأكبر أن الأكبر يكون صاحبه خالد مخلد في النار إذا مات عليه، وأن الأصغر لا يخرج من الملة إن كان صاحبه مسلمًا لا يخرجه من ملة الإسلام، ولكنه ينقص ثواب عمله ويكون فاسق لما ارتكب من كبيرة؛ بل أكبر من الكبائر، الشرك الأصغر أعلى من كبائر الذنوب الزِّنا والسرقة شرب الخمر ونحوها، وله صور؛ أقوال وأفعال ومن صوره: يسير الرياء، قال العلماء: يسير الرياء إشارة إلى أن الرياء ليس نوع واحدًا؛ بل الرياء نوعان أصغر وأكبر؛ فالأكبر من النوعين مثل الشرك الأكبر وهو شرك المنافقين؛ كما قال الله عز وجل عنهم ((وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا))[النساء: 142] وهو أن يكون الباعث عن العمل غير الله -تبارك وتعالى- وعلامته أنه إذا خلى لا يذكر الله ولا يقيم شيئًا من شعائر الله، وإذا اجتمع مع الناس صلى كما يصلون وذكر كما يذكرون وجاهد كما يجاهدون لمصلحة دنيوية حفظ المال والحفظ على النفس والعرض وما شَاكَل ذلك من مصالح ذاتية؛ فهذا إن مات عليه صاحبه فمقره مع المنافقين -والعياذ بالله- ((يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)) [النساء: 142].

والنوع الثاني: الأصغر وهو خطير على أصحابه، وهو الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: (أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر الرياء)، وذلك بأن يكون الباعث للمسلم على العمل وجه الله والدار الآخرة؛ ولكن يطرأ عليه ما ينقص ثواب عمله؛ كأن يكون قاصدًا المدح له والذكر له بخير؛ بحيث إذا كان يصلي زاد في صلاته، وإن كان يُعلِّم زاد في تعليمه، وإن كان يعظ زاد في الموعظة، من أجل فلان أو فلان، يتحول عن عادته وأسلوبه ونيته من أجل أن يُذْكَر فيُمدح بالعمل الذي هو فيه؛ هذا قارئ يقرأ على الناس والناس فيه بين مستقل ومستكثر يقوم بالعبادة لله ورجاء ثوابها من الله؛ حتى يطرأ عليه طارئ إما يراه الناس فيحب مدحهم والثناء منهم وذكرهم له بحسن العبادة؛ تحولت النية من القصد لعمل

وجه الله والدار الآخرة إلى القصد الآخر وهو ثناء الناس ومدحهم له، وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد من أحس بشيء من ذلك أن يقول: (اللهم إني أعوذ أن أشرك وأنا أعلم وأستغفرك لما تعلم) وهذا من الأذكار التي يدفع الله -عز وجل- بها شر الشرك الأصغر عن المسلمين اللهم إني أعوذ أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما تعلم؛ فهو خطير على صاحبه إن استرسل فيه جره إلى الأكبر وإن استدرك وعدل ورفض هذا الطارئ رحمه الله وسَلِم وهذا من الأعمال الباطنة، وهناك ألفاظ من الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله -عز وجل- كالحلف بالأمانة والحلف بالأب والأم، والحلف بالجاه والشرف، والحلف بالأخوة والعزة، وما شاكل ذلك هذه كلها من الشرك الأصغر إذا لم يقصد به تعظيمًا كتعظيم الله -تبارك وتعالى- وكفارتها: الاستغفار والتوبة الصادقة؛ وإلا فهي خطيرة لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (من حلف بغير الله فقد كفر أو فسق)؛ والمراد به: الشرك الأصغر والكفر الأصغر العمل؛ إلا أن يعظم المحلوف به كتعظيمه لله وهو شرك أكبر، إذا عظم المحلوف به كتعظيمه لله إذا حلف بالله فهو شرك أكبر؛ وإلا فالأصل فيه أنه من أنواع الشرك الأصغر.

ومن الشرك الأصغر: إسناد النعم إلى غير المنعم؛ كأن يقول القائل: لولا فلان محصل لي كذا وكذا، ولولا الكلب لأتانا اللصوص، ولولا كذا لأتى كذا؛ هذا الأصل فيه أنه من أنواع الشرك الأصغر؛ لكن إذا أسند النعمة إلى ذات الشخص وأنه هو المتصرف في ذلك تحول من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر؛ إذا ادعى التصرف وأنه هو الذي تصرف نتج عنه السلامة أو نتج عنه الهلاك أو نحو ذلك، وفي الحديث: (إنما الأعمال بالنيات) فنوى الأصغر وقع الأصغر، وإذ أتى بألفاظ التي تدل على الشرك الأكبر ناويًا بذلك تعظيمًا للمحلوف به؛ فهو شرك أكبر.

المتن:

وقول الله —عز وجل-: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) [النساء: 48]

الشرح:

الآية صريحة آية محكمة صريحة في بيان أن من مات على الشرك الأكبر؛ فإن الله لا يغفر له أبدًا، لا نصيب له في رحمة الله ومغفرته؛ وإنما مأواه النار وبئس القرار؛ كما هي صريحة في أن مادون الشرك الأكبر أنه تحت المشيئة الإلهية، والخلاف بين العلماء الخلاف بين أهل العلم في الشرك الأصغر هل هو داخل في عموم الآية فلا يغفر أم أن الآية من العام المراد به الخصوص؟ العام المراد الخصوص به؛ أي: خاص الحكم لمن مات على الشرك الأكبر فيكون الشرك الأصغر صاحبه تحت المشيئة والموازنة بين الحسنات والسيئات، وعلى كلٍ أنه لا يكون من الخالدين في النار وإن عذبه الله بالنار فإنه بما معه من التوحيد وإن ضل يكون مآله الجنة بعد أن يعذبه الله بقدر ما أشرك.

الخلاصة أن للعلماء رأيان في المشرك شركًا أصغر؛ هل هو داخل تحت المشيئة كأهل الكبائر إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له أم أنه لابد أن يعاقب على شركه الأصغر في النار ثم إن مآله إلى الجنة بحسب ما معه من التوحيد؟ وسبب هذا الخلاف ومنشئه هل الآية الكريمة: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) هل المراد به الشرك بنوعيه أم المراد به الشرك الأكبر؟ فمن رأى بأنه المراد بالآية الشرك الأكبر فقط وتكون من باب العام المراد به الخصوص الذي يرى هذا؛ يعتبر الشرك الأصغر تحت المشيئة الإلهية إن شاء الله عذب صاحبه وإن شاء غفر له، ومن رأى بأنه باقية على عمومها رأى أن المشرك شرك أصغر إذا مات عليه بدون توبة؛ لابد أن يعذب بقدر ما أشرك ثم مآله إلى الجنة بما معه من التوحيد والأعمال الصالحة، والحقيقة الواجب الاحتياط، الاحتياط والعمل الجاد حتى لا يقع الإنسان في الشرك الأصغر؛ لأن الشرك الأكبر واضح صرف عبادة لغير الله، والشرك الأصغر له صور أعمال ظاهرة وأعمال باطنة ويتساهل فيه الناس؛ فيهتم المرء المسلم بالوقاية منه، والوقاية تحصل بفضل الله وإعانته ثم بدراسة أنواع التوحيد دراسة تفصيلية و بدراسة أنواع الشرك دراسة تفصيلية حتى لا يقع في نوع من أنواع الشرك الأصغر وهو ما يعلم؛ فيكون قد قصر في علم أوجبه الله -تبارك وتعالى- وجعله فرض عين على كل مكلف؛ فلا يعذر المشرك في شركه؛ يعذر عوام الناس في دقائق المسائل والأحكام لكن لا يعذر في التوحيد والشرك؛ ولهذا أنظروا إلي أصحاب الفترات الذين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لما كانوا على الشرك؛ ما عذرهم الله -عز وجل-؛ بل يمتحنهم يوم القيامة فالمطيع ينجو

والعاصي يهلك، وإبراهيم –عليه الصلاة والسلام– أبو الأنبياء الذي كسر الأصنام وغامر بنفسه حتى أُلقي في النار بسبب الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك؛ كسر أصنامهم كما هو معلوم من قصة الحوار الذي جرى بينه وبين قومه، وفي مقدمتهم الملك الجبار، وفي مقدمة القوم أبوه، ومع ذلك خاف على نفسه من الشرك بجميع أنواعه قال: ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)) [إبراهيم: 35] خاف على نفسه وطلب من الله وقد أكرمه الله بالوحي وقوة البصيرة، ومع ذلك خاف على نفسه من عبادة الأصنام، وخاف على بنيه من عبادة الأصنام؛ لأن العدو يزين للناس عبادة الأصنام؛ لأنها ذنب لا يُغفر، وهذه أمنية إبليس وجنده؛ كما قال –عز وجل–: ((إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) [فاطر :6]

المتن:

وقال الخليل –عليه السلام–: ((وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)) [إبرهيم :35]

وفي الحديث: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسُئل عنه؛ فقال: الرياء).

الشرح:

نعم من صوره من صور الشرك الأصغر التي خشي النبي صلى الله عليه وسلم على أمته الوقوع فيها الرياء، والمراد به: الرياء الثالث الذي هو الرياء الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام؛ كما مضى بيانه، أما الرياء الأكبر فهو شرك المنافقين –والعياذ بالله– والفرق بينهم ظاهر، وهو أن الرياء الأكبر أن يكون الباعث على العمل قصد مرآءة الناس ومحبة مدحهم وثنائهم على الشخص، وصيانةً للنفس وحفظًا للمال والعرض وليس له غرض في رحمة الله أو مغفرته.

شرح فضيلة الشيخ:

الشريط الثالث

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

الشيخ:

وَهَذا هُوَ شِرْكُ المنافقين وإنْ تَسَمَوْا بالمسلمين؛ وأما الرياء الأصغر كما أَسْلَفْتُ؛ فالباعث فَهْوَ طَارِئ والباعِثُ على العمل؛ إذا كان من الواجبات هِيَ القيام بالواجب؛ كالصلاة مثلا في المساجد، يخرج يريد أن يصلِيَ لله في المسجد، فَيَعْرِضُ لَهُ ويقرأُ أنْ رأى جماعة يُحب مدحهم وثنائهم فزاد في صلاته حُسْنًا، فَكَلَّفَهُ هذا الذي زادهُ في صلاتهِ باطل لا ثوَابَ لَهُ فيه، لكِّنه لا يُخْرِجُهُ مِنَ الإسلام، ولا يُكلَّف بإعادة الصلاة وهكذا بقية الأعمال، إذا طَرَأَ على الإنسان شيء إنْحَرَفَ بِهَا عن الإخلاص فيها وقع في الشرك الأصغر؛ لذا لكثرة

وقوعه في الأمة قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)). ثم فسره بالرياء، فلابد من التفصيل بين النوعين.

المتن:

وعن ابن مسعود رضي الله أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من مات وَهْوَ يدعو لله نِدّاً دخل النار)). رواه البخاري.

الشرح:

نعم.

من مات وهو يدعو يُفْهَم منه أنَّ الدعاء عِبادة، الدعاء عِبادة صَرْفُهَا لله توحيد، وصَرْفُهَا لغير الله شرك؛ قال الله تعالى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}. [المؤمنون:117].

فأعتبر الله -تبارك وتعالى- من مات على دعاء غير الله فهو كافر، يدعوه ويرجوا منه جلب المصلحة ودفع الضُّرْ؛ كفر بذلك ونهى الله عن ذلك نَهْيًا صريحًا {فلَا تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً}. [الجن: 18]

{وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. [غافر:60]

فلم يأذَن سبحانه في دعاء غيره دعاء العبادة؛ إذا من مات على هذا العمل؛ مات على الشرك الأكبر، ومن مات على الشرك الأكبر؛ فإنه من أهل الخلود في النار {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}. [المدّثر:48] نعم.

المتن:

ولمسلم عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من لقي الله وهو لا يُشرِك به شيئا دخل الجْنة، ومن لَقِيَهُ يُشْرِك به شيئا دخل النار))

الشرح:

نعم من مات على التوحيد لا يشرك بالله شيئًا لا الشرك الأكبر ولا الشرك الأصغر دخل الجَنة؛ لأنه من أهل التوحيد ومن أهل العمل الصالح وجَزَآئُهُم عند الله الجَنة {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً}. [الكهف :107]

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [البقرة: 25]

إلى غير ذلك مِنْ وَعْدِ الله الكريم الذي لا يتخلَّفْ؛ أنَّ مَنْ مات على التوحيد على العمل الصالح والإيمان الحق أنَّه من أهل الجَنة؛ استمر على ذلك في حياة العمل حتى لقِيَ الله عز وجل، حتَّى أتاه من ربه اليقين وهو لا يشرك به شيئًا مُقِيمًا لفرائضه وواجباته مبتعدًا عَنِ الْمُحَرَّمَات من الشِّرْكِيَات والبِدَع والضَّلاَلاَت؛ دخل الجَنة عدا تفصيل في ذلك، وهو أنَّه قد يقع في الكبائر والكبائر أهلها تحت المشيئة، إنْ شاء الله عذَّب صاحب الكبيرة الذي مات مُصِرًّا عليها بدون توبة، عَذَّبَهُ بِبِدْءِ جِنَايَتِهِ؛ وإنْ شاء الله أنْ يَغْفِرَ لَهُ وقد أتى بأسباب المغفرة غَفَر الله له؛ بخلاف الشرك الأكبر والنِّفَاق الإعْتِقَادِي والكفر الأكبر والإلْحَاد الْمُخْرِجِ من الْمِلَّة هذه ذُنُوب لا تُغْفَر لا يَغْفِرُ الله لِأَهْلها؛ وفي هذا الحديث من العموم مثل ما في قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} [النساء :48]

والكلام (...) في الآية التي سبق ذكرها.

كلام بين الطالب والشيخ:

(.......) لأن الشرك الأكبر مخرج من الملة وان الرياء الأصغر طارئ لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام؛ أما الأكبر فهو شرك المنافقين، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار أشد عذابًا من الكفرة (...)

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقول الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:108]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعث مُعَاذًا إلى اليمن قال له: ((إنَّك تأْتِي قوماً من أهل الكتاب فلْيَكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية: إلى أنْ يوحدوا الله، فإنْ هُم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هُم أطاعوك لذلك؛ فأعْلِمْهُم أنَّ اللهَ افْتَرض عليْهِم صدقة تُؤْخَذ مِنْ أغنيائهم فَتُرَد على فُقَرائهم، فإنْ هُم أطاعوك لذلك؛ فإيَّاك وكَرَائِمَ أموالهم، واتَّقِ دَعْوَة المظلوم، فإنَّهُ ليس بَيْنها وبين الله حِجاب)). أخرجاه.

ولهما عنْ سَهْل بن سعد –رضي الله عنه– أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خَيْبَر: ((لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحب اللهَ ورسولَه، ويُحبُه اللهُ ورسولُه، يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْه، فبات الناس يَدُوكُون لَيْلَتهُم أيُّهم يُعْطَاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ــصلى الله عليه وسلمــ كلهم يَرْجُوا أنْ يُعْطَاها، فقال : (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل: هو يَشْتَكِي عَيْنَيْه، فأرْسَلُوا إليه، فأُتِيَ بِهِ فبَصق في عينيه، ودعا له، فَبَرَأَ كأنْ لم يَكن به وجَع، فأَعْطَاه الراية وقال: ((أنْفُذ على رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِل بِسَاحَتِهم، ثم ادْعُهُم إلى الإسلام وأخْبِرْهُم بما يجب عليهم مِنْ حق الله تعالى فيه، فو الله لأَنْ يَّهدي الله بك رجلاً واحدًا، خير لك مِنْ حُمْرِ النَّعَم)). يَدُوكُون: يخوضون.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المناسبة بين هذا الباب وبين الباب الَّذِي قبله وهو الخوف من الشرك؛ أن لا اله إلا الله توحيد من قالها مُسْتَوفيًا لشروطها وحقوقها فهو الْمُوَّحِد؛ والتوحيد ضِدُه الشرك؛ ثم أورد المؤلف –رحمه الله– الآية الكريمة {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي..} والآية الكريمة فيها دليل على أهمية شأن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ وما ذلك إلا أنَّ الرسل الكِرام والأنبياء العِظام والصالحين مِنَ الأنام كلهم دُعَاة إلى الله –تبارك وتعالى–؛ أي: إلى تَوْحِيدِهِ وإلى إقامة فرائضه وواجباته ومتابعة رسله ولَمَّا كانت الدعوة إلى الله عز وجل لا تقوم إلا على ركائز، ومن أول الركائز العلم؛ قال على بصيرة أدعوا إلى الله؛ أي: دعوة إلى الله عز وجل؛ دعوة يُرَاد بها وجه الله والدار الآخرة؛ فليس داعيًا إلى شَخْصِه ولا إلى غير الله تبارك وتعالى؛ كما يفعل من يقع في حُب الْمَحْمَدة والثناء والمدح من الناس لا يريد ثواب الله والدار الآخرة؛ فكُل عِبادة يجب أن تكون خالصة لله؛ يبتغي بها العابد وجه الله والدار الآخرة؛ ومن ذلك وفي مقدمة ذلك الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ التي هي وظيفة كل

رسول وكل نبي وكل عبد صالح من بني آدم، ولا يكون عبد صالح إلا إذا كان من أهل العلم والمعرفة؛ ولو كان من أهل العلم الواجب فقط الذي يجب عليه ويكون فرض عين؛ فهو من الصالحين بقدر ما معه من العمل والصلاح؛ وأما العلماء الربانيون الذين تَرَبَّوْا على الكتاب والسنة تربية سليمة ونشروا ذلك في الناس وتَوَسَّعُوا في العلم؛ فهؤلاء هؤلاء أتْباع الرسل والأنبياء حقًّا؛ وهم في الصف الأول مِنْ غيرهم مِنَ الناس؛ لِذا قال الله تعالى: {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ}؛ ثم قال: {عَلَى بَصِيرَةٍ} شرطان أساسيان في قبول الدعوة.

الشرط الأول: أنْ تكون الدعوة خاصة لله -تبارك وتعالى-؛ لا يريد بها إرادةً دنيوية ولا شخصية؛ ثمَّ تكون على بصيرة؛ أي: على علم يَدعُ بعلم لا يَدعُ بجهل؛ فإنَّ الداعية وهو جاهل ولو حَسُنَت نِيَّتُه لا تصح دعوته ولا يجوز له إلا أنْ يدعوا في حدود ما يعلم؛ فالقدر الذي يَعْلَمُه من العلم يَدْعُوا إليه؛ والذي لا يَعلَمُه لا يجوز له أنْ يتكلف شيئًا لا يَعلمُه؛ إذًا فالدعوة إلى الله أولها دَعْوةٌ إلى تحقيق لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله؛ فإذا حقَّقَ الناس الركن الأول مِنْ أركان الإسلام شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله؛ حققها كما يجب أنْ يَعْلَمَها وأنْ يَعْمَل بها بعد ذلك تأتِي الأعمال تِبَاعًا بعدها لهذا لَمّا بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم ومَكَثَ في مكة ثلاث عشرة سنة ما دعا إلى شيء إلا إلى تحقيق لا إله إلا الله والإيمان برسالته؛ وفي آخر هذه السنوات فُرِضَتِ الصلاة ركعتين ركعتين؛ ولم يُفْرَض شيئًا مِنَ الأحكام والواجبات والفَرَائِض إلا بعد ذلك في المدينة؛ وهو دليل على أهمية كلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ وكم لها مِنْ فضل كما سبق مَعَنَا في الأبواب المتقدمة أنَّ مَنْ قالها مُوقِنًا بها، عالمِا بها، عاملاً بمقتضاها؛ فهو مِنْ أهل التوحيد وتَعْصِم دمه وماله وعرضه في الدنيا وتكون شافعةً له يوم القيامة؛ لأنها مِنْ أفضل القربات وأجَّلِ الدعاء والذكر، ولما كان الدعوة تحتاج إليها البشرية في كل زمان وفي كل مكان فلا يمكن أن يُغَطِّيها واحد في الأزمنة والأمكنة؛ قال الله -عز وجل-: {أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}؛ أي: الرسول عليه الصلاة والسلام وأتْبَاعه جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها؛ العرب والعجم والأحمر والأسود والذكر والأنثى

كلهم يجب أنْ يأخذوا نصيبهم من العلم وأنْ يكونوا دعاة إلى الله تبارك وتعالى بأقوالهم وبأفعالهم؛ كلٌ بِحَسَب ما عِندَهُ مِنَ العلم وبِحَسَب القدرة والإمكان؛ لذا هذه بشرى عظيمة لمن دعا إلى الله في قوله أو فعله بكلمة تقال، أو بموعظة تُلقَى، أو بِدَرْس يُقَام، أو بخطبة جمعة، أو محاضرة، أو مشاركة بندوة مثلاً، أو بنصيحة من النصائح، إلى مالا يدخل تحت الحصر؛ كل هذه الأنواع دعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ إذا قصد بها الداعي إخراج الناس من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة فهو من الدعاة إلى الله؛ وحيث إنَّ الناس يَتَفَاوَتُون كَثرة وقِلة؛ فالأجر يُعطِيه الله تبارك وتعالى بحسب ما يقدم الإنسان من العمل {فمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} [الزلزلة:7-8]

لا إله إلا الله؛ وختم الله عز وجل الآية بتَنْزِيهِهِ تبارك وتعالى عمَّا وصَفَهُ به أهل الشرك والضلال؛ قال: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} براءة مِنْ الشرك وأهله وكل مسلم مِنْ أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فقط تَبَرَّأَ مِنَ المشركين، وتبرأ من الشرك وأعمال الشرك؛ لأنه من أهل التوحيد، ولما كان الشرك قد يخفى على الإنسان؛ لذا أُمِر الإنسان بالتزود مِنَ العلم؛ حتى يحقق التوحيد؛ وإذا حقق التوحيد فإنه يتبرأ من الشرك والمشركين؛ وإن طرأ عليه طارئٌ قلبي فإنه يَسْتَعِيذُ بالله مِنْ ذلك كما في الدعاء المأثور: ((اللهم إني أعوذ بك أنْ أُشْرِك بك شيئًا أعْلَمُه وأَسْتَغْفِرُك مما لا أعلمه)) هذا دعاء المؤمن؛ يخاف على نفسه فالنفس ضعيفة؛ دائمًا وأبدًا يُكْثِر الإنسان مِنْ هذا الدعاء؛ لاسيما إذا قدَّم عملاً صالحا رضيه لنفسه ورجا ثوابه وخاف أن يخدشه شيء من الرياء أو السمعة أو نحو ذلك؛ يَعْمِدُ إلى هذا الدعاء فورًا: ((اللهم إني أعوذ بك أنْ أُشْرِك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك مما لا أعلمه)) والله غفورٌ رحيم يصلح الله حاله؛ لأنه يُحِّب توبة العبد ولُجُوءَهُ إليه؛ وفي الآية دليل على عِظَمِ جِرْمِ أهل الشرك وأنهم أبعدوا أنفسهم عن رحمة الله؛ إذْ أنَّ المشْرك لا يستحق المغفرة والرحمة أبدًا؛ لأنه لم يأتِي بأسبابها.

فأسباب الرحمة والمغفرة والشفاعة أسبابها أنْ يكون مُوَحِّدًا لله، ولو كان منْ أهل اقتراف المعاصي لكنه من أهل التوحيد؛ وإنْ عُذِّبَ في النار فليست كنار الكافرين وإن كان لا يُسْتَهَان بشيء منَ النار ولا مِنْ حَرِّها، ولكن يُرْجَى له أنْ ينتقل يومًا ما من النار إلى الجنة؛ وهذا خيرٌ وأبقَى مِنْ أنْ يَبْقَى خالدًا مخلدًا في النار مثل أهل الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الإعتقادي، هؤلاء لا خروج لهم من النار، ولا يجدون رائحة الجنة؛ والْمُشرك هو الذي تَسَبَّبَ في طرده مِنْ رحمة الله تبارك وتعالى. نعم.

المتن:

عنِ ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث مُعَاذًا إلى اليمن قال له: ((إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله))

الشرح:

وهذا الحديث الجليل فيه دليل صريح على أنَّ مَنْ وَلَّاهُ الله أمْرَ المسلمين يجب عليه ويُفرض أنْ يَهْتَمَّ بشأن الدعوة؛ وأنْ يَبْعث الدُّعاة إلى الأقطار التي يمكن أنْ يصل الدُّعاة إليها؛ والنبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ وهو في المدينة إلى اليمن في الأوقات التي ليس فيها من المراكب ما يوجد الآن؛ بعثه إلى اليمن ليكون داعيًا ومعلمًا للناس؛ وهو دليل على عِظَم شأن الدعوة إلى الله عز وجل؛ ثم أعلمه بأي شيء يبدأ؛ يبدأ بالدعوة إلى التوحيد إلى تحقيق لا إله إلا الله محمدا رسول الله؛ لأنَّ مَنْ قالها علمًا وعملاً؛ فقد دخل في الإسلام؛ ثم يطالب بعد ذلك بفرائض الإسلام وحقوق الإسلام؛ لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لِمُعاذ: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله)؛ ركن واحد لا يفرق بينهما لا إله إلا الله تجريد العبادة لله ونَفْيِها عن من سواه، وأن محمدًا رسول الله تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا لغيره؛ لأنَّ الله هو الذي بعثه وأرسله وأمَر الناس

بإتباعه؛ كما في قوله الحق: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران :31]

ثم أخبره بأنَّ أهل الكتاب الذين هم اليهود والنصارى -وكانت اليمن مملوءة بهم- أنهم على علم بالكتب السابقة فليكن دعوتهم بما يناسبهم عندهم من الجَدَل وعندهم شيء من العلم من الكتب الأولى فليُبَيِّن لهم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ شريعة الإسلام وأنه لا يُقبل منَ الدين إلا ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يُتَّبَع أحد من المرسلين الأولين إلا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ رسالته عامة وشاملة وناسخة لجميع ما قبلها؛ ما كان صحيحًا وما كان باطلاً؛ مهيمن دينه على جميع الأديان ولا يجوز لأحد أنْ يعبدَ الله بالتوراة أو الإنجيل أو الزبور أو أي شيء من الصحف والكتب التي أنزلها الله على الأنبياء من قبلنا، لو كان من أُنْزلت عليهم أحياء ما وسعهم؛ إلا أن يتبعوا محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ كما في قوله: {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ}؛ كما في قوله -عز شأنه-: {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} [الأعراف: 158]

وقال -عزَّ وجل-: {ومَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء :107]

{وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ :28]

دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وشُمولها، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((لو كان أخي موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلا أنْ يتبعني)) وهو موسى الكليم منْ أُولي العزم أنزل الله إليه كِتابًا عَظِيمًا مَدَحَهُ الله في الفرقان بقوله: {إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} [المائدة :44].

لكن بعد الفرقان لا يجوز لأحد أن يقرأ شيء من التوراة ولا من الإنجيل، ولا يعبد الله بشيء من أحكامهما؛ لأن أحكام الإسلام هي المفروضة على الناس وهي الواجبة وهي التي منْ تمسك بها هُدِيَ إلى صِرَاط مستقيم؛ ومنْ عمد إلى غيرها سلك طريق الضلال؛ فلا

حجة اليوم لليهود والنصارى لا حجة لهم في قولهم نحن على دين وأنتم على دين؛ يَقُولُونَ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنتم على دين و نحن على دين وكلها سماوية؛ يعني يدعون صحة أديانهم وأنها من الأديان السماوية يوم أنزلت الرسل والأنبياء، هي دين سماوي ويجب عليهم أن يعبدوا الله بما فيها؛ ولما مات الرسل والأنبياء وحرفت تلك الكتب وجاءت الرسالة الخاتمة؛ لا يجوز لأحد أن يقول أنا على دين وأنتم على دين؛ بل الرسول بُعِث إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى ومَنْ سلك مَسْلَكهم؛ وبُعِث للعرب والعجم؛ وبُعِث إلى القاصي والدَّانِي إلى يوم القيامة؛ بل إلى عالم الإنس والجن جميعًا؛ ولا يَسَع لأحد الخروج عن شريعته أبدًا؛ ومنْ خرج عنها وادعى بأنها على دين سماوي فهو كاذب؛ وإنْ مات فهو من أهل النار بشهادة رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ قال: ((والله لا يسمع بِي أحد من هذه الأمة – أي: أمة الدعوة ليس أمة الإجابة أمة الدعوة كلها– قال: ((والله لا يسمع بِي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي جِئْتُ به إلا كان منْ أصحاب النار)).

يعني الخالدين المخلدين فيها والعياذ بالله والعكس بالعكس؛ من مات وهو يؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم علمًا وعملاً؛ فهو من أهل الجنة فما بَقِيَ لأحد مِن هؤلاء الضُّلَّال اليوم؛ هؤلاء الذين يشتمون الرسول عليه الصلاة والسلام ويقعون في عرضه من النصارى سببه الجهل الفضيع والعناد؛ لو أرادوا لَزَالَ الجهل في ساعات؛ زَالَ عنهم الجهل لو أرادوا الحق؛ لكنهم لا يريدون الحق أهل تَعَّصُب ذَميم على كتب محرفة وطاعة قَسَاوِسَة فُجَّار في الكنيسة؛ ضَلوا وأضَلوا عباد الله؛ وخَوَّفُوهُم من الإسلام و(....) فيه؛ وأنَّ محمدًا كذا وكذا، ولم يعرفوا فضله ولم يعرفوا قدره؛ وبعضهم يَعْرِف لكنَّه خبيث النفس كالشيطان الرجيم الذي أعترف بالله –عزَّ وجل– ولم يؤمن بما أمره الله تبارك وتعالى به. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–:

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث مُعاذاً إلى اليمن؛ قال له: ((إنك تأتِي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله – وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله – فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله

افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فَتُرد على فقرائهم، فإنْ هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائِم أموالهم، واتَّق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)). أخرجاه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبق معنا ما دلت عليه الآية الكريمة التي اسْتَدَل بها الإمام محمد بن عبد الوهاب على معنى شهادة أن لا إله إلا الله والدعوة إليها والآية هي قوله تعالى:

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108]

فقلنا إنها دلت على جملةٍ منَ المسائل مِنْ أبرزها:

أن الخطاب في قولة تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي} خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وكل من يصلح الخطاب له منْ أمته؛ وهم الذين يدعون بدعوته وعلى مِنْهَاجه على الطريقة التي دعا إليها وبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله: {هَذِهِ سَبِيلِي}؛ أي: الدعوة إلى الله التي تتضمن تبليغ الرسالة، وتتضمن بذل الجهد في تعليم الناس أمر دينهم على طريقة صحيحة توفرت شروطها، وهما: (الإخلاص، والمتابعة)، المتابعة لِمَا جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي قوله: {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} تقرير لوجوب الإخلاص في الدعوة؛ وأن الداعِيَة إلى الله بأيِّ أسلوب من أساليب الدعوة يَنوي ويُشعِر نفسه ويُلْزمها بأنه يَدعو عِباد الله يحتسب الأجر من الله تبارك وتعالى؛ الذي أخْلص له في الدعوة وسلك المنهاج الذي رسمه الله تبارك وتعالى له؛ فلا يجوز للداعِيَة أن يعدل عن هذا النهج الذي رسمه الله -تبارك وتعالى- لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولأمته ولا يجوز للداعية أن يُغَيِّر النية ويدعو وله مقاصد أخرى يتعلق بمتاع الحياة أو بالسمعة أو قصد المِدْحة أو لينال عرض من الدنيا؛ كل ذلك إذا أحس

من النفس أنها تطمح إلى هذه الأشياء وجب عليه أنْ يُذَكِّرَهَا بهذه الآية وأمثالها ويلزمها بلزام التقوى؛ ويُشعر نفسه بأنه لا ثواب يرجى إلا في العمل الذي يتوفر فيه شرطان اثنان: (الصواب والإخلاص)؛ لذا قال: {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}.

وفي قوله: ((عَلَى بَصِيرَةٍ)) المراد بالبصيرة: العلم الشرعي الذي أوْحَاه الله -تبارك وتعالى- إلي نبيه عليه الصلاة والسلام؛ الكتاب العزيز والسنة المطهرة؛ هذه البصيرة يتفاوت الناس فيها بحسب ما حَصَّلُوه من العلم، وبحسب ما تُبْذَل الجهود في تحصيل العلم، تحصيل البصيرة، وتقوى وهي بصيرة القلب يُبصر الإنسان بقلبه معالم الحلال ومعالم الحرام، ومراد الله -تبارك وتعالى- منه ومراد رسوله عليه الصلاة والسلام؛ وذلك ببذل الجهد في الطلب والتحصيل بأي وسيلة من وسائل التحصيل الشرعية؛ فيُصبحوا من أهل البصيرة الذين وفقهم الله وألهَمهُم؛ فصار شغله الشاغل أن يَطَّلِع على العلم وأن يحصل العلم لِيَعْلَمَهُ فيحل محل الجهل؛ ويعمل به فتأتي فيأتي الصحة في العمل؛ لأنه بُنِيَ على علم ويُعَلِّمَه الناس بقدر ما يستطيع ويتصدى لذلك لِيَتَأَسَّى بالرسل الذين بعثهم الله مُعَلِّمِين بعد أن عَلَّمَهم؛ فيأتي ورَثَتَهُم فيكونوا معلمين بعد أن يعلموا؛ فيحدث من الأجر الشيء الكثير الذي يكون سببًا في مرضاة الله -تبارك وتعالى- وسببًا في دخول الجنة مع أول الداخلين؛ لأن أفضل الناس في كل زمان ومكان العلماء العاملون؛ العاملون بعلمهم هم أَئِمة يعتبرون للناس والناس تبعًا لهم؛ وإن اقتدوا بهم في صالح الأعمال واجتناب مساوئ الأعمال أحرزوا من الأجر ما وعدهم النبي عليه -الصلاة والسلام- به في قوله: ((الدال على الخير كفاعله)).

والدلالة على الخير تأتي بالقول وتأتي الفعل؛ والتأسي بالناس للعالم في قوله وفعله؛ في قوله الطيب وعمله الصالح وسلوكه الإسلامي الصحيح وزهده وورعه عن المحارم وبذل جهده في الاقتصار على الحلال؛ والناس يقتدون به فيحرز أجر كل من اقتدى به في قول أو فعل؛ وهذه من أنواع الدعوة ومن أقسامها دعوة بالفعل والسلوك ولَمَّا كان النبي صلى الله عليه وسلم له أجلٌ محدود كغيره من الرسل والأنبياء السابقين وغيره من المخلوقات؛ فلا بد لهذه

الدعوة من أمة تقوم بها كما قام بها النبي صلى الله عليه وسلم فا؛لوُلَاة وُلَاةُ المسلمين كالملوك والرؤساء؛ هؤلاء يصنعون كما صنع الرسول صلي الله عليه وسلم من بعد الدعاة إلى الأماكن التي تحتاج إلى دعوة وإبلاغ لرسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، وربط المخلوقين بخالقهم وبارئهم؛ بفعل أمره واجتناب نهيه ومن أتاهم الله العلم ينشرونه بقدر استطاعتهم؛ ولو يستطيعوا أن يرحلوا لتبليغه وفعلوا لأصَابوا؛ وإن لم يستطيعوا فكل عالم في بلده وفي الوطن الذي يعيش فيه ينشر العلم؛ والعلم إذا نُشِر في مكان لا يبقى محبوسًا في ذلك المكان؛ بل يحمله المقيم والمسافر والغادي والرائح يحمل العلم ويُبَّلِغه أينما حلَّ؛ أينما حَلَّ من الأوطان؛ فإذا نشره وهو فرد واحد في بلدة أو إقليم من الأقاليم وأخذ عنه الناس العلم نشروه في الإقليم واسْتَنَاروا بنور ما سمعوا من العالم الذي أخذ نصيبه من العلم الشرعي وبلغه كما (.. ..)، وكما كانوا أصحابه يبلغون العلم في مشارق الأرض ومغاربها؛ فأَتْبَاعُ رسول الله حقًا أئمَتُهم العلماء؛ هم الذين يتولون دعوة الخلق ولا يمكن أن تصلح أمة أو مجتمع أو فرد بدون العلم؛ لا يمكن مهما توفر عندهم رغد العيش والأمن ووسائل الراحة ولكنهم بدون علم لا يَسْعِدُون ولا يجدون طعمًا للحياة؛ إلا إذا كان العلم منشور بينهم؛ قال الله وقال رسوله عليه الصلاة والسلام وفعل السلف الصالح كذا وكذا؛ لأنهم لا يفعلون إلا بعلم وبصيرة، فالحمد لله اقتنع كثير من طلاب العلم؛ و عرفوا حاجتهم واستسهلوا الصعب في تحصيل العلم والعناية به بكتاب الله عز وجل وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام بآثار الصحابة بسلوك السلف وزهدهم وورعهم وحسن دعوتهم؛ فصار من حسن حظهم ذلك؛ لذا قال الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي} اتبعه في العلم والعمل؛ والدعوة من العمل ونفعها متعدي والنفع المتعدي أكمل أجرًا من النفع القاصر؛ النفع القاصر على النفس لكن النفع المتعدي تعدى من نفسه إلى غيره بحيث عَلِم وعَمَل هو وعَلَّم؛ وهذا الذي يدعى العالم الرباني عِلِم وعمَل وعلَّم يُدعى عالمِا ربانيًّا وهي من الألفاظ العظيمة الشريفة.

وخُتِمت الآية من البراءة من الشرك والمشركين؛ بتسبيح الله عن الشريك والنضير والمثيل والبراءة من المشركين؛ لأنهم أعداء الله وأعداء الرسل فتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأمته تبَعًا له في كل ذلك؛ يتبرءون من المشركين بجميع أصنافهم؛ ويتبرءون من أعمالهم وأخلاقهم وسلوكهم ويتبرءون من البدع والمبتدعين؛ فإن البدع بريد الشرك بالله –تبارك وتعالى– لذا ترى العلماء وطلاب العلم بالذات يسألون عن البدع.

ما هي البدعة؟ وفي أي شيء تكون البدعة؟ في الاعتقاد في الأقوال، في الأفعال، يسألون عنها ليجتنبوها ويحذروها؛ كما في حديث حذيفة بن اليماني قال: ((كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني))

فمن جمع الله له بين معرفة السنة ومعرفة البدعة ليجتنبها ويُحَّذِرَ الناس منها؛ فهو عالم رباني؛ ولا يمكن لهذه الأشياء أن تُعْرَف تمامًا إلا أن تبذل الجهود المتواصلة من طلاب العلم ليلاً ونهارًا بحسب طاقتهم يتعرف على السنة علم وعمل، ويتعرف على البدعة والمبتدعين؛ حتى لا يغره من غرمن أهل البدع الذين يُزخرفون القول ويُلَينون للناس الجانب؛ وهم يريدون أن يقذفوهم في النار والعياذ بالله والذي يقرأ الآية من سورة الأنعام الأخيرة: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام :153]

عرَّف السنة والبدعة عرَّف بأن الصراط المستقيم الكتاب والسنة؛ فبذل جهده ليأخذ نصيبه وحظه منهما وأنَّ السبل الأخرى {وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}؛ هي: البدع والأخطاء والتضليلات التي تلقيها شياطين الإنس والجن لتُضِّل بها عباد الله؛ بدون خوف من الله وأهل البدع من هذا النوع الذين لا يحترمون السنة ويريدون أن تحل البدعة محل السنة؛ هؤلاء ما قدَّروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قدروا الله حق قدره الذي يجب أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وكذلك الرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن يُطاع ويُتابع ويُحَّب فوق محبة كل مخلوق.

إذن فالسؤال عن البدع يكون سبب في اجتنابك للبدع وعدم اغترارك بمن يدعوا إليها؛ والسؤال عن السنة هو سبيل إلى معرفتها والعمل بها ودعوة الناس إليها؛ فمن رزقه الله عز وجل معرفة السنة واجتناب البدعة؛ عاش عيشة طيبة مباركة أحْيَاهُ الله حياةً طيبةً مباركةً؛ وفي قصة بِعثَة مُعاذ إلى اليمن؛ البعثة الميمونة التي أنتشر بها توحيد الله –تبارك وتعالى– ومعالم الإسلام آنذاك وكان اليمن مملوء بأهل الكتاب اليهود والنصارى واليهود بكثرة؛ لذا وصاه النبي صلى الله عليه وسلم الحكيم في دعوته إنك تأتي قوما أَهل كتاب؛ وأهل الكتاب عندهم معرفة لسبب الكتب المنَزَّلة التي نزلت على الرسل والأنبياء؛ فأخبره بأي شيء يبدأ دعوته لتكون سنة لمن يأتي يدعو بدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فقال له: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله– وفي رواية: وأنِّي رسول الله)؛ والشهادتان ركن واحد وهما مُتلازِمتان لا تُقْبَل إحداهما إلا بالأخرى؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله ولم يشهد أن محمد رسول الله؛ لا تقبل شهادته ولم يدخل في الإسلام؛ والعكس كذلك من شهد لرسالة الرسول ولم يشهد لله بالوحدانية بالربوبية والوحدانية والأسماء والصفات؛ لا تنفعه شهادة أن محمدًا رسول الله، والذي ينفع هو أن يجمع العبد بين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وكل من بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم على وجه الأرض جميعًا كلهم يلزمهم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ادعى بأنَّ له دين غير دين الإسلام ونبي غير محمد عليه الصلاة والسلام من اليهود والنصارى أو أي مِلة من الْمِلَل من ادعى ذلك؛ فدعواه باطله ولا تنفعه لو يتعبد ليلاً ونهارًا بغير ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لا يُقبل منه أبدًا؛ كما قال الله –عزَّ وجل–: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:31]

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: 80]

فدَعْوى اليهود اليوم والنصارى بأنهم على ملل سماوية هم كاذبون في ذلك؛ ليسوا على ملل سماوية؛ بل هم على ملل شيطانية مُحرَّفة ومُبدَّلة؛ ما كان من الكتب القديمة موجود وصحيح فهو منسوخ بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم والمنسوخ لا يُعْمَل به؛ وما كان منها مُحَرَّفًا حَرَّفَهُ الفُجار الضالون الذين ضَلُّوا وأَضَلُّوا، وحرَّفوا وغيَّروا، وبدَّلوا وكتبوا بأيديهم وقالوا من عند الله؛ سَيَلقون جزاءهم عند الله تبارك وتعالى؛ ولا يُقبل منهم شيءٌ منْ أعمالهم، ولا ينفعهم أن يقولوا نحن على دين سماوي؛ حتى غرُّوا بعض الكُتاب الإسلاميين فاعترفوا بأن الإسلام والنصرانية واليهودية هذه أديان سماوية يَقف أهلها جَنب إلى جَنب ليُحَاربوا الإرهاب؛ فَمَالَ معهم بعض الكُتَّاب الإسلاميين بدون علم؛ يعني قال: التوراة أنزله الله والإنجيل أنزله الله لكنه لم يَتَبَيَّن؛ الأمر وبيان الأمر أن الله أنزلها أو أوجب العمل بها وقت إنزالها؛ ثم لَمَّا حُرِّفت وبُدِّلت فالناس يعملون بأقوال السفهاء فلما بُعِث محمد صلى الله عليه وسلم؛ حَرُمَ أنْ يأخذوا شيئًا من التوراة ولا شيئًا من الإنجيل ولا شيئًا من الصُحف الأخرى؛ حَرَّمَ اللهُ عليهِم ذلك؛ حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلمُ الخلق بربه؛ لَمَّا رأى مع عمر بن الخطاب ورقة من التوراة صحيفة فيها بعض الحكم والمواعظ؛ فنظر إليه وقال: (ما هذا يابن الخطاب؟! ألم أتيكم بها بيضاء نقية؟؛ والله لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا أن يَتَّبِعَنِي)؛ فإذا لم يَتَّبعهُ فقد ضل وحاشاه؛ فنصوص فيها إقناع للعقلاء؛ أنَّ اليهود لا يَسَعُهم أنْ يعملوا لا بالإنجيل ولا بالتوراة، والنصارى لا يسعهم ذلك ولا يقبل منهم ذلك؛ هم من أمة محمد من يوم بُعِث فهم من أمته؛ إلا أن أمته أُمة دعوة وأُمة إجابة؛ فأُمَّة الدعوة الذين أبوا أن يستجيبوا لدعوة الرسول عليهم الصلاة والسلام؛ فقامت عليهم الحجة؛ ولا يُقبل منهم أنهم يعملون كما يَدَّعون برسالة سماوية التوراة والإنجيل؛ هذه من الخديعة التي خَدع بها أولئك اليهود والنصارى خدعوا بها منْ قَلَّ نصيبَه من العلم، ومن جَهِلوا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام لاسيما في بلدانهم، وهذه الدسيسة قالوا إنها أديان سماوية يقف بعضها جنب بعض؛ وتُحارب الإلحاد والعلمنة هذه؛ ليَتَوصَّلوا بها إلى الاعتراف بأنهم

على حق، وإنهم على عقيدة حق ورسالة حق؛ فلا يُحاربون ولا يُنكر عليهم؛ وهذا ما يخفى إلا على إنسان قليل البِضاعة في العلم؛ وإلا فمتى أن اليهودية والنصرانية تقف مع الإسلام ويُحاربون الباطل؛ هي باطل بنفسها فكيف تُحارب الباطل؛ لا يُحارب الباطل ويَرُد ويُدحِض إلا الحق؛ والحق في الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما سواه فهو باطل بدون شك وبدون تردد؛ قال: (أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله) وهذه وظيفة الداعية إلى الله يبدأ بالتوحيد ويُعلِّمه الناس حتى يستقر في القلوب؛ لأنه إنْ لم يوجد توحيد ما قُبِلت بقية الأعمال؛ فإذا وُجِد التوحيد من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام أدِلة التوحيد من الكتاب والسنة؛ إذا وُجِد في قلب الانسان تَقَبل الله أعماله؛ لأنه أصبح من أهل التقوى، والله يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:27].

ثم يتدرج الداعية مع المدعوين في بيان أركان الإسلام والإيمان والإحسان وبقية أعمال الدين؛ ولَمَّا كانت الصلاة أعظم العبادات عند الله عز وجل وأجَلُّها؛ أتْبعَها الشهادتين؛ فقال: ((فإن هم أقروا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة))؛ تُصلى في البيوت التي بُنِيَت من أجل إقامة الصلوات فيها؛ إمام ومأمومين ظهرًا وعصرًا ومغربًا وعشاءً وفجرًا؛ الأصل أن تُصَلى في بِيُوت الله المساجد التي أثنى الله عليها وعلى عُمَّارها؛ فقال سبحانه: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور :36] والغدو والآصال تُجمع الفرائض الخمس؛ وقال -عزَّ وجل-: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18] وعُمَّرُوها عِمارة حسية وعِمارة معنوية؛ والعمارة المعنوية أعظم أجرًا من العمارة الحسية؛ عمارتها المعنوية بالصلاة فيها، وقراءة القرآن فيها، وتَعلُّم العلم منها، وإنشاء حلقات الفقه في الدين في المساجد، والاعتكاف فيها إلى مالا يحصى من العبادات الجليلة التي مَن أدَّاها في المسجد فقد أمِن على نفسه بفضل الله -تبارك وتعالى- عليه الوقوع في الأخطاء وأطمئن بأنه يجمَع حسنات إلى حسنات؛ فالجلوس

في المسجد حسنة، والصلاة فيه حسنات، وقراءة القرآن فيه كذلك، والتفقه في الدين في المسجد كذلك في الحسنات؛ ففيه من الخير ما لو أتعب الإنسان نفسه لأثابه الله بقدر ما بذل من جهود؛ ثم أتبع الصلاة الزكاة أنها زكاة المال؛ وحق فرضَه الله عز وجل في الأموال؛ كالخارج من الأرض، وفي بهيمة الأنعام، وفي النقدين، وفي عروض التجارة، ولها أنصبتها المعروفة في الفقه الإسلامي، من أدَّاها طيبة بها نفسه؛ فقد أقام ركنًا عظيمًا من أركان دين الإسلام؛ وهكذا الركن الرابع؛ الصوم وهو شهر واحد في السنة صيامه المتوالي وفيه من الأجر مالا يحصى؛ والحج في العمر مرة واحدة والعمرة مرة واحدة تَيْسِيرًا على الناس؛ فلما كانت الصلاة أمرُها سهل والأجر فيها كثير خمس صلوات في اليوم والليلة؛ ولما كان الحج فيه مشقة وأسفار وانتقال؛ صار في العمر مرة واحدة، وذلك لأن الله قال: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} [الحج : 78].نعم.

المتن

قال: ((واتق دعوة المظلوم))

الشرح:

قال: (واتقي دعوة المظلوم) أتى بهذا بعد الزكاة؛ لأنه إذا ذهب الْمُصَدِّق من قِبَل الوالي وأخذ مالا يجوز أخذه من خِيَار الأموال؛ كفحل الإبل مثلاً، أو فحل الغنم أو الحلوب من الأغنام والأبقار؛ أحس صاحِب المال بظلم؛ لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُؤخَذ من الوسط لا من الأعلى ولا من الأدنى؛ حتى يتَّقِى الْمُصدِّق دعوة المظلوم؛ لأنه إذا ظلمه أخذ الأعلى ظلمَه دعا عليه؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الرحيم بأمته؛ قال: ((واتقي يامُعاذ بينك وبين دعوة المظلوم وقاية))؛ بالعدل؛ فلا تأخذ كرائم الأموال ولا تأخذ أدناها ولكن خُذ من الوسط ((لا ضرر ولا ضرار))؛ لأن دعوة المظلوم إذا ظُلم ليس بينها وبين الله حجاب؛ بل يقول الله عز وجل: ((لأنصرنَّكِ ولو بعد حين)) وهو دليل على البُعد عن ظلم الناس عمومًا؛ لا يجوز الظلم لأحد من الناس لا في عرضه ولا في دمه ولا في ماله؛ فمن ظلم

أخر؛ فلا بد من القصاص لا يعفو الله عز وجل عن الذي يظلم غيره لا يعفو عنه؛ لأنه عدل والمظلَمة ظُلم للمظلوم؛ ولا بد أن ينصره الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة على رؤوس الأشهاد؛ إن ظلمت في المال ليس فيه إلا أخذ من الحسنات، وطرح من سيئات على الظالم، وهكذا الدم، وهكذا العِرْض؛ فالسلامة في الذي يتَجنَّب ظُلم الغير (....) الأسرة؛ كظلم الزوج للزوجة والعكس بالعكس، والابن للأب الأب للابن؛ ثم بعد ذلك في بقية الناس هذه المظالم لا تسْبق .. الله عز وجل وعد بالقصاص للمظلوم ممن ظَلَمَهُ؛ كما في حديث القنطرة إذا خلص الناس من الصراط وُقِفُوا على قنطرة بين الجنة والنار يتَقَاصُّون مظالم كانت لهم فلا يدخل أحد الجنة؛ حتى يُقْتَص منه مظالم ظلَمَها في الدنيا؛ وهكذا لا يدخل أحد النار؛ حتى يُقْتَص منه ممن ظَلَمَهُ لأن حقوق الخلق مبنية على (...) والمقاصات لا يسقط منها شيء؛ لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للأمة: ((واتقِي دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)). تُرفَع، والله وعدها بالنصر لأنصرنكِ ولو بعد حين؛ وهي وصية عامة وإن كان لفظها خاص بمُعاذ لكنها عامة لجميع الأمة أن يتقوا المظالم، وفي الحديث القدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم محرمًا فلا تَظالموا)). لا في الأموال ولا الأعراض ولا في الدماء.

المتن:

ولهما عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال يوم خيْبر: ((لأعطين الراية غدًا رجلاً يُحِب اللهَ ورسولَه، ويُحِبه اللهُ ورسولُه، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلَتَهُم أيهم يُعطَاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا أن يُعطاها؛ فقال: (أين علي بن أبي طالب؟)؛ فقيل: هو يشتكي عينيه؛ فأرسَلُوا إليه، فأُتِيَ به فبصق في عينيه، ودعا له؛ فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية وقال: أنفُذ على رسْلِك حتى تَنْزِل بساحتهم؛ ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأنْ يَّهدي الله بك رجلاً واحدًا، خير لك من حُمْرُ النِّعَم)). يدوكون؛ أي: يخوضون

الشرح:

هذا الحديث الجليل فيه فوائد منها: معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم حققت المعجزة الأولى في _أعِدْ أول الحديث يا الطالب.

المتن:

قال: ((لأُعطِيَّن الراية غدًا رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولهُ، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعْطاها، فلما أصبحوا غدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم))

الشرح:

المعجزة الأولى: إخِبار النبي صلى الله عليه وسلم عن مَحَبة الله لعبد منْ عِباد الله؛ هو علي بن أبي طالب، وأنَّ عليًّا يُحب الله وهذه من المعجزات التي أطْلَع الله عليها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

والمعجزة الثانية: كونه جاء مريضًا في عينيه رمد فبصق فيه بَصَقَةً؛ فإذا هي صحيحة.

والمعجزة الثالثة: أخبر بما سيكون في المستقبل؛ بأنه يدعو أهل خيبر وأنَّ الله يفتح على يديه فَيهزِمَهُم؛ بعد أن يدعُوَهم إلى الله عز وجل؛ وفي الحديث: أن قبل القتال لمن لم تبلُغهم الدعوة وجوب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال وقبل عن الاستباق للمغانم؛ بل إن استجابوا فلا أرب لهم في أموالهم ونسائهم وذَرَارِيهِم وإن لم يستجيبوا استعانوا بالله، وقاتلوهم فأصبحوا عبيدًا أو مماليك بعد أن كانوا أحرارًا. والله اعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} [الإسراء: 57]

وقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}. [الزخرف: 26_27]

وقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .[التوبة:31]

وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165]

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من قال لا إله إلا الله وَكَفَر بما يعبد من دون الله، حَرُم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)).

وشرح هذا الترجمة : ما بعدها من الأبواب .

الشرح:

الحمد لله اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال –رحمه الله–: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

سبق معنا معنى التوحيد وأنواع التوحيد؛ فمعنى التوحيد: إفراد الله –تبارك وتعالى– في أُلُوهِيَّتِهِ وربوبِّيَتِه وأسماءه وصفاته؛ من أفْرد الله –تبارك وتعالى– بالعبادة، وأفردَه بالإقرار له بالربوبية، وأفرده بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى؛ صار موَحِدًا، وكفر بما سوى ذلك؛ صار موحداً؛ وقولُه وتفسير لا إله إلا الله تفسير لا إله إلا الله هو عين التوحيد؛ وذلك بأن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويكفر بما سواه؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله عِلما قولاً

وعلمًا وعَملاً؛ فهو من أهل لا إله إلا الله؛ وقد مضى معنا أنَّ لاَ إله إلا الله لها أركان وشروط وحقوق ومُكمِّلات ومُقْتَضَيَات؛ فلابدَّ من الإتيان بهذه المعاني لِتُتِم للعبد شهادة أن لا اله الا الله، أما أركانها فاثنان: النفي والإثبات؛ النفي: المعروف بقولك: (لا إله)؛ والإثبات: المعروف بقولك (إلا الله)؛ وسبق معنا معرفة شروطها الثمانية التي لابد أن تتوفر لَدى من شهد أن لا إله الا الله؛ ليكون عَالِمًا بمعناها، عامِلاً بِمُقتَضاها، ولا يَقتَصر على ذلك ولا تنفعه؛ حتى يَكفُر بما سوى ما دلت عليه هذه الشهادة؛ يَكفُر بما يُعبد من دون الله -تبارك وتعالى-؛ كما في الحديث أخر الباب؛ لأن من شهد أن لا إله إلا الله ولم يكفر بما يعبد من دون الله ما نفعته شهادة أن لا إله إلا الله ولا بد من الولاء والبراء من الجمع بين الولاء والبراء؛ يشهد أن لا اله الا الله عِلمًا وعَملاً وسلوكًا بمقتضياتها ولوازمها ويَكفُر بما يعبد من دون الله -تبارك وتعالى- فلا يَتم توحيده إلا بذلك.

وقول المؤلف: (وتفسير هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب)؛ معنى ذلك: أن ما بعدها من الأبواب من أبواب كتاب التوحيد كله تفسير لهذه الترجمة باب التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله؛ لأن ما بعدها من الأبواب يتعلق بتحقيق التوحيد وأمثله مضروبة للتوحيد، وبيان الفضل الذي يحرزه الموحد، وبيان ما يضاد التوحيد يضاد أصله أو يضاد كماله.

نعم.

شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي –حفظه الله–

الشريط الرابع

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:57]

الشرح:

هذه الآية الكريمة فيها رد على المشركين، أصحاب الغلو في الصالحين، والصالحون الذين يُدعون من دون الله، ولا يكون ذلك إلاَّ بدون رضا، إمَّا من الموتى؛ وإمَّا من الأحياء.

هؤلاء الذين يدعونهم؛ أي المشركون، يدعون الصالحين في قضاء حوائجهم وكشف كرباتهم، يطلبون من الأولياء والصالحين ليرفعوا حاجاتهم إلى الله لتقضى، وهذا الشرك الأكبر؛ كما قال الله عز وجل عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:3]، فصاروا بذلك كفَّارًا مشركين.

فالقرآن يرد على المشركين الذين يدعون غير الله تبارك وتعالى في قضاء الحاجات وفكِّ الكربات، وتحقيق المطالب ودفع المكاره، كل ذلك من أنواع الشرك الأكبر.

فالذين يدعونهم هم بأنفسهم يبتغون الوسيلة؛ أي: القربة والحاجة من الله تبارك وتعالى، فكيف يُدعى الفقير إلى الله؟! كيف يُدعى الفقير إلى الله ليجلب نفعًا أو يدفع ضُرًّا مما لا يقدر عليه إلاّ الله تبارك وتعالى؟! مستحيل، نعم.

المتن:

وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:26-27].

الشرح:

نعم هذا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء، الذي حطّم أصنام قومه وفي مقدمتهم أبوه، وواجه من المحن ما ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم؛ حيث تآمر عليه قومه أن يقذفوه في النار؛ فأوقدوا له نارًا مخيفةً ووضعوه في المنجنيق وقذفوه فيها؛ فأمر الله عز وجل النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم؛ كما قال عز وجل: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الصافات:98]، وقال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء:69]، فنجاه الله تبارك وتعالى من مكرهم، وحاق بهم سوء

العذاب؛ فقال إبراهيم عليه السلام ما قصَّه الله تبارك وتعالى في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف:26-27] استثنى، استثنى المعبود بحق، وهو الله الذي فطر الخليقة، فطر السموات والأرض.

والفطر معناه الخلق على غير مثال سبق؛ لهذا قال الله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَٰوَاتِ وَ الأَرْضِ﴾ [الشورى:11]؛ أي: مبدعهما وموجدهما على غير مثال سبق.

فقال الخليل: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فإنَّه سيعبده لأنه هو المستحق للعبادة، وأمَّا الأصنام التي عبدها قومه فإنه تبرَّأ منها: ﴿إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ من الأصنام والأوثان التي ابتلوا بعبادتها من دون الله عز وجل، ثم استثنى بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وهو الله عز وجل.

وفي موضع آخر: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) ﴾ [الشعراء:80-81]؛ أي: الله تبارك وتعالى، ومن هذه الآية يؤخذ أنه لا يكون العبد موحِّدًا إلاَّ إذا عبد الله وحده وتبرَّأ من عبادة ما سواه، فلا يتم الولاء لله إلا بالبراء من عبادة غيره سبحانه، نعم.

المتن:

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:31] .

الشرح:

هذه الآية الكريمة فيها بيان لما كان عليه أهل الكتاب اليهود والنصارى، من عبادة غير الله عز وجل، ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ﴾ الأحبار العلماء منهم والرهبان العباد؛ أي: أرباباً من دون الله؛ أي: أطاعوهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، ولما تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعنده عدي بن حاتم، قال: إنّنا لا نعبدهم؛ قال: ((أَليسَ يحلُّونَ لَكُم الحرَامَ فَتحِلُّونَه، وَيحرِّمُون عَليكُم الحَلالَ فَتُحرِّمُونه))؛ قال: بلى؛ قال: ((فَتلكَ عِبَادتهم)).

إذن من أنواع الشرك شرك الطاعة؛ فطاعة العلماء والأمراء والقساوسة والرهبان في معصية الله هي عبادة لهم، ولكنها تتفاوت قد تكون شركًا أكبر، وقد تكون شركًا أصغر، وقد تكون كبيرة، بحسب المعصية التي يرتكبونها.

فذمهم الله عز وجل لأنهم أطاعوا أحبارهم ورهبانهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، وتلك عبادتهم لغير الله تبارك وتعالى، من دون الله.

قال: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا﴾[التوبة:31] وهو الله تبارك وتعالى، ولم يأذن الله تبارك وتعالى لهم لا في عبادة الأصنام، ولا في عبادة عيسى بن مريم، ولا أحد من دون الله تبارك وتعالى؛ لأن عقيدة التوحيد هي عقيدة واحدة، من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة؛ إفراد الله بكل عبادة ماليةٍ أو بدنية، وترك ما يعبد من دون الله تبارك وتعالى؛ هذا الأصل اتفق عليه جميع الرسل والأنبياء، وهكذا ورثة الرسل والأنبياء، أقاموه، عَلِمُوه، عَمِلُوا به وعَلَّمُوه، بخلاف أهل الشرك، وأهل الجهل والضلال؛ فإنهم علقوا قلوبهم بغير الله تبارك وتعالى؛ فضلوا عن سواء السبيل، نعم.

المتن:

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ [البقرة:165].

الشرح:

وهذه الآية أيضًا بيان عن عقيدة الكفار عمومًا، وذلك أنهم يحبون معبوداتهم كحبهم لله؛ لأنهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، يسوون بين الخالق والمخلوق في العبادة، والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه أحد في العبادة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من كان دونهم، فهؤلاء ذمهم الله ذمًا، وهم بعض الناس بل أكثر الناس، من يتخذ من دون الله أندادًا؛ أي: أشباه ونظراء لله تبارك وتعالى، يحبونهم كحب الله؛ أي: يحبون معبوداتهم كمحبتهم لله.

قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ لأنهم عرفوا الله وقدَّروه حق قدره، وأحبوه فوق محبة كل محبوب؛ لذا وحدوه وتوجهوا إليه في بواطنهم وظواهرهم، بكل عبادة مالية أو بدنية؛ فمحبتهم لله أشد وأعظم من محبة الكفار لمعبوداتهم مع الله تبارك وتعالى.

إذن فمحبتهم عبادة، توجهوا بها لمن يستحق أن يُحب فوق محبة كل محبوب، فيُفرد بالعبادة وحده دون سواه.

وقيل في معنى الآية معنىً آخر: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ﴾؛ أي: يحبونهم كما يحب المؤمنون ربهم، والمؤمنون أشد حبًا لله من هؤلاء، والمعنى الأول أظهر؛ أي: أن الكفار يحبون معبوداتهم كمحبتهم لله، فسووا بين الله تبارك وتعالى الخالق وبين المخلوقين، فصاروا بذلك مشركين شركًا أكبر، نعم.

المتن:

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مَن قَال لاَ إِلَه إلاَّ الله وَكَفر بما يُعبَد مِن دُونِ اللهِ، حَرُم مَالَه وَدَمه وَحِسَابُه عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))، وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

الشرح:

الحديث متفق مع الآيات، ومع الترجمة، أن من قال لا إله إلا الله عالمًا بمعناها، وعاملاً بمقتضاها، وكفر بما يعبد من دون الله، فلا يكفي، لا يكفي أن يكون يقول أن لا إله إلا الله عالماً بمعناها، حتى يكون عاملاً بمقتضاها، ويتبرأ مما ينافي لا إله إلاَّ الله سواء ينافي أصل لا إله إلاَّ الله أو كمالها، فلا بد من البراءة مما يُعبد من دون الله تبارك وتعالى.

لذا علق عصمة المال والدم على الكفر بما يعبد من دون الله تبارك وتعالى، من قال لا إله إلاَّ الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم دمه وماله، إلاَّ بحقه، حرم دمه فلا يحل إلاَّ بإحدى ثلاث التي جاء بها الحديث: ((لاَ يَحِلُّ دَمُ امرِئ مُسلِمٍ إلاَّ بإحدَى ثَلاث، الثَيِّب الزَّاني، وَالنَّفس بِالنَّفس، وَالتَّاركُ لِدينِه المفَارِق للجَمَاعَة)) حلَّ دمه، حلّ دم هؤلاء بحق، وكذلك المال معصوم كما عصم الدم، المال معصوم إلاَّ بحقه، لا يخرج منه إلاَّ ما أوجبه الله تبارك وتعالى في المال.

إذن فأهل لا إله إلاَّ الله تنفعهم في الدنيا وتنفعهم في الآخرة، الذين علموا معناها وعملوا بمقتضاها وتبرؤا مما يناقضها؛ وهو عبادة غير الله تبارك وتعالى، تنفعهم في الدنيا عصمة لأموالهم، ودمائهم وأعراضهم، وفي الآخرة ينالون بها الشفاعة من الله تبارك وتعالى وشفاعة الشافعين.

ثم ختم الباب بقوله: وما بعد هذه الترجمة تفسير لها، بمعنى أن ما بعد هذا الباب من الأبواب، إمَّا في التوحيد والأمر به، وحماية جناب التوحيد من الوسائل والذرائع التي تفضي بالناس إلى الشرك، وكذلك البراءة من الشرك والمشركين والبدع والمبتدعين إلى نهاية كتاب التوحيد، الذي هو من خير الكتب، التي يجب أن تدرس ويتدارسها طلاب العلم، ويعلموها غيرهم، والله أعلم.

الأسئلة:

أحسن الله إليكم، هذه مجموعة من الأسئلة، هذا سائل من فرنسا يقول: ما الحكم في قول من يقول: إن الله ليس فوق السموات، وليس مستوياً على عرشه، وما نصيحتكم حول هذا الموضوع الخطير؟

الجواب:

القائل هذا القول لا سيّما في تلك البلدان، إذا كان من المسلمين يُبيَّن له الحق في هذا الموضوع بأدلة الكتاب والسنة؛ فإن رجع عن قوله؛ فذاك رحم نفسه، وإن عاند واستكبر؛ فقد كذَّب القرآن ومن كذَّب القرآن كفر؛ لأن الله عز وجل بيّن في القرآن وبيّن الرسول في السنة أنه هو العلي الأعلى؛ قال عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1]، وقال سبحانه: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك:16]، وقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:255]، وقال عز شأنه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] والعرش سقف مخلوقات الله، سقف السموات وغيرها، هذه أدلة محكمة من القرآن الكريم، تعرض على الجاهل الذي يمكن قلّد أعداء الله، وتُبَيَّنَ له إن كان من المسلمين؛ فإن اقتنع فقد رحم نفسه ودخل في الإسلام، وزال عنه الجهل، وإن أبى أن يبقى على هذه العقيدة؛ فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وآخرٌ يسأل: نسمع كثيرًا عن قول بعض الناس: بالجامية؛ فهلا حدثتمونا عن الشيخ محمد أمان الجامي.

الجواب:

الشيخ محمد أمان الجامي يعرفه طلاب العلم، إمَّا شخصيًا وإمَّا من مؤلفاته التي انتشرت؛ ومنها: الإلهيات، كتاب الأسماء والصفات، وهو رجل من أهل العلم، ومن أهل السنة، ومن أهل الدعوة إلى الله عز وجل من يوم عرفناه إلى أن مات، أنه من الدعاة إلى الله تبارك وتعالى على بصيرة، وأنه يُبيِّن للناس العقيدة الصحيحة، ويُحذِرهم من الفرق المبتدعة، من جهمية ومعتزلة وخوارج وصوفية ومرجئة وغيرها، وأنه عُرف بالتحذير من الحزبيّات التي ظهرت في العصر الحديث، حزب جماعة الإخوان، وحزب التبليغ، وحزب الجهاد، وحزب التحرير، وغيرها وغيرها من الأحزاب التي فرقت الناس، وكان الواجب أن يكون الناس أمة واحدة على الكتاب والسنة، ولا يتفرقون؛ لأن الله نهى عن التفرق؛ قال ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:103]، وقال الله عز وجل ذامًّا للمشركين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:159]

فأغاظ أهل البدع محمد أمان – رحمه الله – أغاظهم بالتحذير من أفعالهم وتكتلاتهم ومؤلفاتهم وحذر الناس منها؛ فقالوا: لمن صدَّق محمد أمان وكان معه في الدرب الصحيح أطلقوا عليه بأنه "جامي" أي تابع لمحمد أمان الجامي، وذلك من باب التنكير لطلاب العلم مما كان عليه هذا الرجل؛ الذي وفقه الله في الدعوة إلى العقيدة والمنهج الصحيح والمعتقد السليم حتى مات على ذلك، وقد ردَّ على القائلين بهذا القول بعض الإخوان من أهل السنة.

ولا يستغرب؛ فأهل البدع دائمًا يطلقون الألقاب السيئة على أهل السنة من قديم الزمان، والله أعلم.

سائل يقول: ما الراجح في الهوي إلى السجود، تقديم اليدين أم الركبتين؟

الجواب: الراجح تقديم الركبتين، نعم.

سؤال أخير: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص:4]، هل المعنى واحد؟

الجواب:

الآية الأولى فيها الرد على طائفتين من طوائف الضلال، على المشبهة وعلى المعطلة؛ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردّ على المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ ردٌّ على المعطلة الذين نفوا عن الله أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

وآية الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:1] اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص والعيب عن الله تبارك وتعالى؛ فليس له كفؤ مكافئ، وليس له نظير وليس له شبيه؛ بل هو المنفرد بالكمال ذاتًا وأسماءً وصفاتًا، والله أعلم.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:38]

عن عمران بن الحصين -رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفرٍ؛ فقال: ((ما هذه؟)) قال: من الواهنة، فقال: ((إنزِعها فَإِنَّها لاَ تَزِيدُك إِلاَّ وهناً، فإِنَّك لَو مِتّ وَهي عَليكَ مَا أفلَحتَ أَبَداً))، رواه أحمد بسندٍ لا بأس له.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: ((مَن تَعلَّق تَميمَةً فَلا أَتمَّ الله لَه، وَمَن تَعلَّق وَدَعَةً فَلا وَدَع الله))، وفي رواية: ((مَن تعلَّق تميمَة فقد أَشرك)).

ولابن أبي حاتم عن حذيفة، أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:106]

المتن:

قال رحمه الله تعالى: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، المناسبة بين هذا الباب وبين ما مضى من الأبواب، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلاَّ الله بأن الأبواب المتقدمة في بيان التوحيد، بيان حقيقة التوحيد، وفضل التوحيد، وما يترتب عليه من الثواب، وهذا الباب في بيان ما يناقض كمال التوحيد أو أصل التوحيد من أنواع الشرك.

فما ذكره في المؤلف الترجم رحمه الله من لبس الحلقة، والخيط، ونحوها من التمائم، هذه من أنوع الشرك، أصلها من أنواع الشرك الأصغر؛ لأن من يلبس الخيط في يده، أو حلقة من صفر من نحاس أو حديد أو خرز أو نحوها، مما يضعه عوام الناس وجهّالهم من

أجل رفع البلاء أو دفعه، من العين أو من المرض أو نحو ذلك، قد يكون هذه الأشياء من نوع الشرك الأصغر، وقد يكون من نوع الشرك الأكبر بحسب الاعتقاد.

فإن اعتقد من علّق هذه الأشياء على يده أو يد غيره أو رقبته أو دابته، من علَّقها واعتقد أنّها سبب يدفع البلاء فلا ينزل أو يرفعه بعد نزوله؛ فقد وقع في الشرك الأصغر، والشرك الأصغر أكبر من الكبائر، يعني اعتقدها سبب، لكنه سبب غير مشروع؛ فصار بذلك شركًا أصغر، فلو كان سببًا مشروعًا ما صار شركًا أكبر ولا صار محرمًا، لكنه سبب غير مشروع، ما يقره الشرع، ولا تقره التجربة، وإنما هو تلبيس من شياطين الإنس والجن، فيعلقه على نفسه أو ولده أو دابته، ظنًّا منه أنه سبب في رفع البلاء أو دفعه، فوقع في الشرك الأصغر.

فإذا تجاوز الأمر واعتقد بأنه يرفع البلاء بعد نزوله، ويدفعه فلا ينزل بذاته، بذات الشيء الذي علقه فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأن الضرَّ لا يرفعه إلاَّ الله تبارك وتعالى، فمن اعتقد بأن هذه الأشياء التمائم ونحوها، بنفسها تدفع البلاء وترفعه، فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأنه جعل مع الله شريكًا في دفع البلاء أو رفعه، فهو بحسب الاعتقاد يتحول من معنى إلى معنى، لبس الخيط والحلقة والتميمة وأي شيء يعلقه إمَّا أن يكون شركًا أصغر وإما أن يكون شركًا أكبر، والفارق بينهما بالاعتقاد، إن اعتقد بأنه سبب يرفع البلاء ويدفعه فهو شرك أصغر؛ لأن هذا السبب غير مشروع ولا معروف نفعه لا بالشرع ولا بالتجربة، وإن اعتقد أنّه بنفسه يجلب الخير ويدفع الخير فهو شرك أكبر؛ فالمدار على النية.

والآية الكريمة وإن كانت واردة في الشرك الأكبر: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر:38] هذه واردة في الشرك الأكبر؛ لأن معنى الدعاء هنا العبادة، تدعون دعاء عبادة ودعاء مسألة، والمدعوون أنواع كثيرة، من المشركين من يدعون الأصنام والأوثان من الأشجار والأحجار، ومنهم من يدعون من يسموهم بالأولياء المقبورين أهل الأضرحة، ومنهم من يتعلق بالكواكب والشمس والقمر، وهكذا، تلاعبت الشياطين بعقول بني آدم بسبب جهلهم بالله تبارك وتعالى، وجهلهم بالأمر الذي خلقهم الله عز وجل ليَعلَموه ويَعمَلُوا به ويدعوا الناس إليه.

فليس مع الله شريك يجوز أن يُدعى أبدًا، لرفع البلاء ولا لدفعه، ولا لجلب المصلحة ولا لدفع المضرة فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله تبارك وتعالى؛ بل هذه من خصائص الرب تبارك وتعالى ومن فعلها ودعا من دون الله أحدًا؛ فقد أشرك في الربوبية والإلهية.

فإذا أراد الله بالعبد ضرًا لا يستطيع أحد أن يرفعه حتى يأذن الله في ذلك، وإذا أراد به خيرًا لا يستطيع أحد أن يدفع عن الخير أبدًا، ولو اجتمع من في السموات ومن في الأرض على أن يردّوا عنه خيرًا من رزق، أو علم، أو هداية، أو ولد، أو غير ذلك مما يعطي الله تبارك وتعالى من شاء من عباده.

لهذا جاء الاستفهام ﴿ أَفَرَأَيْتُم ... إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر:39]يعني المعبودين من دون الله، لا يقدرون على التصرف في حالٍ من الأحوال، والتصرف في هذه الأمور لله وحده دون سواه، نعم.

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر؛ فقال: ((مَا هَذِهِ؟))؛ قال: من الواهنة؛ فقال: ((إنزعهَا فَإنَّهَا لاَ تَزيدُك إلاَّ وَهناً، فَإنكَ لَو مِتّ وَهيَ عَليكَ مَا أفلَحتَ أَبدًا))، رواه أحمد بسندٍ لا بأس له.

هذا الحديث فيه بيان مسائل:

المسألة الأولى: وجوب تغيير المنكر إذا رآه المسلم؛ لأنه فرض، وتغييره على المراتب الثلاث التي جاء ذكرها في الحديث : ((مَن رَأَى مِنكُم مُنكراً فَليغَيِّره بِيدِه، فَإن لم يَستَطِع فَبِلِسَانِه، فَإن لمَ يَستَطِع فَبِقلبِه وَذلكَ أضعَفُ الإيمان))، بحسب قدرة الإنسان في تغيير المنكر.

والمسألة الثانية: السؤال عن الشيء الذي لا يعرفه الإنسان؛ حتى يكون على بصيرة من عمله أو تركه؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم سأل الرجل: ((مَا هَذه؟))، وهو ما علَّقه على يده.

والمسألة الثالثة: أنه لا يُعذر أحد بجهالة الشرك، لا الأكبر ولا الأصغر؛ لأنه لو كان يعذر بجهله بالشرك بالله تبارك وتعالى، ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنزِعهَا فَإنَّها لاَ تَزيدُك إلاَّ وَهناً)) وفي الرواية الأخرى: ((لَو مِتّ وَهي عَليكَ مَا أفلَحت أَبداً)) وهو صحابي.

والمسألة الرابعة: أن الصحابة غير معصومين، قد يقع من بعضهم الخطأ فينبهون عليه فيتركونه، ومن ترك الخطأ بدل الله سيئاته حسنات، وهو قليل منهم بالنسبة إلى ثوابهم وحسناتهم.

والمسألة الخامسة: الغلظة على مرتكب المنكر، إذا كان لا ينفع في المقام إلاَّ الغلظة عليه والشدَّة، ما ينفع اللين، تنفع الشدَّة عليه، وأنت قادر عليها، سواء بالقول أو بالكتابة، أو ما شاكل ذلك، وهو أمر وارد، والذين لا يفهمون معنى ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل:125] لا يعرفون إلاَّ اللين فقط؛ بل الشدة في محلها حكمة، واللين في محله حكمة، فقد لا ينفع مع بعض الناس إلاَّ الشدة، والدليل على ذلك أكثر من أن يحصى، أنظر إلى الحدود، حد القاتل يُقتل، وهو أمر شديد، حد الباغي أهل البغي، يقاتلون ويقتلون، ودماؤهم هدر، هنا لا ينفع اللين تنفع الشدة. إقامة الحدود حدّ الزنا، مائة جلدة إن كان بِكرًا والرجم إن كان ثيبًا، وهكذا، شرب الخمر وما فيه من الحد، قذف المحصنات، إلى غير ذلك من الأمور التي جاء تغييرها بالقرآن والسنة بأسلوب الشدة؛ لذا قال الله عز وجل لنبيّه عليه الصلاة والسّلام والمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:123].

والمقصود أن الحكمة قد تكون في اللين وهو الأصل، وقد تكون بالشدة حيث لا ينفع اللين؛ فكل شيء في محله حكمة.

لهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((إنزعها)) للمعلَّق عليه ((إنزعها فإنَّها لاَ تَزِيدُك إلاَّ وهنًا))، والوهن مرض وضعف، يعني هذه التي علقتها ترجو منها دفع الضر لا تزيدك إلاَّ ضررًا في دينك ودنياك؛ ثم في النهاية قال له: ((لَو متَّ مَا أفلَحتَ أبدًا))، وهو دليل على خطر الشرك الأصغر وأنه أكبر من الكبائر؛ فإذا اعتقد أن الخيط أو الحلقة أو الخاتم الحديد يدفع الشر بنفسه فهو شرك أكبر، لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة، ومن مات عليه مات على الكفر الأكبر والعياذ بالله، نعم.

المتن:

وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا: ((من تعلَّقَ تميمة فَلا أتمَّ الله لَه، ومن تعلَّق وَدَعَة فلاَ وَدَع الله))، وفي رواية: ((من تعلَّق تميمَةً فقَد أَشرَك)).

الشرح:

ومن هذا الباب، حديث الودع، وهو خرز، وتعليق التميمة، التي هي من الشعوذة، من أجل دفع البلاء أو رفعه من الشرك الأصغر.

وأمَّا التعليق إذا كان التعليق من القرآن أو أحاديث نبوية من الأذكار، فهنا اختلف علماء السلف، في الجواز وعدم الجواز، ومن العلماء من يرى إباحة ذلك إذا كان المعلق من القرآن على الإنسان، كما يفعله بعض الناس؛ قالوا: لأنه من القرآن وليس فيه شعوذة، لا سحر ولا طلاسم، وبعض العلماء وهم الجمهور منعوا ذلك، سدًا لذريعة الشرك، وقطعًا لوسائله؛ فقالوا: لا يجوز التعليق لا من القرآن ولا من الحديث ولا من غيره، وهذا أولى؛ لأنه إذا علق من القرآن ربما ينقله الشيطان من مرحلة إلى مرحلة خطيرة.

إذن فالمعلق كله لا يجوز لأحدٍ أن يعلق شيئًا، لا من القرآن ولا من الحديث، وغيرهما من باب أولى، من الشعوذة والتضليل الذي يصدر من سفهاء الناس وفجارهم، من الذين يضلون الناس ليبتزون أموالهم، فهؤلاء يوجدون في أماكن كثيرة، وفي هذه البلاد نحمد الله سلَّط الله عليهم، كلَّما طلع شيطان قُبض عليه، وأمَّا في غير هذه الأماكن فلا يُنكر عليهم، وهذا هو الغالب، في غير هذه البلاد لا يُنكر على السحرة ولا على المشعوذين وعلى الدجالين، وهذه نعمة على هذه البلاد تُحارب الشركيات، يرصدها من لهم قدرة على القبض على هؤلاء.

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تعلق ودعة فلا ودع الله له؛ يعني: لا أراحه الله ولا أتم له مقصوده، ولا من تعلق تميمة فلا أتم الله له ما أراد، دعاء عليه، لخطر التعليق، الذي تتعلق به القلوب، ومن تعلق تميمة فقد أشرك بالله، ومن تعلق شيئًا وُكِلَ إليه، وهذا هو الخسران المبين، إذا وكله الله العبدَ إلى نفسه خسر خسرانًا مبينًا.

فالمقصود أن الإنسان لا يحمي نفسه من الشرك وضروب الشرك الأكبر والأصغر والخفي إلاَّ إذا عرف التوحيد وتمكن من معرفة حقيقة التوحيد بأنواعه الثلاثة، وتمكن من معرفة ما يبطل التوحيد وينافي أصله، وتمكن من معرفة ما ينافي كمال التوحيد من الشرك الأصغر ومن كبائر الذنوب؛ فإنه يحمي نفسه بفضل الله عليه من الشركيات.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة، أنه رأى في يده خيطًا من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:106] وهذا كسابقه، من وجوب تغيير المنكر إذا رآه المسلم، وعنده قدرة على تغييره باليد، فلا يجزئه إلاَّ أن يغيره بيده، وكان حذيفة عنده قدرة على ذلك، بدون أن يترتب عليه منكر أكبر.

وفي الحديث دليل على أن المعلَّق من أي نوع كان، وقد علَّق الشخص قلبه به، سواء من الخيوط، أو من السيور، أو من الورق، أو من الحديد، أو من أي نوعٍ، واستعمله لرفع البلاء أو دفعه فقد وقع في الشرك، ومن جملة ذلك الخيط الذي يعلق في الأيدي أو في الرقبة، يُقال فيه ما يقال في الحلقة والخاتم والودَعة والتميمة، لا فرق بينه وبين هذه الأشياء فهو من ضروب الشرك الأصغر، إلاَّ إذا اعتقد فيه أنه بنفسه يدفع البلاء ويرفعه فهو من الشرك الأكبر، وفي الأثر هذا دليل على أنه يجوز الاستدلال بالآيات التي ورد في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر للحذر منه، والله أعلم.

الأسئلة:

أحسن الله إليكم وجزاكم الله خيرًا، هذا سائل يقول: كيف نرد على من يفعل الشرك الأصغر إذا ذكرت له الآيات الواردة يقول: هذه في الشرك الأكبر.

الجواب: قد يستدل طالب العلم بالآيات التي وردت في الشرك الأكبر على التحذير من الشرك الأصغر، فلعل معترض يعترض ويقول: أنتم تنزِّلون الآيات الواردة في النهي عن الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، والفرق بينهما ظاهر، أن الشرك الأكبر أهله مخلدون في النار، والشرك الأصغر تحت المشيئة، هذا قد يقوله بعض الناس.

لكن يختلف هذا الأمر باختلاف المواقف والملابسات، فقد تأتي مسألة يصح للإنسان أن يستدل بآيات الشرك الأكبر على تحريم الأصغر والتحذير منه (.....)، كهذه النصوص في هذا الباب.

وقد يأتي ملابسات لا يصح لأحد أن يستدلّ بالآيات الواردة في الشرك الأكبر على التحذير من الشرك الأصغر، فهو يختلف باختلاف المقام واختلاف (......) والله أعلم.

السائل: الدبلة، يعتقدون الناس أنها تحبب بين الزوجين؟

الشيخ: الدبلة؟ تحبب؟ لا لا ما اعتقد، هذه عادة بس.

السائل: إذا اعتقد يا شيخ؟

الجواب: هذه عادات إفرنجية ما أعتقد أنها من باب الشرك، لكنها عادة سيئة، هو يلبس دبلة، والمخطوبة تلبس (. . . .) هذه عادات سيئة.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: (باب ما جاء في الرقى والتمائم).

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري –رضي الله عنه– أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يُبقِينَّ في رقبة بعير قلادةً من وتر، أو قلادةً إلاَّ قطعت.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شرك))، رواه أحمد أبو داود.

وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعًا: ((من تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه))، رواه أحمد والترمذي.

التمائم شيء يعلّق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم بن مسعود – رضي الله عنه –.

والرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحُمَة.

والتِّوَلة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ((يَا رُويفِع، لَعلَّ الحيَاةَ سَتطُول بِك، فَأخبر النَّاسَ أَنَّ مَن عَقَد لحيَتَه أَو تَقلَّد وَتراً أَو استنجَى بِرجِيع دابَّة أَو عَظم، فَإنَّ محمَّداً بَرئٌ مِنه)).

وعن سعيد بن جبير قال : ((من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة))، رواه وكيع، وله عن إبراهيم قال : ((كَانوا يَكرهُون التَّمائم كُلَّها مِن القُرآن ومِن غير القرآن)) .

القارئ:

قال رحمه الله تعالى: (باب ما جاء في الرقى والتمائم).

الشيخ:

المناسبة: بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد، أن من الرقى ما هو شرك ينافي كمال التوحيد، وكذلك التمائم، منها ما هو شرك باتفاق ينافي كمال التوحيد، فلما كان هذه من

الأضداد والتي تنافي كمال لا إله إلاَّ الله أو أصل لا إله إلاَّ الله، تابع المؤلف بين هذه الأبواب بعد قوله: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلاَّ الله.

الرُّقى جمع رقية، وهي نوعان: نوع مشروع، ونوع محرّم.

النوع المشروع: الرقى المشروعة، بشيء من القرآن الكريم بقراءة شيء على المريض أو المصروع ونحوه من القرآن الكريم مع النفث.

وجوازها ومشروعيتها مشروطة بشروط ثلاثة، عرفت بالتتبع والاستقراء،

الشرط الأول: أن تكون من القرآن أو الحديث، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رقى ورُقي، رقاه جبريل بالمعوِّذتين عندما سحره اليهودي، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالرقية لينفع المسلم أخاه بها، إذن من شروطها أن تكون من الكتاب أو من السنة، تُقرأ مع النفث، لا تعلّق ولا تكتب كتابة في ورقة وتمحى فيشربها المريض، هذا غير مأثور وغير وارد.

والشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بكلام يُفهم، يعرف فلا يُشكل.

والشرط الثالث: أن يعتقد فيها كلٌّ من الراقي والمسترقي أنها سبب من الأسباب، كالعلاج بالأدوية المباحة الأخرى، فيعتبرها علاجًا وهي بدون شكّ علاج إذا استُكملت شروطها الثّلاثة .

وما عدا ذلك النوع الثاني من الرقى والعزائم التي فيها شرك وشعوذة وكلام لا معنى له، أو (...) لغير الله عز وجل، أو كتابة أسماء الشياطين والعفاريت، هذه من النوع المحرم لأنها شرك.

وأمَّا التمائم فهي التي اعتاد أهل الجاهلية ومن تشبه بهم من أهل الإسلام أنهم يعلقونها، أشياء يعلقونها على اختلاف أنواعها، إمَّا كتابة ورق، طلاسم تكتب وتوضع في جلد ثم توضع على العضد أو على الرقبة أو على الصدر، تسمى تميمة؛ فهذه من أنواع الشرك، كما مضى معنا من أنواع الشرك الأصغر؛ فإذا اعتقد بأنها تجلب نفعًا أو تدفع ضرًا بذاتها؛ فهو من الشرك الأكبر، وهذه محرمة باتفاق.

والذي قيل خلاف التميمة التي تكتب في ورقة أو في جلد من القرآن الكريم، أدلة السلف فيها منهم من أجازها، ومنهم من رأى أنها لا تجوز، لما يترتب عليها من الأضرار،

فالذين رأوا جواز أن يعلق من القرآن على الطفل أو الرجل أو الدابة أو السيارة أو الباب؛ قالوا: إننا لم نخرج عن القرآن الكريم الذي هو صفة من صفات الله.

ولقد رأى جمهور العلم أن التعويذة إذا كانت من القرآن الكريم أو من السنة النبوية أنه لا مانع من ذلك، لكن إذا كانت تعلق على هذه الأشياء، على الأطفال أو الرجال أو المركوبات أو البيوت ولو كانت من القرآن؛ فإنها لا تجوز.

وكونها لا تجوز هذا هو القول الراجح، وما ذلك إلاَّ لأن في عدم تعليقها سدّ لذرائع الشرك، ولا يستطيع أحد أن يعلق شيئًا من غير القرآن ثم يدَّعي أنه من القرآن؛ فلابد من المنع مطلقًا سواءً كان المعلق من القرآن أو من غير القرآن.

والذين رأوا الجواز كما أسلفت أنهم يقولون: ما تجاوزنا القرآن الكريم؛ بل المعلق هذا من القرآن وهو صفة من صفات الله التي يجوز بها الرقية والانتفاع.

وأيضًا من الأسباب التي تمنع من تعليق القرآن، كونه يكون فيه امتهان؛ لأن المعلق يدخل به أماكن نجسة، وقد تكون امرأة حائض أو نفساء، والذِّكر يُقدس؛ لذا المنع أولى من الإباحة، ومن أباح من علماء السلف فأرى أن معه وجه أنه لا حرج في ذلك؛ لكن الدليل يدل على أن عدم الجواز هو القول الراجح، نعم.

المتن:

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري -رضي الله عنه- أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يُبقِيَنَّ في رقبة بعير قلادةً من وتر، أو قلادةً إلاَّ قطعت.

الشرح:

وهذه أيضًا من أنواع المعلقات التي تعلَّق على الدواب، وكان من عادة أهل الجاهلية يعلقونها على الأبعرة، على البعير، على الناقة، وعلى الدابة -مركوب -، والمراد من هذه القلادة هي القلادة التي فيها نوع من الشرك، وليست القلادة التي تكون علامة على الدابة أنها هَدي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بفتل قلائد الغنم يوضع في عنقها ليعرف أنها هدي إلى مكة، وكذلك الإبل، فهذه القلائد لا تحرُم، لكن القلائد التي يدّعون أنها تدفع

العين، وتكون حصن حصين للمعلَّق عليه من الإصابات؛ هذه هي الممنوعة، وهو التقليد المحرّم التي كان يفعله أهل الجاهلية، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقطعها من أعناق الدواب، نعم.

المتن:

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنَّ الرُّقى وَالتَّمائِم والتِّوَلَة شرك))، رواه أحمد أبو داود.

الشرح:

هذه مضى بيانها الرقى والقول فيها، والتفصيل فيها، المشروع والممنوع، والتمائم كذلك جمع تميمة، وهي ما يعلَّق على عضد الإنسان أو رقبته أو صدره أو الدابة أو البيت، أو نحو ذلك، منهي عن ذلك كله وهو من ضروب الشرك الأصغر، وأما التِّوَلَة فقد فسرها المؤلف – رحمه الله – بأنه شيء، أعد.

قال يقول: ((إنَّ الرُّقى وَالتَّمائِم والتِّوَلَة شرك))،

التمائم شيء يعلّق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم بن مسعود – رضي الله عنه –.

عرفنا البحث في هذا، وأن الأولى والأرجح عدم الجواز، لما يترتب من تعليق القرآن على الناس أو الدواب يترتب عليه من أنه يفتح أبواب الشرك، وأن في منعه سد لذرائع الشرك، وأنه من صيانة القرآن أن لا يعلق على الرجال ولا على النساء ولا على الأولاد؛ بل يبقى في المصاحف ليقرأ ، وفي الصدور، نعم.

المتن:

والرُّقى: هي التي تُسمى بالعزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك؛ فقد رخَّص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحُمَة.

الشرح:

يعني من جميع الأمراض، من مرض العين، ومن الحُمَة والمراد بها لدغة ذوات السموم؛ كالعقارب والحيات ونحوها، يُرقى منها، ويقاس عليها جميع الأمراض كالصرع والسحر والمرض الباطني والظاهري؛ فهي من أسباب الشفاء من جميع الأمراض، وليست خاصة بمرضين.

المتن:

والتِّوِلَة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

الشرح:

وهذا من ضروب الشعوذة والسحر، ويسمى عند الفقهاء من باب الصرف والعطف، يسموه من ضروب السحر الصرف والعطف، يعني يعملون شيئًا إذا أرادوا أن يصرفوا المرأة عن زوجها، أو الرجل عن امرأته، والعكس إذا أرادوا أن يحببوا الرجل إلى زوجته، والزوجة إلى زوجها، فهو من باب الصرف والعطف، وهو لا يجوز لأنه من ضروب السحر، والسحر شرك.

المتن:

وروى أحمد عن رويفع – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَا رُويفِع، لَعلَّ الحيَاةَ سَتطُول بِك، فَأخبر النَّاسَ أَنَّ مَن عَقَد لحيَتَه، أَو تَقلَّد وَتراً، أَو استنجَى بِرجِيع دابَّة أَو عَظم، فَإِنَّ محمَّداً بَرِيءٌ مِنه)).

الشرح:

هذه الخصال كلّها محرّمة وأنّها من الكبائر، من تقلد وترًا، والوتر المراد به السُّيور، السّيور التي تجمع طرفي القوس، القوس هكذا ليرمى به، السّيُور تجمع بين طرفي القوس، فإذا بَليَ، وأراد أن يبدلها بغيرها أخذ الأولى وجعلها في رقبة البعير، أو جعلها على عضد الصبي أو في رقبته من العين، يعني تصرف عنه العين والجان، وهذا من أنواع الشرك.

ومعنى عقد اللحية، كان يفعله أهل الجاهلية، يجعّدُونها كبراً ويعقدونها تكبراً، لا تجملاً ولا رعاية لها.

والاستنجاء بالرّجيع لا يجوز؛ لأنه لا يطهّر، ولأن الاستنجاء بالرّجيع رجيع الدواب والعظام نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم لما فيه من المصلحة للغير، في عالم الجن؛ لما أتوا

النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه الطعام والعلف؛ قال لهم: ((كُلُّ عَظمٍ ذُكرَ اسمُ اللهِ عَليه يَعود كَمَا كَانَ – يعني طعام لهم للجن – وَلَدُوابِّكم كُلُّ رَوثَةٍ تَعودُ كَمَا كَانَت))، وهذا من علم الغيب الذي لا نشاهده ولكن نؤمن به؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام ذكره.

فلا يجوز لأحد أن يستنجي من بولٍ أو غائطٍ من رجيع دابة، البقر والغنم والإبل، وأمَّا الحمير فروثها نجس؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الروثة: ((إنها رجس))؛ أي: نجس؛ فلا يستنجى بها أيضًا لا يستجمر بها.

المتن:

وعن سعيد بن جبير قال: (مَن قَطَع تَميمةً من إنسَانٍ كَانَ كَعدلِ رَقَبة)، رواه وكيع .

الشرح:

وهو في بيان فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تغيير المنكر أجره عظيم؛ فمن رأى على مسلم رأى عليه شيئًا مُعلَّقًا يتقي به العين أو الشياطين أو يدفع به ضررًا أو يجلب به صحةً، فقطعها من يده أو من عنقه أو من عضده، عند القدرة على ذلك، فكأنما أعتق رقبة، له أجر من أعتق رقبة، وما ذلك إلاَّ لأنه أنقذ هذا المسلم أنقذه من النار؛ لأن الشرك الأكبر كما ورد في عمومات النصوص أن صاحبه إن مات عليه دخل النار، لكن دخولاً غير مؤبد، كما في قول عليه الصلاة والسلام: ((مَن لَقيَ اللهَ يُشرك به شَيئاً دَخَل النَّار، وَمَن لَقيه لاَ يُشرك بِه شَيئاً دَخَل الجَنَّة))، والآية الكريمة : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء:48]، فعند قوم تشمل الشّرك الأكبر والشّرك الأصغر؛ لذا من أنقذ أخاه المسلم من الشرك الأصغر بقطع تميمة من رقبته أو من يده كأنما أعتق رقبة مسلمة، ووجه الشبه بين الرقبتين أن هذا أعتق رقبة مسلمة، ووجه الشّبه بين الرّقبتين، أنّ هذا أعتق رقبة من النار؛ فجعل ثوابه كمن أعتق رقبة في سبيل الله، والله أعلم.

شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي -حفظه الله-

الشريط الخامس

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23)} [النجم: 19-23]

عن أبي واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة; فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط; فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: 138] لتركبن سنن من كان قبلكم" رواه الترمذي وصححه.

الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد وما يلحق به من تحقيق التوحيد وفضل التوحيد؛ أن التبرك بالأشجار والأحجار والأماكن غير المشروعة؛ كله من الشرك إما من الشرك الأكبر الذي ينافي أصل التوحيد، وإما من الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد.

وأما بالنسبة للباب والذي قبله، مناسبة هذا الباب للبابين الذي قبله؛ فهي أيضًا ظاهرة في أن البابين قبل هذا في بيان أنواع من الشرك و التبرك بالأشجار والأحجار أنواع من الشرك؛ فالحكم واحد؛ إما أن يكون ما في الأبواب الثلاثة كلها من أنواع الشرك الأكبر أو من أنواع الشرك الأصغر؛ أو حسب التفصيل الذي سبق فيمن تعلق تمائم أو حلقة أو حديد أو نحو ذلك؛ فالتبرك بالأشجار والأحجار والبقاع يكون من الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد إذا اعتقدوا فيه أنه سبب للبركة، فيعتبر من الشرك الأصغر؛ لأنه سبب غير مشروع؛ بل ممنوع فصار من الشرك الأصغر، وأما من اعتقد الأشجار والأحجار والبقاع اعتقد بأنها تجلب مصلحة أو تدفع ضرًا بذاتها وبركتها؛ فهو من الشرك الأكبر الذي ينافي أصل التوحيد.

وهذه أعمال كان يعملها الكفار في عهد النبوة وقبل عهد البعثة كل قوم لهم صنم يتوجهون إليه بالعبادة ويعكفون عليه، والعكوف عبادة، وهذا ما النوع الشرك الأكبر ولأنهم يطلبون من معبوداتهم قضاء الحاجات ودفع الكربات وكثرة الخيرات أمور لا تطلب إلا من

الله ولا يقدر عليها سواه؛ فإذا طلبت من هذه الأنواع أشجار وأحجار وأصنام وأوثان؛ فهو شرك أكبر من مات عليه فهو خالد مخلد في النار لا حظ له في رحمة الله. نعم.

المتن:

وقول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23)} [النجم: 19-23]

الشرح:

هذه الآيات الكريمات فيها بيان لما كان عليه الكفار من الإشراك بالله -تبارك وتعالى- وإنكار عليهم شديد، والعمل هذا يستحق الإنكار الشديد؛ لأن فيه صرف العبادة لغير الله -تبارك وتعالى- والعبادة لا يجوز أن تكون إلا لله وحده دون سواه، فمن صرف منها شيئًا لغير الله؛ فهو مشرك كافر، فجاء الخطاب الإلهي لهؤلاء الكفار على سبيل الإنكار، {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ}؛ صنم يعبد من دون الله [ثمرات] ثلاث عليها حجرة، اللات حجرة بيضاء، يُقال بأن كان هناك رجل يلت السويق للحاج ويوزعه؛ فغلوا فيه اعتبروه من الصالحين وهو يطعم الحاج فغلوا فيه؛ حتى وضعوا في مكانه حجرة يتبركون بها ويطلبون منها قضاء الحاجات ودفع الكربات، فسميت اللات باسمه وهي مشتقة بزعمهم من الإله، وَالْعُزَّى: كذلك حجرة على ثلاث [ثمرات] من الأشجار تعبد من دون الله -عز وجل- حتى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فهدمها، وهي مشتقة من العزيز؛ أي من اسم الله -عز وجل-، وهذا من ضروب الإشراك بالله أن تسمى الآلهة باسمه ويشتق لها أسماء من أسمائه، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى: صنم أيضًا اشتق لها هذا الاسم من اسم الله المنان الذي ثبت أنه من أسماء الله؛ فذمهم الله -تبارك وتعالى-؛ لأنهم اتخذوا آلهة من دون الله صرفوا لها أنواعًا من العبادات و تعلقت بها قلوبهم؛ فصار هذا الشرك من أكبر أنواع الشرك؛ صرف العبادة لغير الله وتعلق القلوب بغير الله في قضاء الحاجات ودفع المشقات والكربات؛ ثم كان أولئك الكفار يَدَّعون بأن الله -تبارك وتعالى- يلد وأن الملائكة بنات الله؛ كما قال -عز

وجل-: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} [الصافات: 158]؛ أي: الملائكة سموا جنة لاجتنانهم وخفائهم على الناس، وقال -عز وجل-: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا} [الزخرف: 19] أنكر الله عليهم بقوله: {أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: 19].

وبيَّن الله -تبارك وتعالى- ما أخطئوا فيه من نسبة الولد إليه؛ بل نسبة أنقص الصنفين؛ وهم الإناث، وهم البشر الذين وهبهم الله الأولاد {إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}؛ إما يمسك المولودة على هوان وعلى مضض وهو لا يريدها بل بعضهم يقتلها حية؛ حتى أنزل الله -عز وجل-: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: 8-9] إذا بشر بالذكر ارتاح وإذا بشر بالأنثى يكون كما أخبر الله -عز وجل- عنه؛ {ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: 58- 59]؛ فأنكر الله عليهم في قوله: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى} [النجم: 21] الله الواهب، الله هو الواهب، وواهب الكمال هو أولى به؛ لكن في حق الله الولادة ليست كمالاً لا ذكرًا ولا أنثى، والوحدانية هي الكمال في حق الله {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} [المؤمنون: 91]؛ أي: لو كان معه إله، وقال سبحانه :{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)} [الإخلاص: 1-4]؛ أي: الله إله واحد غني بذاته وأسمائه وصفاته لا يحتاج إلى الولد ولا إلى الوالدة؛ فهو لَمْ يَلِدْ؛ أي: ليس له ولد لا ذكر ولا أنثى كما قال الكفار، وليس له والد؛ لأنه الغني الحميد لا يحتاج إلى من ينصره أو يعينه أو يدفع عنه شيء يكرهه؛ لكماله ذاتًا وأسماء وصفاتًا؛ فأنكر عليهم بقوله: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى} [النجم: 21]؛ ثم بيَّن فساد هذه القسمة ادعاءهم ومحبتهم للذكور وبغضهم للإناث، بيَّن فساد قسمتهم بقوله: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم: 22]؛ أي: هذه قسمة جائرة؛ حيث نسبتم وأحببتم الذكور ونسبتم الإناث إلى الله -تبارك وتعالى- وهو واهب الجميع.

واليهود نسبوا إلى الله الابن {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: 30]، والنصارى كذلك نسبوا إليه الابن {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: 30] وقال كفار قريش ومن معهم من الأحزاب الملائكة بنات الله؛ فرد الله -عز وجل- عليهم افتراءهم و بيَّن خطأهم الشنيع بأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وصرح بوحدانيته وهو الحق { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 163] وكذا سورة الإخلاص؛ قل يا محمد لهؤلاء: { اللَّهُ أَحَدٌ }؛ أي: واحد منفرد بالخلق والرزق ومنفرد بالعبادة دون سواه { لَمْ يَلِدْ}؛ أي: لم يكن له ولد { وَلَمْ يُولَدْ }؛ أي: ليس بمولود له والد أو والدة؛؛ ثم جاء النفي العام بقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}؛ أي: ليس له مكافئ وليس له ند وليس له شريك لا في الخلق والرزق والتصرفات، ولا في العبادة. نعم.

المتن:

عن أبي واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة; فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط; فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: 138] لتركبن سنن من كان قبلكم" رواه الترمذي وصححه.

الشرح:

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة منها: أن هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حدثاء عهد بكفر؛ لأنهم قريبين من عام الفتح الذي دخل الناس في دين الله أفواجًا فيه، وخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين؛ فهم ليسوا من السابقين الأولين الذين تفقهوا وعرفوا التوحيد وما ينافي التوحيد ومسائل الشرك بالله؛ كما قال الصحابي حدثاء عهد بكفر؛ أي: قريبي العهد بالكفر، ولا غرابة أن يخطئوا.

ثانيًا: فيه أن الجهل لا يزيله إلا العلم ،والأصل في الإنسان الجهالة؛ حتى يأتي العلم فيزيل الجهالة؛ لذا أرسل الله الرسل و أنزل الكتب؛ ليعلموا الناس بما أنزله الله عليهم ليعلموا بعد الجهل.

ثانيًا: أن المكلف لا يعذر بالجهل في الإشراك بالله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما عذرهم؛ بل أنكر عليهم بأسلوب شديد؛ قال: ((الله أكبر، أنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم))؛ فأنكر عليهم لما طلبوا هذا الطلب، وأشد من ذلك قوله لهم: ((قلتم كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهًا)) فلو كان أحد يعذر بالجهل بالوقوع في الشرك؛ لعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم ما وقعوا في الشرك الأكبر وقعوا في الشرك الأصغر؛ قالوا أيضًا بالقول لا بالفعل قالوا: "للمشركين سدرة؛ شجرة معروفة ذات النبق يعكفون عندها -وهذا شرك أكبر لأن العكوف عبادة- قال: "وينوطون بها أسلحتهم"؛ يعلقون بها السيوف والرماح لتأخذ البركة من الشجرة فينتصرون بها على العدو في زعمهم؛ وهذا شرك أكبر؛ لأنهم يعتقدون أن الشجرة تهب النصرة والبركة في هذه الأسلحة فلا يستطيع أحد أن يقاوم بها أصحابها من الأعداء، وأما الصحابة الذين هم حدثاء عهد بكفر فإنهم لم يفعلوا ما علقوا أسلحتهم؛ لكنهم [قالوا] طلبوا سدرة يعلقون بها أسلحتهم؛ فصار شركهم شرك أصغر بالقول، نبههم النبي صلى الله عليه وسلم على بطلان هذه المقالة وخبثها، والشرك الأصغر لا يخرج من الإسلام، الشرك الأصغر لا يحبط العمل ولا يخرج من الإسلام؛ فهم لما أنكر النبي صلى الله عليه وسلم وعلمهم قبلوا، قبلوا ما أخبرهم به وأن هذا لا يجوز.

ورابعًا: تحريم مشابهة المشركين في الأقوال وسائر الأعمال؛ فتلكم السدرة اخترعها المشركون وعلقوا أسلحتهم رجاء البركة التي تهبها الشجرة؛ فصاروا بذلك مشركين شركًا أكبر.

وفيها أيضًا دليل على وجوب تغيير المنكر بحسب القدرة؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتركهم فيعتبرهم حدثاء عهد بكفر؛ لأن الشرك بالله -عز وجل- لا تؤخر الدعوة بالتخلص منه، ولكن يجب المبادرة إلى تغيير الإشراك بالله -تبارك وتعالى-؛ لأنه أكبر الذنوب على الإطلاق فبادر النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يمنعه من الإنكار عليهم كونهم حدثاء عهد بكفر؛ بل بادر بالإنكار وردهم إلى الصواب؛ لأنه خير من دعا البشرية وأحكم من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين.

وفي الحديث علم من أعلام النبوة في قوله: ((لتركبن سنن من كان قبلكم)) و في رواية: ((حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)) علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام؛ فكان الأمر كذلك؛ شابه كثير ممن يدعي الإسلام أمة الكفر، وما تعيش الأمة فيه اليوم من عبادة الأضرحة القبور التي توضع في المساجد أو في غير المساجد ويتوجه إليها الرجل والمرأة في ديار المسلمين يطوفون حولها و يبكون وينذرون ويستغيثون، وهم يصلون ويصومون! والسبب في ذلك الجهل الفظيع، وعدم المعلم البصير هو الذي أوقع الناس وتمادوا في هذه الأفعال المنكرة؛ علقوا قلوبهم بغير الله بعظام ورفات وناس صاروا ترابًا يرجون منهم جلب المصالح ودفع المضار، وربما تأتي الموافقة وقد كتب لهم شيء من ذلك؛ فظنوا بأنه الذي استغاثوا به رفع حاجتهم إلى الله فقضيت؛ فكانوا لابد أن يجعلوا بينهم وبين الله وسائط من الأحياء أو من الموتى؛ فكفروا بذلك -والعياذ بالله- وشبه الرسول عليه الصلاة والسلام مقالة أصحابه الشركية -وإن كانت شركًا أصغر- شبهها بقول أصحاب موسى لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة؛ فبماذا رد عليهم؟ {قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: 138- 139].

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا كمالهم آلهة))؛ لأن أنواع الشرك يشبه بعضها بعضًا؛ إلا أنه فرق بين الشرك الأكبر والأصغر؛ فالأصغر لا يخرج من الملة وإن كان صاحبه على خطر، والأكبر هو الذي يخرج من الملة ويحبط العمل ويوجب الخلود في النار لمن مات عليه والله أعلم.

السائل: أحسن الله إليكم يا شيخ ما الحكم في هذه الأبيات:

أمرغ في حراء أديم خدي   دواما في الغداة وفي العشي

لعلي أن أنال بحر وجهي   ترابا مسه قدم النبي؟

الشيخ:

هذا من التوسل الحرام، حرام التراب لا ينفع أحدًا، والتوسل بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وفضلاته هذا حق؛ لكن بالتراب لا يعني مثلاً نجد أصحابه كانوا يتوسلون بريقه – التوسل أو التبرك؟- ودمه يتبركون به بالريق والدم والشعر وقد أذن في ذلك؛ لما له من

الفضل؛ لكن لا يعبدون النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يطلبون منه ما لا يُطلب إلا من الله أبدًا لا استغاثة ولا غيرها، ولما جاءه رجل وقال لأصحابه: "قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق"؛ قال: ((إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)) سدًا لباب الذريعة؛ وإلا فقد يكون طلب الاستغاثة ممن يقدر أن يغيث؛ كما في قوله: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص: 15] لكن إذا كانت الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله –عز وجل– فلا؛ شرك بالله أكبر.

والتبرك بالتراب الذي وطئه النبي صلى الله عليه و سلم هذا من التبرك الممنوع، وليس من التبرك المشروع التبرك المشروع بشيء من فضلاته سواء في عهده أو بعد عهده، وأما بالتراب الذي وطئه والقبر وما شاكل ذلك هذا كله من البدع الضالة المضلة. والله أعلم.

السائل: شيخ –أحسن الله إليك– بالنسبة للشرك الأصغر ما يحبط العمل الذي يرافقه؟

الشيخ: لا يُقبل العمل؛ العمل الذي يقدمه ظنًا منه أنه قربة لا يُقبل، باطل.

السائل: يعني العمل الذي حصل فيه الشرك الأصغر كالرياء مثلا هذا حابط، أما بقية العمل فهو مقبول بخلاف الشرك الأكبر؟

الشيخ: نعم بقية العمل (..)، وأيضًا العمل الذي وقع فيه الرياء إذا كان من قبل الرياء الأصغر لا يحبط العمل كله، ولكن ينقص ثوابه كالمصلي يصلي لله، ويطرأ عليه أن فلانًا يشاهده فيزيد في حسنها؛ هذا لا يحبط جميع العمل؛ لكن يحبط ثواب ما رائ فيه و أصل العمل مقبول.

السائل: جزاك الله خير يا شيخ.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162- 163]

وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: 2]

عن علي بن أبي طالب -رضي الله- عنه قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض" رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب؛ قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا؛ قالوا لأحدهما: قرب؛ قال: ليس عندي شيء أقرب.

قالوا له: قرب ولو ذبابًا؛ فقرب ذبابًا؛ فخلوا سبيله؛ فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب؛ فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله؛ فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة)) رواه أحمد.

الشرح:

هذا الباب، مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة؛ وهي أن الذبح لغير الله تقربًا به إلى من ذُبِحَ له؛ شرك أكبر ينافي أصل التوحيد، وهو من جملة الأحاديث التي سبقت فيما يتعلق ببيان أنواع الشرك، وما يترتب عليه من العقوبات؛ كالباب الذي قبله؛ بل والأبواب التي قبل هذا الباب، بعد تكفير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

وهو من الأبواب التي فيها تفسير التوحيد؛ أي :بيان حقيقة التوحيد وفضل التوحيد وبيان أجر من حقق التوحيد، وكذلك بيان الشرك وبيان النوع الذي يحبط العمل ويوجب الخلود في النار، والنوع الذي لا يحبط العمل ولا يوجب الخلود في النار؛ ولكنه خطر على صاحبه؛ لأن صاحبه متوعد بالعذاب.

أما من حيث الذبح؛ فالذبح يكون لأغراض ذبح بهيمة الأنعام التي تفضل الله بها على الأمة تذبح لأغراض متعددة ومتنوعة، وشرها والذي عُقِدَ من أجله الباب؛ هو ما ذُبِحَ لغير الله عبادة وتقربًا إلى من ذبح له كالصنم وصاحب الضريح أو شجرة أو نحو ذلك من حاضر أو غائب؛ فهذا النوع لهذا الغرض، هذا النوع من الذبح لهذا الغرض شرك أكبر ينافي أصل التوحيد، وهناك أغراض أخرى يذبح فيها؛ منها: ما هو واجب و منها ما هو سنة و منها ما هو مباح:

فالواجب ما يذبح هديًا لحج أو عمرة، والعمرة ليس فيها هدي إلا مستحب؛ ولكن الحج حج التمتع و القران هذا واجب لمن استطاع على من استطاع يعتبر واجبًا؛ فيذبح سواء من الإبل أو البقر أو الغنم.

والمستحب منه الذبح شكرًا لله على النعمة أو إكرامًا للضيف أو لأصحاب يكون مستحبًا عند القدرة عليه.

وقد يكون سنة مؤكدة من السنن المؤكدة كالأضحية والعقيقة تعتبر من السنن المؤكدة.

وقد يكون مباحًا كمن يذبح لنفسه وعائلته؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن ذبح قبل الصلاة: ((شاتك شاة لحم))؛ أي: لأهل البيت؛ فهي من قسم المباح.

وهذا الباب عقد من أجل نوع واحد، بيان غرض واحد و هو الغرض السيئ؛ الذبح لغير الله تقربًا لصنم أو وثن أو حجر أو شجر، وهي من جملة الأصنام، أو ولي من الأولياء، أو أي مخلوق غير الخالق -سبحانه وتعالى-.

ثم أورد الآية؛ بل الآيتين: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: 162]؛ وهذه من الآيات العظام التي فيها وجوب تخليص العبادة لله وحده دون سواه، كل نوع من أنواع العبادة يجب أن تكون خالصة لله؛ بل المخلوق بنفسه هو ملك لله -تبارك وتعالى- يتصرف فيه كما يشاء وكما يريد، وهكذا عباداته التي يتقرب بها إلى الله يجب أن تكون خالصة لله وحده دون سواه.

وخص الصلاة هنا؛ لعظمها وكبير فضلها خصها بالذكر، وهكذا النسك؛ لأن الباب ما جاء في الذبح لغير الله؛ فأوحى الله لنبيه بأن يعلن لأمته جمعاء أن الصلاة لله؛ أي يجب أن تكون لله لا لأحد سواه، وأن النسك يجب أن يكون لله وحده، كل ذبح يكون لله

وحده، وعلى رأس ما يذبح النسك الذي يذبح في حج أو عمرة، وأن المحيا والممات لله وحده دون سواه؛ فالله وحده هو الذي بيده الحياة وبيده الموت هو الذي يحيي ويميت، وأمة النبي صلى الله عليه وسلم تبع له في الخطاب، وكل مسلم هذا شعاره: { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}؛ فيجب على المسلم أن يستشعر دائمًا أنه هو وعمله لله وحده دون سواه، وأن يعتبر ذلك عقيدة راسخة لا يتزحزح عنها؛ لأنه ملك لله وأن عباداته يجب أن تكون خالصة لله وحده دون سواه؛ كما قال عز وجل: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}؛ أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، { وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5]، وآيات القرآن بعضها يوضح بعضًا ويكمل بعضًا ويفسر بعضًا.

وفي قوله عز وجل: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر: 2] أمرٌ بعبادتين عظيمتين؛ العبادة الأولى: الصلاة بجميع فرائضها ونوافلها، والعبادة الثانية: النحر؛ الذبح لله -تبارك وتعالى- ما كان منه واجبًا وما كان منه مسنونًا وما كان منه مباحًا، ينوي به التقرب إلى الله وحده دون سواه، والمحظور هو أن ينوي به لغير الله؛ كالمشركين الذين يذبحون لأصنامهم وأوثانهم، ويرجون منها الشفاعة لتقربهم إلى الله زلفى! ولا يقرب إلى الله زلفى

-هنا حدث انقطاع-

كما قال -عز وجل-: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ: 37]

الذي يقرب إلى الله -تبارك وتعالى- بعد رحمته وإحسانه؛ هو صالح العمل الذي يُرفَع إلى الله -تبارك وتعالى- في كل وقت وكل حين، وأدرك ذلك العلماء الصالحون الموحدون؛ فحرصوا ألا يمر على الواحد وقت من الأوقات إلا ويتقرب إلى الله فيه بعمل صالح، ولو بأخف كلمة على اللسان :سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله"، قل ما شئت مهما استطعت؛ فهي خفيفة على اللسان وثقيلة في الميزان؛ كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، والذين آتاهم الله شيئًا من العلم وحرصًا على القربات يعرفون الأعمال القليلة التي أجرها كثير؛ ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خرج صباحًا وإحدى زوجاته في مصلاها تسبح؛ فرجع وهي على حالها في مصلاها تسبح؛ فقال:

((مازلت من أول النهار على هذا المقام؟ فلقد قلت بعدك كلمات أربع، ثلاث مرات لو وزنت بما عملت لوزنتهن؛ سبحان الله وبحمده عدد خلقه، سبحان الله وبحمده رضا نفسه، سبحان الله وبحمده زنة عرشه، سبحان الله وبحمده مداد كلماته)) هذه أربع كلمات قالها ثلاث مرات وزنت من التسبيح الأعداد الكثيرة، وهي جمل قصيرة؛ فالمهم أن الذي من منحه الله شيئًا من العلم يستطيع يأتي بالعمل اليسير الذي يترتب عليه الثواب الكثير؛ لذا تجد من إرشادات النبي صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير من هذا النوع؛ كقراءة قل هو الله أحد بعد الفجر من أذكار الصباح عشر مرات، هذه في دقيقة واحدة يقرؤها الإنسان، من قرأها عشر مرات دخل الجنة، وهذا ثواب جزيل، هكذا من قال: "سبحان الله مائة مرة؛ كتب الله له ألف حسنة" وهي تقال في دقيقة واحدة، سبحان الله سبحان الله مائة مرة في مقام واحد تكسب ألف حسنة، وهكذا أعمال يسيرة خفيفة في هذه الشريعة وعليها من الثواب ما لا يحصيه إلا الله -تبارك وتعالى- هذا بالإضافة إلى ثواب الفرائض والسنن المؤكدة ورواتب الصلاة وصوم التطوع وقراءة القرآن، وحدث عن الأجر الكثير في قراءة القرآن؛ كل حرف بحسنة والحسنة بعشر، فكلما أكثرت من قراءة القرآن؛ كسبت من الحسنات ما لا تستطيع أن تحصيه أنت أبدًا؛ لكن الله هو الذي يحصيه وهو الذي يجازي عليه؛ فكم حرف في القرآن الكريم؟ لو ختمت المصحف في كل شهر ثلاث مرات وهو أوسط أعدل الأشياء بمعدل ثلاثة أجزاء كل يوم وليلة، عشر مرات القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاث وعشرون ألف حرف وستمائة وستة وسبعين؛ كما ذكرها المفسرون، كلها حسنات، ولو ختمته في الشهر مرة واحدة عندك المكسب الكثير لاسيما إذا كنت ممن يتعرف أثناء التلاوة على معاني الآيات.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب.

المتن: أعد الحديث.

الطالب:

عن علي بن أبي طالب -رضي الله- عنه قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض" رواه مسلم.

الشرح:

السنة بل الشرع كله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ إما أمر بخير ليفعله عالم الإنس والجن فيثابون عليه، أو نهي عن شر ومنكر؛ فيجتنبه من شاء الله -عز وجل- هدايته؛ فلا يقع فيه فيسلم من العقوبات العاجلة والآجلة، والرسول بلغ كل ذلك، بلغ الأمة الخير وأنواع الطاعة الواجبة والمستحبة القولية والفعلية الظاهرة والباطنة، علمهم ليعملوا بها فيكسبوا رضي الله -تبارك وتعالى- وجنته، وعلمهم الشر ؛ليجتنبوه،

ففي هذا الحديث تحذير من أربعة أعمال وبيان أنها من كبائر الذنوب

- الأمر الأول: الذبح لغير الله وهو الشرك الأكب،ر وهو الذنب الذي إذا مات عليه صاحبه؛ صار خالدًا مخلدًا في النار لا ينال من مغفرة الله شيئًا ولا من شفاعة الشافعين، فقد لعنه الله طرده وأبعده من رحمته؛ لأن الذبح عبادة وتقرب فوجب أن يكون لله ومن صرفه لغير الله فقد كفر بالله -عز وجل- وأشرك به.

- ثانيًا: ولعن الله من لعن والديه.

ولعن الله من لعن والديه، وهذه كبيرة من كبائر الذنوب؛ فإن الله أوصى ببر الوالدين {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: 23] وقال: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23] ونهى عن العقوق كما في هذه الآية الكريمة؛ فإذا تجاوز الابن تجاوز البر وأتى بأكبر أنواع العقوق وهو لعن الوالدين، فلما كان من المستغرب أن يواجه الابن أو البنت أبويه أو أحدهما باللعن مواجهةً؛ بيَّن النبي صلى الله عليه و سلم كيف يسب الرجل أمه وكيف يسب أباه؛ قالوا: وكيف يلعن والديه؟ قال: ((يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه))؛ فذاك لعن الرجل لوالديه؛ لأنه تسبب ولولا أنه بدأ باللعن والشتم للآخرين ما شتموا أباه ولا شتموا أمه، فجاءت العقوبة - والعياذ بالله- لعنة الله على من لعن والديه؛ أي: تسبب في لعنهما؛ كأن يجد فلان في الشارع فيلعن والديه ثم هو فيرد عليه بالمثل وهكذا، أو مكاتبة أو مهاتفة وما شاكل ذلك.

والكبيرة الثالثة: لعن الله من آوى محدثًا، وهذه بابها واسع لعن الله من آوى محدثًا؛ من هو المحدث؟ المحدث في دين الله -عز وجل- من تنكب الطاعة واختار المعاصي والمنكرات

وعاش في جحيمها؛ فتجده يفعل المنكر ويدافع عنه، ويرد على أصحاب الحق بالباطل؛ ليستقيم الباطل في نظره ويسقط الحق وأهله، وهذا الباب يسلكه أصحاب البدع -بعد المشركين والكفار- يسلكه أصحاب البدع المضلة؛ فتجدهم يدافعون عن البدعة وأهلها وينصرونهم بالباطل، ويردون على من يغير المنكر الذي هم فيه، وهكذا صور متعددة لإيواء المحدث؛ كأن يعلم أن فلان ظالم أخذ الأموال وهتك الأعراض وسفك الدماء ؛ثم يأويه إلى منزله ويدافع عنه ويتستر عليه.

ولمن تستر عن الإرهابيين الحاليين نصيب كبير من هذا اللعن الصادر من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هؤلاء الإرهابيين هتكوا الأعراض وسفكوا الدماء وجمعوا الأموال من الحرام واستعانوا بها على سفك دماء معصومة وعلى ترويع الناس الصغير والكبير؛ بل وعلى قتل الناس الصغير والكبير المسلم والمستأمن، وتجد من يؤويهم ويتستر عليهم ويدافع عنهم؛ فكشف الله عنهم الستر، وأبرزهم في المغلوبين فما ظهروا في موقعة من المواقع إلا خسروا؛ لأنهم خوارج أشد جرمًا من الخوارج في عهد الصحابة؛ فجاءت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن آوى محدثًا ولو سرق الإنسان شيئًا يسيرًا من المال ثم دافعت عنه وحميته ونصرته؛ فقد آويت محدثًا، والإنفاق والعمل في الإسلام أن تعين صاحب الحق حتى يصل على حقه، وأن تكون ضد المبطل حتى ينتصر منه المظلوم وفي الحديث: ((انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قال: أنصره إذا كان مظلومًا فكيف إذا كان ظالمًا؟ قال تحجبه عن ظلمه)) تحجبه إما بالنصيحة إن نفعت، وإما بالأخذ على يديه عند القدرة.

والرابعة: لعن الله من غير منارات الأرض؛ لما في ذلك من الظلم في الحقوق، ومنارات الأرض المعالم التي تُعرف بها الحدود التي جعلت فاصلة بين حد فلان و فلان سواء في الأرض الزراعية أو في الأرض السكنية، من عدلها من مكان إلى مكان ليأخذ نصيبًا من حق جاره؛ فقد استحق اللعنة التي هي الصد و الإبعاد -والعياذ بالله-، وفي الحديث الصحيح: ((من ظلم شبرًا من الأرض طوقه من سبع أرضين)) شبرًا طوقه من سبع أرضين يوم القيامة، وحقوق العباد مبناها على [..] والمشاحة؛ بحيث لا يسقطها الله أبدًا؛ بل لابد من الأخذ من أهلها من الظلمة سواء في الأموال أو في الأعراض أو في الدماء، لا بد من القصاص، وجاء في الحديث: ((الدواوين ثلاثة ديوان لا يغفره الله وهو الشرك الأكبر والكفر الأكبر

والنفاق الإعتقادي، وديوان لا يتركه الله وهو حقوق العباد بعضهم لبعض، وديوان لا يعبأ الله به فيغفره إن شاء)) بدون عقوبة وبدون محاسبة؛ لأنه الكريم —سبحانه-؛ كتقصير في بعض الواجبات أو إخلال ببعض السنن أو نحو ذلك؛ فيكفره الله -عز وجل- بالأعمال الصالحات وأخطاء من الصغائر والكبائر إن تاب منها؛ بل هي تحت المشيئة وإن لم يتب.

إذًا كل حق لله هو أخف و أسهل؛ لكن حقان لا يتركان؟ الحق الأول: حق الله وذلك إذا كفر المكلف بالله أو أشرك به شركًا أكبر أو نفاقًا اعتقاديًا، والديوان الثاني: حقوق الخلق بعضهم على بعض (..)، والجزاء هو أخد من حسنات الظالم للمظلوم فإذا فنيت الحسنات أخذت من سيئاته فطرحت عليه؛ فطرح في النار -والعياذ بالله-؛ لهذا وجب على العقلاء من عالم الإنس والجن أن يرحموا أنفسهم ويبتعدوا عن حقوق الغير، ويبتعدوا عن ضروب الشرك والنفاق؛ بل ويبتعدوا عن المعاصي جميعها؛ فلا يستهان بشيء منها؛ فإن الصغائر تجتمع حتى تكون كبائر؛ لكن من تاب فان الله يتوب عليه.

السائل:

أحسن الله إليكم هذا سائل يقول في هذا العصر ظهر أن بعض الناس يقومون بالذبح لإرضاء بعض الناس إذا صارت بينهم خصومة تسمى حقوق؛ فهل فعلهم هذا صحيح أم أنه من ضروب الشرك؟ جزاكم خيرًا.

الجواب:

لا هذا فعل الجاهلية، هذا يلزمون به إلزامًا وهو العقر ولا عقر في الإسلام، لا يجوز مثل هذا، الصلح يجري مجراه والحقوق تعاد إلى أهلها، ولا يجوز أن يحكم فيها إلا الشرع فالذي يمكن فيه الصلح يمكن، والذي لا يمكن فيه الصلح لا يجوز المصالحة عليه بمثل هذه [السلومات] يسموها ما يجوز هذا كالوقوع في الزنا الوقوع في السرقة، القذف وما شاكل ذلك، الذبح من أجل هذا مصالحة لا يجوز أبدًا.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب؛ قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا؛ قالوا لأحدهما: قرب؛ قال: ليس عندي شيء أقرب.

قالوا له: قرب ولو ذبابًا؛ فقرب ذبابًا؛ فخلوا سبيله؛ فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب؛ فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله؛ فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة)) رواه أحمد.

الشرح:

هذا الحديث وإن كان موقوفًا إلا أنه لا مجال للاجتهاد فيه لا يقال من قبل الرأي، وهو في حكم المرفوع، والقصة معناها ظاهر وذلك أن للخير دعاة وللشر دعاة في كل زمان ومكان عبر تاريخ الدنيا، وأولئك القوم من دعاة الشر وظفوا أنفسهم وحبسوها على صنم لا يجوزه أحد؛ أي لا يمر عليه أحد؛ حتى يُقرِّبَ له شيئًا من دون الله وهذا غاية الإضلال؛ لأنه إذا قرب الشخص ذبحًا لغير الله؛ وقع في الشرك الأكبر، إذا مات على ذلك كان من الخالدين المخلدين في النار، وأن الخير له دعاته وأهله مهمتهم هداية أنفسهم وهداية الخلق، وكم من أجر يحرزونه في السبب في هداية أنفسهم وهداية غيرهم، أما هداية أنفسهم فإنهم يفكونها من النار، وهداية غيرهم كذلك فك لرقابهم من النار ولهم الأجر؛ لأن من أعتق إنسانًا من الشرك كان كعتق رقبة؛ كما مر معنا؛ فالرجلان الذي قرب شيئًا لغير الله سببه أنه مكره؛ أُكره على الفعل، فإن لم يكن مُكرهًا؛ فإنه صاحب عقيدة فاسدة؛ حملته أنه لا يبالي أن يقرب شيئًا لغير الله وهو إلى ذلك أقرب؛ لأنه ممن يستحل أن يذبح لغير الله، والذبح لغير الله شرك أكبر؛ قالوا لأن للترك طريق وهو أن يترك مجاوزة ذلكم الصنم لحاجته ثم يعود؛ لتسلم عقيدته ويسلم دينه لكنه لسهولة الأمر عليه وعدم التوحيد في قلبه اعتذر بأنه لا يجد شيئًا؛ فقالوا له: ولو ذبابًا قرب للصنم ولو ذبابًا يذبحه لغير الله؛ فقرب ذبابًا؛ لأن الأمر عنده سهل وهين فتركوه؛ فدخل النار؛ أي: مات فدخل النار، وهكذا الحكم في كل من مات وهو يذبح لغير الله فإنه من أهل النار؛ لأنه أتى بعمل ينافي أصل التوحيد، وهو الذبح لغير الله الذي عُدَّ من الشرك الأكبر، وما كان لله فهو إما عبادة وإما مباح، وأما الآخر؛ فقال: ما كنت لأقرب شيئًا لغير الله -عز وجل-؛ فضربوا عنقه فدخل الجنة؛ لأنه من أهل التوحيد، شق عليه الأمر وعظم أن يقرب ذبابًا مثل من قرب، وإنما تبرأ من أن يذبح لغير الله ذبابًا ولا غيره، وهذه عقيدة الموحدين ومن مات من أهل التوحيد فهو من أهل الجنة.

المتن:

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: 108]

عن ثابت بن الضحاك -رضي الله عنه- قال: " نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا؛ قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم" رواه أبو داود. وإسناده على شرطهما.

الطالب:

قال -رحمه الله تعالى-: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

الشرح:

ثم أورد تحت هذا لباب الآية الكريمة {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} الآية، وقبلها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [التوبة: 107]، والمراد به مسجد الضرار الذي بناه المنافقون كيدًا للإسلام والمسلمين ليتجمعوا فيه وينطلقوا منه ويرسموا الخطط التي فيها ضرر على الإسلام والمسلمين، بنوه وطلبوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه؛ لأنه إذا صلى فيه فكأنه قد شرع لهم الصلاة فيه فاطمأنوا ليعملوا أعمالهم ويمكروا مكرهم؛ فأراد الله -تبارك وتعالى- أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام على سفر، يتجهز لغزوة تبوك؛ قال لهم: إذا رجعنا فعند رجوعه نزلت الآية: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا} ليس للعبادة، ولكن ليضروا به الإسلام والمسلمين يتجمعون فيه ويرسمون الخطط ويكيدوا للرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه؛ فنهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً}؛ فلما نزلت هذه الآية أمر النبي عليه الصلاة والسلام بعض أصحابه فذهبوا فأحرقوه.

لما سُئِلَ الشيخ عطية -رحمه الله- عطية بن سا لم؛ أذكر واحد سأله زمان قالوا له: وأين مسجد الضرار؟ يعني يريد يسأل عن الأثر قال: هو كما قال الله: {فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ}؛ يعني معناه ما عنده علم يقول في مكان كذا وكذا مثل الأماكن المعروفة قال كما ذكر الله: {فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} وهو صحيح، لا يستطيع أحد يقول في مكان كذا

وكذا؛ لأن الله -عز وجل- أهانهم ورد كيدهم في نحورهم، وقال: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ}، مسجد قباء {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} ثناء الله على أهل الطهارة والكمال فيها.

ومناسبة الباب أن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله من وسائل الشرك وأسبابه التي تنافي كمال التوحيد، ولو كان الذبح لله وذُبِحَ في مكان يذبح فيه لغير الله أو مكان يعبد فيه غير الله —عز وجل- يكون ذلك من وسائل الشرك و ذرائعه، والإسلام جاء بسد الذرائع و قطع الوسائل التي تجر إلى لشرك، أو تجر إلى التشبه بالمشركين؛ فلما جاء الرجل يستأذن لينحر إبلاً ببوانة؛ مكان معروف؛ سأله هذه الأسئلة: هل فيها عيد من أعياد المشركين؟ لا يجوز؛ لأن إحياء عادات المشركين محرمة بنص السنة: "من تشبه بقوم فهو منهم"، هل فيها وثن يعبد من دون الله؟ قال: لا؛ لأنه لو كان فيها وثن يعبد لصار الذبح في مكان الوثن إحياء لعبادة المشركين، وهو أمر لا يجوز يتنافى مع التوحيد؛ ثم بعد ذلك قال: ((أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم)) إذا بَعُدَ الإنسان عن الوسائل وسائل الشرك وأعمال الجاهلية؛ فلا حرج عليه أن يعمل عملاً قربة يتقرب بها إلى الله -عز وجل- والعكس بالعكس؛ إذا كان من الأماكن التي هي من عبادات المشركين وأماكن عباداتهم؛ فلا يجوز لأحد أن يشابههم؛ فيقع في وسيلة من وسائل الشرك، وإن لم يكن في الشرك الأكبر وللوسائل حكم الغايات.

الشيخ: الحديث؟

الطالب:

عن ثابت بن الضحاك -رضي الله عنه- قال: " نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا؛ قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم" رواه أبو داود. وإسناده على شرطهما.

الشرح:

حديث صحيح ومعناه واضح وهو التحذير من إحياء أعمال الجاهلية، وأن من نذر بنذر ينظر فيه إن كان نذر طاعة؛ فإنه وجب أن يبادر إلى عمله سواء كان ذبحًا أو غيره، وإن كان نذر معصية فلا يجوز له أن يوفي به، لا يجوز له أن يوفي به إذا كان نذر معصية، وهل فيه كفارة أو لا؟ هذا خلاف بين أهل العلم، والأرجح أنه لا كفارة فيه؛ لأنه نذر محرم لا قربة فيه، وإذا كان نذر في مكان معين لا يجوز فعله فيه؛ فإن صاحبه يتحول من ذلكم المكان إلى مكان يجوز له أن يفعل فيه النذر يلزمه، ولكن يتحول إلى المكان الذي يجوز له أن يوفي بالنذر، وهكذا في ما لا يملكه ابن آدم لا يجوز لأحد أن ينذر نذرًا لا يملك المنذور؛ كأن ينذر الإنسان بشيء ملك لغيره؛ فيقول: مكان كذا وكذا نذر لله وهو لا يملكه! أو دابة أو مركبًا يجعله نذرًا لله، وهو لا يملكه! لا يجوز له ذلك، وفي ذلك قصة ناقة النبي صلى الله عليه وسلم التي أخذها الكفار، وأسروا إمرأة من المسلمين فتمكنت ذات ليلة أن تركب هذه الناقة لترجع إلى المدينة خفية؛ فتمكنت وركبت وطاردوها ولكن لم يظفروا بها سبقتهم؛ حتى دخلت المدينة؛ فنذرت المرأة قالت: لئن نجاني الله عليها لأنحرنها؛ أي: صدقة نذر لله؛ فلما وصلت وعلم الصحابة بالخبر أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بأنها نذرت أن تنحرها؛ قال: "بئس ما جازتها"؛ يعني أنها حملتها حتى وصلت إلى محل الأمان؛ ثم تجازيها بالنحر؛ فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال في ما جاء في هذا الحديث: ((ولا في ما لا يملك ابن آدم))؛ فكل من نذر شيئًا لله وهو لا يملكه لا يجوز له الوفاء به.

الشريط السادس

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

شرح فضيلة الشيخ:

زيد المدخلي -حفظه الله-

[المتن]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب من الشرك: النذر لغير الله

وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً} [الإنسان: 7]

وقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} [البقرة: 270]

وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من نذر أن يطيع الله فليُطِعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)).

[الشرح]

النذر نوع من أنواع العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله -تبارك وتعالى-؛ فالمناسبة بين هذا الباب وكتاب التوحيد ظاهرة، وذلك أنَّ النذر إذا صُرِفَ لغير الله فهو شرك أكبر ينافي أصل التوحيد، ثم النذر معناه: إلزام المكلف المسلم نفسه بعمل لم يجب عليه في أصل

الشريط الخامس

الشرع وإنما ألزم نفسه إلزامًا بعملٍ هو عبادة سواءً كان صلاةً أو صومًا أو صدقةً أو حجًا أو عمرةً أو نحو ذلك؛ فمتى ألزم المكلف المسلم نفسه ونذر أن يفعل عبادة معينة؛ وجب عليه الوفاء بها، وهو عبادة، النذر أصله عبادة إما أن تكون عبادة لله أو تكون عبادة لغير الله؛ فنذر الطاعة عبادة لله يجب الوفاء به، والنذر لغير الله عبادة صُرِفَت لغير الله؛ فكان فاعلها مشركًا؛ فمثلاً إذا نذر إنسان أن يحج أو يعتمر هذه طاعة، وهذا يسمى نذر مطلق؛ وجب عليه الوفاء به؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: ((من نَذَر أن يطيع الله؛ فليطعه))؛ أي: بالوفاء، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((أوف بنذرك))، والآية الكريمة: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} فهو مدح، وإذا مدح الله -عز وجل- قومًا أو أعمالهم فقد أوجب ذلك العمل أو استحبه لهم ورضيه؛ لذا فالنذر إما أن يكون نذر طاعة أو يكون نذر معصيةٍ؛ فما كان لله -تبارك وتعالى- وكان مشروعًا لا يدخل فيه شيء من المحرمات؛ فهو واجب الوفاء؛ لابد من الوفاء به واحتساب ذلك، وإن كان الأفضل غير الإلزام؛ أي لا يلزم الإنسان نفسه، الأفضل أن الإنسان لا يلزم نفسه لا بنذر مطلق ولا بنذر مقيد؛ بل يبذل جهده بقدر استطاعته وما خرج عن استطاعته فلا ينبغي أن يكلف نفسه؛ لأن الإنسان تعتريه أحوال من سفرٍ ومرضٍ وعذرٍ؛ فإذا كان قد ألزم نفسه بنذر مشروع يحصل عليه شيء من الضيق إما أن يحرص على الوفاء بالنذر فيحصل عليه خلل، وإما أن يُقدِّم ما طرأ عليه فيحصل أيضًا خلل في النذر؛ لذا المستحب للإنسان أنه لا يلزم نفسه ولكن يبذل جهده في الطاعات بقدر استطاعته.

ثم النذر المشروع؛ النذر الذي يجب الوفاء به -لا أقول المشروع- لأن في نوع من أنواع النذر ليس مشروعًا مع وجوب الوفاء به؛ وهو: النذر المقيَّد أو المعلَّق على شيء، ومن أنواع الطاعات وليس من المعاصي ولكن كرهه النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو النذر المعلَّق أو المقيَّد؛ كأن يقول: إن شفى الله مريضي فللّه عليَّ كذا وكذا إما صومًا أو صلاةً أو صدقةً، وإن قُضِيَت حاجتي، وأن تحصلت على كذا، ونحو ذلك من المطالب لكن مصالح أو دفع النقم، إذا حدَّدَ النذر بوجود المصالح أو اندفاع النقم؛ تسمى: نذر مُعلَّق أو مُقيَّد، وهذا الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ النذر لا يأتي بخير وإنما يُستخرج به من البخيل))؛ والمعنى: أن البخيل لا يبذل نفسه في القربات حتى تلِّمَ به حاجة إما جلب مصلحة أو دفع مضَّرة؛ ثم قال: لله عليَّ كذا وكذا إن تحقق لي كذا وكذا، هذا الذي قال فيه

النبي عليه الصلاة والسلام: ((إنما يستخرج به من البخيل))؛ يعني: قد يكون رجل شحيح بالصدقة؛ حتى تأتي له حاجة أو تنزل به مشقة وكربة؛ ثم يأتي ينذر: لله عليَّ صدقة كذا وكذا من المال إن قُضِيَت حاجتي أو دُفِعَ عني المكروه؛ فمن حيث إنشاء هذا النذر هو مكروه من هذا الحديث، ومن حيث الوفاء به واجب، مادام ألزم نفسه يجب عليه أن يوفيَّ به.

وأما النذر المطلق فهو قربة مطلقة لا حرج على من فعله؛ ولكن الأفضل عدم الإلزام للنفس بنذر معين على عمل معين، فلينطلق ويعمل في ليله ونهاره بحسب ما يستطيع، وبحسب ما يقدر بدون أن يُلزم نفسه بشيء ما ألزمه به الشرع؛ بل الشرع إما رغَّب فيه ووعد عليه الثواب، ونفس المؤمن ترغب فيما رَغَّبَ الله -عز وجل- فيه أو رغب فيه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأما نذر المعصية كمن نذر في معصية؛ نذر مثلاً أن يهدم بيت فلان أو يضربه أو يقاطعه أو لا يصل الجار والرحم ما شاكل ذلك من المعاصي؛ فهذا لا يجوز له الوفاء به أبدًا؛ لما فيه من الضرر، والنبي صلى الله عليه وسلم حرَّم الضرر: ((لا ضرر ولا ضرار))؛ فلا يجوز لأحدٍ أن ينذر نذر معصيةٍ يضُر بها أحدًا من الناس، أو يخالف بها شرع الله المطهَّر؛ فإذا فعل ونذر أولاً: بالاتفاق لا يجب الوفاء بنذر المعصية، والخلاف: هل يلزمه أن يكفر عن نذره كفارة اليمين؛ ورد هذا؛ لأن كفارة النذر كفارة اليمين؛ لكن هذا فيما إذا كان النذر يجب الوفاء به ثم عجز عنه المسلم؛ هذا ينصب عليه باتفاق؛ أما نذر المعصية ففيه خلاف من العلماء أنه لا يجوز الوفاء به، وليس فيه كفارة؛ لأنه محرم، ومنهم من يرى أن يكون البديل ومكان نذر معصية كفارة يمين يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم، أو يعتق رقبة، وهذه الثلاث يخيَّر فيها الحانث، فإن لم يستطع عليها ولا على بعضها؛ فليصم ثلاثة أيام؛ أما متتابعات وهو أفضل وإما متفرقات وهو جائز (..)، والله أعلم.

[المتن]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

بابٌ من الشرك: الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً} [الجن: 6]

وعن خولة بنت حكيم -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من نزل منْزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك)) رواه مسلم.

[الشرح]

الاستعاذة معناها: طلب العون من الله -تبارك وتعالى- من الشر وكافة أنواع الشرور وهي عبادة من العبادات التي من تقرب بها إلي الله -عز وجل- أُجر وانتفع، ومن تقرب ورجاها من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهو مشرك شركًا أكبر.

على هذا يكون مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد كالأبواب السابقة قبله؛ المناسبة: أن الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ أكبر ينافي أصل التوحيد.

والاستعاذة قد تجوز بالمخلوق ولكن في حدود ما يقدر عليه المخلوق، مع اطمئنان قلب المستعيذ بأنه لا يملك الإعاذة لا يملكها إلا الله -تبارك وتعالى- فتكون استعاذة المخلوق بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق سبب، إذا قدر له شيئًا استعاذ به فيه فتكون الاستعاذة بالمخلوق سبب من الأسباب؛ كل ذلك فيما يقدر عليه المخلوق؛ فلو قال شخص لآخر: استعيذ بالله ثم بك يا فلان من كذا وكذا، من فلان أو من شر فلان فيما يقدر عليه البشر مع طمأنينة قلبه أن الله هو الذي يُعيذ؛ كما جاء ذلك مصرحًا به في القرآن: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} [المؤمنون: 97].

أما الاستعاذة في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله -عز شأنه- فهذه خاصة بالله لا تطلب من غيره، ومن طلبها من غيره فهو مشرك شرك أكبر.

ولما كان العرب في جاهليتهم إذا سافروا أسفارًا أو نزل بعضهم منزلاً؛ استعاذ بسيد الوادي من شر سفهاء قومه؛ يعني يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي؛ أي: من عالم الجن، من شر سفهاء قومه، ويأمنون على أنفسهم إذا قالوا هذه المقالة؛ فهؤلاء استعاذوا بمخلوق لا يرونه ولا يسمعونه، استعاذوا بمخلوق من شر سفهاء قومه في ذلك الوادي الذي نزلوه فيما لا يقدر عليه إلا الله -تبارك وتعالى-؛ فأنزل الله هذه الآية في شأنهم: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً} [الجن: 6]

فاستعاذ الإنسي برجال من الجن زادوهم رهقًا؛ أي: خوفًا وذعرًا ومهابةً بخلاف من لجأ إلي الله -تبارك وتعالى- مستعيذًا به؛ فإنه أتى بالعبادة التي لا تطلب إلا من الله -عز شأنه-.

قال: {فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}؛ أي: عالم الشياطين زادت المستعيذين بهم من عالم الأنس خوفًا وذعرًا وتسلطًا عليهم؛ لأنهم عظموهم وصرفوا لهم من العبادة ما لا يقدر عليه إلا الله، وما لا يستحقه إلا الله.

وفي حديث خولة -رضي الله عنها- جملة من الفوائد، **منها:**

- مشروعية الاستعاذة بكلمات الله الكونية؛ كقولك: أعوذ بكلمات الله التامات، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ومن شر حاسد إذا حسد؛ هذا جائز ليدفع الله به كل شر، وكلمات الله التامة هي: كلماته الكونية، وهذا ذكر مشروع.

- **وثانيًا:** يستحب قوله لكل من نزل منزلاً؛ قال هذا القول: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق.

- **ثالثًا:** تحقيق الله له ما أَمَّلَهُ ورجاه؛ بحيث يحفظه الله حتى يرحل من منزله ذلك، وذلك إذا قالها وهو من أهل التوحيد، ومن أهل الثقة في الله -تبارك وتعالى-.

وكلمات الله منها الكونية وهو الأساس، ومنها الشرعية وهي ما تَعبَّدَ الله -عز وجل- به الأمة.

أما الاستعاذة بالمخلوق -كما أسلفت- فيما يقدر عليه المخلوق فشأنها جائز بشرط؛ بل بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون فيما يقدر عليه المخلوق.

والشرط الثاني: أن يكون قلب المستعيذ والملتجأ إلي المخلوق مطمئن وواثق بالله وأنه هو الذي يعيذ، وما عداه من المخلوقين فلا يملك من الإعاذة شيئًا إلا ما أقدره الله -تبارك وتعالى- عليه.

[المتن]

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

بابٌ من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس: 106- 107].

وقوله: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ} [العنكبوت: 17]

وقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف: 5-6]

وقوله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: 62]

وروى الطبراني بإسناده "أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافقٌ يؤذي المؤمنين؛ فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله".

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد هي: أنَّ الاستغاثة بغير الله -عز وجل- فيما لا يقدر عليه إلا الله شركٌ أكبر ينافي أصل التوحيد، وأنَّ تخصيص الله بالاستغاثة توحيد، والاستغاثة نوعٌ من أنواع العبادة؛ لقول الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} [الأنفال: 9]

ومعناها: طلب الغوث من الله -تبارك وتعالى- وهو معنى العبادة المشروعة التي يجب أن تكون لله وحده دون سواه؛ فصرف ما لا يُطلب إلا من الله وما لا يقدر عليه إلا الله صرفه لغير الله شركٌ بالله أكبر؛ ثم من حيث الاستعمال؛ تستعمل الاستغاثة تتطلب من المخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، وما يمكن أن يعين به المخلوق المستغيث؛ يعني الذي يقدر عليه المخلوق وتستغيث به من جلب مصلحةٍ أو دفع ضر لا حرج فيه، استغاثة جائزة؛ ومنها قول الله تعالى في حق موسى: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص: 15]؛ لأنه في قدرة موسى أن يُغِيثَ الذي استغاث به على المعتدي وبالفعل أغاثه فقتل المعتدي من الأقباط بوكزة؛ {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} فاستغاثة العبد بشخص يقدر على إغاثته أو يُحتَمل أن يقدر على إغاثته استغاثة جائزة. (..)

فالاستغاثة إما محرمة، وإما جائزة.

فالمحرمة: أن يستغيث الإنسان بحي أو ميت أو شجر أو حجر أو ضريح في شيء لا يقدر عليه إلا الله -تبارك وتعالى- من قضاء الحاجات وجلب المصالح ودفع المضار؛ فهذا الذي لا يقدر عليه إلا الله، إذا طُلِبَ من غير الله؛ فهو شركٌ أكبر ينافي أصل التوحيد.

وفي الآيات الكريمات دليلٌ على ذلك، وأن من طلب شيئًا من غير الله -تبارك وتعالى- فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ وقع في الشرك الأكبر.

إذًا فطلب الرزق وطلب إنجاب الولد ودفع الكروب طلبها من غير الله من الشرك الأكبر، وطلب الإعانات فيما يجلب الإنسان مصلحةً أو يدفع عنه ضرًّا في حدود قدرة المخلوق؛ لا حرج في ذلك، ويُسمى استغاثة ولكن استغاثة جائزة؛ لأنها طلبت من إنسان يقدر عليها سواءً قُضيت أو لم تُقضى.

وفي الحديث الذي في سنده مقال وهو قول بعض الصحابة -وقيل أنه أبو بكر-: "قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، ولكن لما قاموا إلي النبي عليه الصلاة والسلام، وقالوا له ذلك؛ قال: ((إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله))، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقدر أن يُغيثهم؛ لأنه صاحب الولاية العامة والأمر الذي يجب امتثاله، يحكم بالقتل ويحكم بالرجم ويحكم بكل شيء؛ لكنه أراد أن يربط الأمة بالله -تبارك وتعالى- بالدرجة الأولى؛ لأن الاستغاثة عبادة؛ فقال: ((إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله)) تعليمًا لهم للأدب مع الله -تبارك وتعالى-، وأنه هو الذي يُغيث من التجأ إليه في حال الكربات، مع أنه لا يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الاستغاثة بغير الله فيما يقدر عليه الإنسان.

وقولنا: فيما يقدر عليه؛ يخرج بذلك ما هو مقدور للبشر ولكن يُستغاث فيه بالموتى؛ لا يملكون شيئًا لا مما يقدر عليه الناس، ولا مما يعجز عنه الناس؛ فلا يجوز لأحد أن يطلب من الموتى شيئًا مقدور عليه أو غير مقدور عليه؛ لأنهم ليسوا على قيد الحياة وإنما هم في الحياة البرزخية ولا يُطلَب منهم شيء لا قليل ولا كثير، ولو جاز أن يُطلَب من أحد لجاز أن يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو في الحياة البرزخية حياته أعلى حياة، ومع هذا لا يجوز لأحد أن يَطلُب من الرسول عليه الصلاة والسلام شيئًا، لا شفاعةً ولا تيسيرًا

للأمور، ولا أي شيء وهو أكمل الخلق، فغيره من باب أولى لا يجوز أن يُطلَب منه شيئًا يقدر عليه المخلوق ولا شيء لا يقدر عليه المخلوق من باب أولى.

[المتن]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} [الأعراف: 192-193]

وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: 13]

وفي الصحيح عن أنس، قال: "شُج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته؛ فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنَزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}" وفيه: "عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانًا وفلانًا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد؛ فأنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}"

وفي رواية: "يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام؛ فنَزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}".

وفيه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}؛ فقال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله

شيئًا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا".

[الشرح]

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد هي: أنَّ الشرك بنوعيه ينافي التوحيد؛ فالأكبر منه ينافي أصل التوحيد، والأصغر ينافي كمال التوحيد؛ لذا ذمَّ الله المشركين الذين يشركون مع الله -تبارك وتعالى- غيره في العبادة وهو شركٌ أكبر؛ فأنكر الله -عز وجل- عليهم: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف: 191]

معناه: أنَّ من المنكر العظيم أن يجعلوا مع الله -عزَّ وجل- شركاء يتوجهون إليهم بالدعاء أو بالعبادة أو بطلب قضاء الحاجات أو دفع الكربات وهم لا يملكون من ذلك شيئًا، وأما الخالق -تبارك وتعالى- فهو المالك لذلك؛ يعني: الرب الذي انفرد بالخلق، بالإحياء وبالإماتة، وبالرزق وبالنعم ودفع النقم هو الذي يجب أن يُعبد وحده دون سواه؛ فيجب توحيده وإفراده بالعبادة.

ومن الجهل: أن يؤمنوا بأنَّ الله هو الرزَّاق وهو الذي أحياهم ويميتهم، ومع ذلك مع هذا الاعتراف والإقرار من الكفار يتوجهون بالعبادة إلي سواه! وكثيرًا ما تجد الآيات القرآنية في باب العقيدة يأتي الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، على وجوب توحيد الألوهية وذلك واضح؛ حيث يُقال لهم: أنتم توحدون الله في ربوبيته وتقرون أنه هو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويميت؛ فلماذا لا تتوجهون بالعبادة إليه وحده دون سواه؟! بل تؤمنون بأنه المنفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وتنكرون أنه هو الذي يستحق العبادة وحده دون سواه! وهذا من الجهل ومن التناقض؛ حيث وحدوه في ربوبيته، ولم يوحدوه في ألوهيته وأسمائه وصفاته.

وهذا الاستفهام في الآية استفهام إنكاري؛ أي: إنكار على هؤلاء الذين يتعلقون بمعبودات مخلوقة كالملائكة والشمس والقمر والكواكب والأصنام والأوثان وأصحاب الأضرحة إلي غير ذلك من المعبودات والهوى، أنكر الله عليهم ذلك، وفي نفس اللفظ هو إقرار لأهل التوحيد الذين آمنوا بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت فأفردوه بالعبادة وحده دون سواه وتوجهوا إليه بكل عبادة مالية أو بدنية خلافًا للمشركين الجُهَّال الأغبياء. نعم.

[المتن]

وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: 13]

[الشرح]

بيان لعجز المعبودات من دون الله، وبيان لجهل العابدين لها، إذا كان المعبود الذي يتوجهون إليه بالعبادة رغبة ورهبة وطمعًا في قضاء الحاجات وهو لا يملك أقل شيء من الأشياء؛ القطمير؛ وهو الخيط الذي على ظهر النواة، ما يملكه العابدون والله هو المالك لكل شيء مالك الملك مالك الدنيا والبرزخ والآخرة، وما في ذلك ومن في ذلك، والذين يدعونهم من دون الله ما يملكون شيئًا ولو كان قطميرًا؛ خيط صغير على نواة التمرة، وهذا من الجهل الفظيع حيث تركوا التوجه إلي مالك الملك القليل والكثير وهو الذي يسمع دعوة الداعي إذا دعاه، ويجيب دعوة من دعاه بشرطه، ويقضي الحاجة ويجلب النعمة ويدفع النقمة؛ هو الله –تبارك وتعالى– فهو الذي يجب أن يُعبد وحده دون سواه، وأما ما سوى الله من معبودات الكُفَّار والمشركين عبر تأريخ الزمان والمكان، فهؤلاء لا يستحقون من العبادة مثقال ذرة، ومن صرف لهم شيئًا ولو قليلاً من أنواع العبادة صار بذلك مشركًا وكافرًا.

والآية إنكار عليهم؛ {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} –أي: من دون الله– {مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} –يتبرؤون؛ يتبرأ المعبود ممن عبده– {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

فهي إنكار عليهم وبيان أنَّ أهل التوحيد هم أهل الحق وهم العقلاء عقلوا عن الله –عزَّ وجل– كلامه فأتبعوه بالعمل، والجُهَّال سفهاء ليسوا بعقلاء؛ وإلا فالآيات التي في التوحيد والشرك في غاية البيان والوضوح على أنَّ من خلق ورزق ويحيي ويميت ويُقدِّر المقادير كلها هو الذي يستحق أن يعبد وحده دون سواه، ومن لا يفعل من ذلك شيئًا ولو قليلاً لا يستحق من العبادة شيئًا ولا يجوز أن يتوجه إليه متوجه بشيء من أنواع العبادة يرجو جلب المصلحة أو دفع الضر؛ كما يفعل الكفار مع معبوداتهم على اختلاف أنواعها، وكما يفعل الآن القبوريون في كثيرٍ من بلدان العالم، يتطوفون بالأضرحة وصندوق للنذور مفتوح ودعوة للناس ليبذلوا فيه؛ هذا موجود، مع أنَّ دعوة العلماء أهل التوحيد بلغت الآفاق في كل

مكان، فلا عذر لهم اليوم أبدًا، وزيادة على ذلك أنهم إذا نُهوا؛ أي: حُذِّروا من طلبة العلم الموحدين؛ فإنهم يقفون في وجوههم ويقيمون عليهم دعوى بأنهم يبغضون الأولياء؛ يقولون لهم: أنتم تبغضون أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين لهم قداسة عند الله يرفعون الحاجات إلي الله وهي تقضى، ويقولون: لا نعتقد فيهم خلقًا ولا إيجادًا وإنما نطلبهم ليكونوا وسطاء وشفعاء لنا عند الله يرفعون طلباتنا فتُقضى؛ لما؟ قالوا: لأنهم قومٌ عصاة لا يستطيعون أن يرفعوا حاجتهم إلي الله؛ لأنهم قوم عصاة وأولئك قوم أطهار عند الله، هذه حجة إبليسيه هي التي أملاها على الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقبله، وأخبر الله عنهم بذلك؛ قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}؛ يعني: أن الكفار ما يعبدون معبوداتهم على اختلاف أنواعها إلا لغرض وهو: أنْ يرفعوا حاجتهم إلي الله فتُقضى؛ فاتهموا الله -تبارك وتعالى- لا يقدر لا يسمع ولا يجيب ولا يرى؛ فيجعلون بينه وبينهم واسطة إما من الأحياء وإما من الأموات، ولا واسطة بين العبد بين الله شرعية أبدًا إلا كفرية.

والواسطة الصحيحة: الرسل؛ هم واسطة بين الخلق وبين الله -تبارك وتعالى- يتلقون الوحي من الله ويبلغونه لعباد الله، هؤلاء هم الواسطة الشرعية الصحيحة، ولا فلاح في دنيا ولا دين إلا بوجود هذه الواسطة أو ورثتهم من أهل العلم الذين ينصحون دائمًا لأنفسهم ولعباد الله، ويُبيِّنون ما يُبيِّنُه الرسل والأنبياء، وفي مقدمة ما يُبيِّنونه وجوب إفراد الله بالعبادة وحده دون سواه، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان التي يُرجى منها جلب المصالح ودفع المضار؛ فالحمد لله على بيان ووضوح عقيدة التوحيد. نعم.

[المتن]

وفي الصحيح عن أنس، قال: "شُجَ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكُسِرَت رباعيته؛ فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزَلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}".

وفيه: "عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانًا وفلانًا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد؛ فأنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}".

[الشرح]

نعم. هذه النصوص فيها دليل على أنّ الابتلاء من الله -تبارك وتعالى- لأهل الإيمان ليرفع الله درجاتهم عاليةً بهذا الابتلاء؛ لأنهم إذا ابتلوا صبروا؛ فأفضل الخلق على الإطلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابتلاه الله بأولئك الكافرين؛ فكسروا رباعيته وشجوا رأسه، وقتلوا عددًا من أصحابه وهم نجوم الأرض، وذلك ابتلاء من الله -تبارك وتعالى- {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، فمَنَّ الله عليهم بالصبر والشكر فرفع الله درجاتهم بهذا الابتلاء.

وهكذا ثبت في الحديث: ((أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل))؛ أي: من الصالحين، فلا يُستدل بالبلاء إذا نزل بالمؤمن على أنه صاحب معاصي أو كبائر أو نحو ذلك، وإنما يدل على أنَّ الله -عزَّ وجل- ابتلاه ليرفع منزلته ويُعظِّمَ أجره، والدنيا حقيرة والإيمان كما جاء في الأثر: نصفه صبر ونصفه شكر، والمؤمن تجده عند البلوى صابرًا وشاكرًا لله -عزَّ وجل- لا متسخط ولا ساخط على الله -تبارك وتعالى- وإنما هو راضي، ويعمل الأسباب التي تدفع البلاء بإذن الله، ويتجنب ما يزيد في بلاءه، وهذا من الحكمة ومن الإيمان.

وفي هذه النصوص بيان على أنَّ الناس لا يملكون شيئًا من الأمور التي لا يملكها إلا الله -عزَّ شأنه- كالهداية والإضلال وعمل الخير وعمل الشر، وجلب المصالح ودفع المضار؛ إذا كان الله يقول لنبيه: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}؛ فمن دون النبي صلى الله عليه وسلم من الرسل والأنبياء والصالحين وغيرهم من باب أولى ليس لهم من الأمر شيء، وإنما الأمر لله -تبارك وتعالى- هو الذي يتصرف في مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء.

والذين كان يدعو عليهم النبي صلى الله عليه وسلم آمن بعضهم، وهو دليل على أنَّ الله علاَّمُ الغيوب، يعلم ما مضى ويعلم المستقبل ويعلم كل شيء، علاَّمُ الغيوب؛ فنهاه الله -عزَّ وجل- أن يدعو عليهم فلم يدعو عليهم بعد ذلك، وقال: ليس لك يا محمد من الأمر شيء؛ أي: إنَّ الهداية والإضلال والتوفيق والشقاء كله أمره لله وحده دون سواه؛ إذًا فما دون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء، لا يملك إحياء ولا إماتة ولا جلب مصلحة ولا دفع مضرة؛ إلا فيما أقدَرَ الله عليه المخلوق، وأما الميت والأصنام والأوثان

الجمادات والشمس والقمر؛ فهذه لا يُرجى منها جلب مصلحة ولا دفع مضرة؛ كما قال الله -عزَّ وجل-: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: 13]

وفي قوله في سورة الحج: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73]

فيستطيع الإنسان أن يفهم هذا المعنى من واقعه عندما يلف الذباب على عينيه أو فمه أو المكان الذي يؤذيه فيه، فيريد أن يقتله فلا يستطيع يطير فوق رأسه أمتارًا فلا يستطيع أن يتناوله فهذا مثل للعابدين والمعبودين، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} فقال: {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}، الطالب الذي هو يريد أن ينتصر من الذباب، والمطلوب: هو الذي هو الذباب.

وقيل الطالب: هو الذي يسأل صاحب الضريح؛ أي: يطلب من المعبود، والمطلوب: هو المعبود، كلهم ضعفاء لا يملكون شيئًا، والله هو مالك الملك. والله أعلم.

[المتن]

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

ففي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}؛ فقال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أُغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئًا".

[الشرح]

هذا تكملة الباب الماضي؛ الشاهد فيه: هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئًا))، الشاهد فيه: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يُغني عن أحدٍ وهو أفضل الأمة على الإطلاق؛ فمن كان دونه فمن باب أولى أنه لا يُغني أحدٌ عن أحد لا في جلب مصلحةٍ ولا دفع ضر؛ فالحديث متفق مع الآيات التي سبق ذِكرُها في أول الباب. نعم.

[المتن]

قال -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23]

في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23] فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه؛ فيكذب معها مائة كذبة؛ فيُقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيُصَدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء)).

وعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفًا من الله -عز وجل-، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدًا؛ فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد؛ ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير؛ فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل؛ فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله -عزَّ وجلَّ-)).

[الشرح]

مناسبة الباب لكتاب التوحيد هي: أنَّ الله -تبارك وتعالى- له الكمال المطلق، وأنَّ كل شيء خاضع له السماوات ومن فيها؛ فهو المستحق للعبادة وحده دون سواه، وبالنسبة للأبواب التي قبل هذا الباب مناسبته لها واضحة وهو أنه إذا كان الله -تبارك وتعالى- هو

المستحق للعبادة لما له من صفات الكمال والجلال ونعوت الجلال؛ فلا يجوز أن يُعبَدَ غيره أو يُطلب منه جلب المصالح ودفع المضَّار، فمن فعل ذلك؛ فقد أشرك بالله -تبارك وتعالى-.

وفي قوله: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ}؛ أي: زال الفزع عن قلوبهم وهو الفزع الذي يصيبهم إذا تكلم الله -تبارك وتعالى- بالأمر الذي يريد فيصيبهم الفزع فيصعقون؛ أي الملائكة كلهم ويخرون سجدًا لله تعظيمًا له وخضوعًا لله -عزَّ وجل-، وهم من أكبر المخلوقات إذا زال الفزع عن قلوبهم رفعوا رؤوسهم؛ فأول من يرفع رأسه جبريل -عليه السلام- ثم يوحي الله -عز وجل- إليهم ما أراد؛ ثم يمر بالوحي فيسأله أهل السماوات؛ أي: الملائكة الذين هم سُكَّان السماوات يسألونه: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيُرد عليهم يخبرهم بما قال الله -عز وجل- ثم يقول: قال الحق وهو العلي الكبير.

ثمَّ بيَّن المؤلف -رحمه الله- أنَّ كيد الشياطين وتسلطهم على بني آدم والعلاقة التي بينهم وبين شياطين الإنس، العلاقة بين شياطين الجن وشياطين الإنس قوية، قوية فيما بينهم، وإلا فالباطل ضعيف وإن رأى الناس أنه قوي؛ فعاقبته إلي الذهاب؛ فبيَّن بأن الشياطين شياطين الجن يركب بعضهم بعضًا إلى فوق السحاب يتصدون إلى الأخبار التي فوق السماء يتكلم بها الملائكة بما يسمعون من ربهم -تبارك وتعالى-، والملائكة معصومون من الكذب، وإنما كلامهم كله حق وصدق وجد لا هزل فيه؛ فيركب بعضهم بعضًا كما وصفهم سفيان بيده؛ يعني: هكذا وبددها، بدد أصابعه؛ ليحصل لهم التلقي، بعضهم يتلقى عن بعض، فإذا سمعوا شيئًا من كلام الملائكة ألقاه الأعلى إلى من هو تحته وهكذا؛ حتى تصل الكلمة إلي آخرهم فيلقيها على لسان الساحر أو الكاهن مما يتعلق بشؤون الناس؛ قال: فيكذب معها مائة كذبة، وهذا من التضليل والترويج على الناس فلا يَصدُقْ إلا بالكلمة التي سُمعت من السماء، وجميع كلامه كذب، ولا غرابة؛ لأن شياطين الإنس تقدم لهم خدمة شياطين الجن، وهم يقدمون خدمة كذلك لشياطين الجن.

أمَّا استخدام شياطين الجن لشياطين الإنس؛ فهي تقديسهم يقدسونهم ويحتاجون إليهم ويرجون منهم مصالح؛ فيعظمونهم- يعظم الشيطان الإنسي يعظم شياطين الجن ويقدسهم؛ لأنه قد أطاعهم في أبطل الباطل وهو الشرك بالله -تبارك وتعالى- السحر والكهانة والتنجيم ونحو ذلك من الشرك الأكبر.

وأما مصالح شيطان الإنس من الجن فالخدمة التي يقدمونها كاستراق السمع من السماء ثم إلقائه على الكاهن أو الساحر فيكذب معها ثم يبتز بها أموال الناس بعد أن يتسبب في تضييع عقائدهم، لتحل محلها العقائد الفاسدة الشركية فيصدقون من يدَّعي علم الغيب وأنَّه سَمِعَ كذا وكذا، وضعفاء الإيمان والعقول يقبلون منه هذا الكلام الكذب الكثير، مائة كذبة! يقبلونها من الساحر أو الكاهن وحجتهم أنه قال لنا كذا وكذا؛ فلا يكون في كلام الساحر أو الكاهن لا يكون صحيحًا إلا ما سُمِعَ من السماء، وهذا من الابتلاءات وإلا فالله -عزَّ وجل- قادر أن يحجب عنهم كلام أهل السماء وقادر أن يبطل كيدهم فلا يستطيعون الوصول؛ لكن كما قال الله -عز وجل-: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: 35] {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: 20].

والسحرة والكهنة كلهم من أهل الشرك الأكبر؛ لأنهم يدعون علم الغيب، ومن صدَّقهم فقد كفر بما أُنزِلَ على محمد صلى الله عليه وسلم، من صدَّقهم بأنهم يعلمون شيئًا من علم الغيب فقد كفر كفرًا أكبر؛ لأنَّ الله -عز وجل- مختصٌ بعلم الغيب فلا يعلمه سواه؛ كما قال -عز وجل-: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن: 26-27]، وقال -عز وجل-: {فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ}؛ حصر وقصر ليس لأحد سواه، وهو علاَّمُ الغيوب وغيره لا يملك من علم الغيب شيئًا بنص القرآن الكريم، فمن صدَّق للساحر أو الكاهن أو المنجم في علم المغيبات؛ فقد كفر بما أُنزِلَ على محمد صلى الله عليه وسلم.

ويُستفاد من الأحاديث:

– وجوب الإيمان بعظمة الله -تبارك وتعالى- ذاتًا وأسماءً وصفاتًا؛ لأنه إذا تكلَّم -عزَّ شأنه- خضع لكلامه وصعقت الملائكة الذين هم أعظم الخلق وأطوع الخلق كلهم يصعقون ويخرون سجدًا لله خضوعًا لقول الله -تبارك وتعالى- وكلامه، وأنَّ من سوى الله -تبارك وتعالى- فهم ضعفاء أذلاء بين يديه.

– **ويؤخذ منه**: وجوب الشهادة على الكاهن والساحر والمنجم أنهم كُفَّار؛ لأنهم يدَّعون علم المغيَّبات؛ فيجب الحكم عليهم بالكفر؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((من أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزِلَ على محمد صلى الله عليه وسلم)).

– وفي الأحاديث بيان أنَّ الله –تبارك وتعالى– يبتلي عباده بالخير والشر، ومن جملة الشر: وجود شياطين الإنس والجن وتلاعبهم بعقول بني آدم حتى يصرفوهم من التوحيد إلي الشرك، ومن طاعة الرحمن إلي طاعة الشيطان.

وليس في هذا حجة لمن أطاع الشيطان وعصى الرحمن؛ لأنَّ الله قد بيَّن وجوب طاعته وطاعة رسله، وتحريم طاعة الشيطان وبيان عدواته لبني الإنسان؛ كما قال –عزَّ وجل-: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6]. والله أعلم.



الشريط السابع

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

باب الشفاعة

وقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾[الأنعام : 51]

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾[الزمر : 44]

وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : 255]،

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم : 26]،

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ 22 وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ

الشريط الثالث

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

...يتعلق به المشركون؛ فنفى أن يكون لغيره

...الشفاعة؛ فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له

...﴾؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون،

الشريط الثالث

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً؛ ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع.

وقال له أبو هريرة له صلى الله عليه وسلم: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: ((من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه))؛ فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أُذن له أن يشفع؛ ليُكرِمَه وينال المقام المحمود؛ فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد: أن مِن الشفاعة نوع هو شرك أكبر يُنافي أصل التوحيد، وهذا النوع هو ما اعتقده الكفار والمشركون في معبوداتهم من أنهم يجلبون لهم مصلحة أو يدفعون عنهم ضرًا.

والشفاعة معناها الدعاء والطلب، مأخوذة من الشفع، وهو الزوج؛ لأن الشافع يضم طلبه إلى طالب الشفاعة وهما اثنان: شافع ومشفوع فيه؛ فسُميت الشفاعة بهذا الاسم، ومناسبة ذكر الشفاعة بعد البابين المتقدمين هي أن الشفاعة المنفيّة التي يعتقدها الكفار في معبوداتهم شرك أكبر مخرج من الملّة، ثم الشفاعة من حيث هي نوعان:

شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

وضابط الشفاعة المنفية هي التي نفاها القرآن وأبطلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

قال الله -تعالى- : ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ [الزمر : 44]. ولا يأذن فيها للمشركين ولا لمعبوداتهم وقال: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة : 255] والله

لا يأذن في الشفاعة إلا للموحدين لا للمشركين؛ فهي شفاعة منفية؛ لأنها شركية؛ شرك أكبر.

وشفاعة مثبتة وهي التي أثبتها القرآن بشروطها؛ والمثبتة أيضًا أنواع؛ منها ما هو خاص ومنها ما هو مشترك.

والشافعون هم أولياء الله المتقون يشفعون في أهل الكبائر؛ كما في الحديث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((جُعلت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).

والمثبتة منها الخاص ومنها المشترك:

فالخاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعتان:

الشفاعة الأولى: هي الشفاعة في أهل المحشر ليقضي الله -عَزَّ وَجَلَّ- بينهم حتى ينصرفوا من المحشر؛ فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير؛ وهي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يحمده فيه الأوّلون والآخرون؛ وهذه الشفاعة لا تكون لأحد من الرسل والأنبياء إلا لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ أظهر الله فضله على جميع الرسل والأنبياء وغيرهم من باب أولى؛ ثم يبدأها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بالتقرب إلى الله، يسجد سجدة تحت العرش حتى لا يرفع رأسه؛ حتى يُقال له: ((ارفع رأسك، وقل يُسمع وسَلْ تُعطى واشفع تُشفّع))، ويقول: (أمتي أمتي)؛ فتكون هٰذه الشفاعة لفصل القضاء بين الأمم جميعا من لدن آدم إلى يوم القيامة، بعدما عُرضت على أولي العزم: على آدم وعلى موسى وعلى إبراهيم وعلى نوح وعيسى؛ كلّهم يعتذر حتى يأتوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فيقول: (أنا لها)؛ ثم يُقال له أدخل من أمّتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في سائر الأبواب.

والشفاعة الخاصة الثانية: في عمه أبي طالب؛ فقد كان له دور في حياته في الدفاع عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ والحماية؛ ولكن كُتبت عليه الشِّقوة؛ لأنه أتى بأسبابها وهو التعصب مع المشركين لآلهتهم ودين آبائه وأجداده مع تيقنه بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ على حق ودعوته حق؛ ولكن ما نفعه ذلك لأنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ (...) فما نفعه ذلك إلا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ شفع فيه في التخفيف عنه من العذاب؛ ولما قيل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ كان أبو طالب يحميك ويفعل كذا وكذا هل

نفعته بشيء؟ قال: (نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)؛ أي: لولا الشفاعة التي أذن الله -عَزَّ وّجَلَّ- له فيها.

والشفاعة المشتركة: شفاعة الرسل والأنبياء في أوساط الموحدين وشفاعة المؤمنين، وشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في أقوام ليخرجوا من النار إلى الجنة؛ فهذه مشتركة بين الرسل وأتباع الرسل؛ بل الملائكة، وقد جاء في حديث الشفاعة أن الله -عَزَّ وّجَلَّ- يقول: "شفعت الملائكة وشفع الرسل والأنبياء والمؤمنون ولم يبقى إلا أرحم الراحمين، ثم يُخرج أقوامًا من النار قد امتحشوا، فيوضعون في نهر الحياة ويُرش عليهم من ماء الجنة فينبتون كما تنبت الحِبّة في حميل السيل ثم يعيد الله إليهم أجسادهم ويدخلهم الجنة".

وهذا من فضل الله -عَزَّ وّجَلَّ- على أهل التوحيد أنه لا يخلد أحد منهم في النار؛ بل من عُذب من أهل التوحيد فبقدر جريمته، ومن عفا الله عنه أو محّصه الموقف والشدائد ولم يدخل النار؛ فهذا أخف والحكم في الخليقة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-.

وأما الناجون -باتفاق أئمة العلم- الناجون من النار، هم المقربون وأصحاب اليمين؛ لأن الله قسَّم أهل الإتباع للرسل إلى ثلاثة أقسام:

المقرّبون وأصحاب اليمين والظالمين لأنفسهم؛ فأما المقربون وأصحاب اليمين فلا يدخلون النار ولا يسمعون حسيسها.

وأما الظالمون لأنفسهم فهم تحت المشيئة، منهم من يُمحَّص قبل دخول النار فيكون جزاءً له في وقوعه في المعاصي في حياة العمل وتقصيره في ما أوجب الله عليه، ومنهم من لا تطهره إلا النار لِعِظم ذنوبهم؛ فتكون فيهم الشفاعة.

المتن:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل؛ فقال له: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله)، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لاستغفرن لك ما لم أنه عنك)، فأنزل الله -عز وجل-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[التوبة : 113]

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56]

الشرح:

مناسبة هٰذا الباب لكتاب التوحيد: أن الذين يزعمون أن معبوداتهم يملكون لهم شيئًا من جلب النفع أو دفع الضر ؛اعتقادهم هٰذا ينافي أصل التوحيد؛ لأنه إذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لا يملك شيئًا لأحد من قرابته لن يأذن الله به؛ فمن دونه من باب أولى لا يملك لأحد جلب مصلحة أو دفع ضر ومن زعم ذلك؛ فقد أشرك بالله شركًا أكبر ينافي أصل التوحيد؛ كما هو فِعْلُ المشركين مع آلهتهم ومعبوداتهم، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، والمراد بالهداية المنفية عن الرسول –ومن دونه من باب أولى– هي هداية التوفيق والسداد ومحبة الخير وصلاح القلوب؛ هٰذه الهداية لا يملكها إلا الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ–.

وهداية أخرى يملكها الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– ويملكها الرسل والأنبياء وأتباعهم؛ وهي هداية الإرشاد والدلالة على الخير، يملكها البشر؛ لهذا (...) أن الله –عَزَّ وّجَلَّ– أثبتها

لرسوله في موضع ونفاها عنه في موضع آخر؛ فقال -عَزَّ وّجَلَّ-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] فأثبت له الهداية؛ والمراد بها هداية الدلالة والإرشاد والتعليم.

وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ فنفى عنه هٰذه الهداية التي هي هداية التوفيق وصلاح القلوب؛ نُفيت عن الرسول عليه الصلاة والسلام وغيره من باب أولى؛ فتلخص من هٰذا أن الهداية تنقسم إلى قسمين:

هداية توفيق وثبات وصلاح القلوب وهذه لا يملكها إلا علام الغيوب.

وهداية بيان وتوجيه وإرشاد ودلالة على الخير وهذه يملكها الرسل الكرام والأنبياء العظام وأتباعهم من الأنام.

وقصة أبي طالب عمّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ من أعجب القصص؛ حيث قال: (..) ويدفع عنه خصومه ولم يسلمه له أبدًا وعرف أن دينه خير الأديان وأقر بذلك؛ ولكنه أبى أن يدخل في دين الإسلام تعصبًا لدين آبائه وأجداده الذي هو الشرك الأكبر والكفر الأكبر -والعياذ بالله-؛ فمن حرص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عمه وما بذل معه من معروف أثناء دعوته لما حضرته الوفاة وحضره (..) أبو جهل، وعبد الله بن عمير وحضر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا: (يا عم؛ قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله))؛ فقالا له: "أترغب عن ملة عبد المطلب؟" وملة عبد المطلب ومن معه الكفر؛ عبادة الأصنام والأوثان وإنكار البعث والنشور، أشد الكفر وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يكرر عليه الكلمة وهم يكررون؛ فغلبت عليهم الشقوة فآخر ما قال ثم لفظ أنفاسه أنه على ملة عبد المطلب؛ أي: على الشرك الأكبر والكفر الأكبر خشية أن تعيّره .. قريش؛ كما قيل له ولُقّن.

وقد علم الله أنه لا خير فيه ولو علم الله فيه الخير لأسمعه؛ لكن أبى أن يسمع سماع قبول أما سماع قامت به الحجة عليه فقد سمع ولا حجة له؛ فلما مات على الكفر؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاستغفرن لك ما لم أنه عنك)؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : 113] فلم يستغفر له بعد ذلك.

وهكذا الحكم حكمٌ عام لا يجوز للمسلم أن يستغفر للمشرك شركًا أكبر بعد أن يموت، لا يستغفر له أبدًا ولو كان من أقرب الناس إليه لا أب ولا أم ولا قريب ولا ابن ولا غيره، إذا مات على الكفر وعلى الشرك وهو متيقن ذلك؛ لا يستغفر له أبدًا.

وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ هداية توفيق وصلاح للقلوب وغير الله لا يملكها.

وشِبْهُ ذلك قصة إبراهيم مع أبوه آزر الذي دعاه إبراهيم بانفراد ومع قومه فردوا عليه أقبح رد؛ حتى قالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم : 46]؛ قيل: يرجمه بالسب والشتم، وقيل: بالحجارة، والأنبياء أعطاهم الله من الحلم والصبر مع الشجاعة ما لم يعط أحدًا من الناس؛ قال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم : 47] فيلقاه يوم القيامة يأتي على وجهه غبرة وقترة؛ فيخاطب إبراهيم ربه ويذكره بأنه وعده؛ قال: وعدتني أن لا تخزيني يوم القيامة، وأي خزي أخزى من (..) أبوه؟ فأقنعه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- حتى لم يبق في قلبه مودة ولا محبة له ولا عطف؛ فالإيمان إذا وقر في القلوب؛ بقي الإنسان يوالي في الله ويعادي في الله ويحب في الله ويبغض في الله بقطع النظر عن الأنساب والأحساب والقرابة.

ثم أبو طالب شفع فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعة خاصة بأبي طالب ولم يشفع في أحد من أهل النار سواه؛ ما شفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبيه ولا شفع في أمه، شفع في أبي طالب؛ لأنه كان يحوطه ويحميه أثناء دعوته من الخصوم؛ فقال لعله تنفعه شفاعتي فيكون في ضحضاح من نار يبلغ الكعبين يغلي منه أم دماغه؛ فيبقى دائمًا وأبدًا -أبد الآبدين- في هٰذا الضحضاح -والعياذ بالله- من النار؛ لكنه أخف من الدرك الأسفل من النار -والعياذ بالله-.

هٰذه شفاعة خاصة من جملة شفاعات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاصة به التي أعظمها شفاعته في فصل القضاء بين الخلائق وفي عمه أبي طالب وفي استفتاح باب الجنة، لا يستفتح أحد قبله لأهل الجنة فيدخلون؛ ثلاث شفاعات خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقضية الشفاعات هو (...) مع غيره من الملائكة والرسل والأنبياء والصالحين والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله (: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ} [النساء: 171]

وفي الصحيح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} [نوح: 23]

قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم؛ ففعلوا ولم تعبد؛ حتى إذا هلك أولئك ونُسيَ العلم عُبدت".

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: "لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم".

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله) أخرجاه.

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو; فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو".

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هلك المتنطعون – قالها ثلاثًا).

الشرح:

الحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مناسبة هٰذا الباب لكتاب التوحيد هي: أن الغلو الذي هو مجاوزة الحد؛ ومنه: طلب قضاء الحاجات وكشف الكربات التي لا يقدر عليها إلا الله من غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وهذا شرك أكبر ينافي التوحيد.

بيّن المؤلف -رحمه الله- في هٰذا الباب سبب كفر بني آدم؛ ماهو؟ لكل شيء سبب وسبب كفر بني آدم: الغلو؛ والغلو معناه: مجاوزة الحد المشروع إلى غير المشروع؛ كمجاوزة عبادة الله وحده لا شريك له إلى عبادة الأصنام والأوثان، وكتجاوز محبة الصالحين محبة شرعية

إلى محبتهم محبة شركية أو بدعية، من فَعل ذلك وقع في الغلوّ؛ وكفى به شرًا أنه سبب شقاء بني آدم ووقوعهم في الإشراك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- .

وقد ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- فيما لا مجال للاجتهاد فيه قال: "أن الناس من لدن آدم عليه السلام عشرة قرون، كل قرن مائة سنة، كلهم على الحنيفية السمحة، على التوحيد، ولم يكن فيهم مشرك حتى حصل الشرك في قوم نوح، وسببه الغلو في الصالحين".

كان فيهم علماء وكانوا ينشرون الخير يأمرون وينهون ويعلّمون؛ فلما ماتوا أسفوا عليهم، أسف قومهم عليهم أسفًا شديدًا؛ ذكر الله أسماءهم ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ [نوح : 23] رجال صالحين ماتوا في شهر واحد؛ فأوحى الشيطان إلى قومهم عندما أسفوا عليهم وقال انصبوا إلى مجالسهم أنصابًا واعبدوا الله عندها؛ هكذا دعوة الشيطان مرحلية؛ لم يقل لهم اعبدوهم؛ لأنهم كانوا يعبدون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وهذا الشرك طارئ والأصل التوحيد، والشرك طارئ على الأمة، فلقلة علمهم نصبوا أنصابًا في مجالسهم وعكفوا عليها ويعبدون الله عندها وكلما أصابتهم غفلة تذكروهم وقاموا بالعبادة؛ فلما ذهب ذلكم الجيل وأتى جيل آخر؛ قيل إنهم مشوا على طريقة الجيل الأول في البدعة، وقيل إن الشيطان نقلهم من البدعة إلى الشرك الأكبر سواء هو الجيل الثاني أو الثالث؛ المهم أن الشيطان نقلهم من البدعة التي هي بريد الكفر إلى الكفر بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ فأوحى إليهم؛ فقال: إنّ من كان قبلكم يستنصرون بهم فينصرون ويسترزقون بهم فيرزقون وهكذا، يستغيثون بهم فيغاثون وأنتم إن أردتم ذلك فافعلوا كما فعلوا؛ فوقعوا في الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ يستغيثون بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، وهو نفس الغلو في الصالحين يطلبون منهم نزول الغيث قضاء الحاجة ودفع الكربة وما شاكل ذلك من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله ولا يقضيها إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ فجاءت قصتهم لهذه الأمة ليأخذوا منها العظة والعبرة؛ ثم بعد ذلك الزمن بعد قوم نوح الذي أهلكهم الله بالغرق؛ بسبب كفرهم ورد دعوة المرسلين؛ بقيت هٰذه الأصنام حتى جاءت بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان أهل الجاهلية يعبدونها وهي موزعة في جزيرة العرب كل قبيلة لها صنم؛ فشت الأصنام بسبب التوارث، ورثوها عن الأشرار الذين

قبلهم عُبّاد الأصنام وبسبب قلة العلماء؛ فشى الجهل وقل العلم وأهله، صارت فترات إلا أنه لم يكن إهمال أبدًا؛ الحجة قائمة بعالم يوجد؛ لكنه إندثر العلم وفي مقدمته التوحيد فأصبح العمل الطيب عندهم الغلو في الصالحين وأن لهم كرامات وأن لهم القداسات، ولا تُطلب الحاجات إلا بواسطتهم، والذي لا يطلب حاجته بواسطة الأولياء وأهل الأضحية؛ معناه ما اعترف بفضلهم ولا قدرهم؛ فتوارثوا هٰذا الشر المستطير وهو الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بسبب الغلو في الصالحين.

الصالحون من الملائكة والأنبياء والرسل والصالح بني آدم هؤلاء يُحَبّون؛ يحبهم المسلمون محبة شرعية، ويتمنون أن يصلوا إلى الأعمال التي يعملونها ويقتدون بهم، ما سمعوه عنه من الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة يقتدون بهم ويحبونهم وقد بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((المرء مع من أحب)).

إذا أحببت الصالحين ومشيت على الأثر؛ حُشرت في زمرتهم، مع الرسل والأنبياء والصالحين من عباد الله في زمرتهم، ومن أحب الفجار والفساق والمشركين؛ حُشر في زمرتهم؛ كما قال الله -عَزَّ وّجَلَّ-: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات : 22] والمراد: بالأزواج القرناء قرناءهم على الباطل.

والشاهد من هٰذا أنه فشى الشرك واستمر أزمنة متعاقبة، ويبعث الله الرسل والأنبياء بين وقت وآخر؛ الرسل بالرسالات الجديدة والأنبياء يبلغون الرسالات التي جاء بها المرسلون ويفسرونها ويشرحونها للناس، والعلماء الذين يأخذون هٰذا الميراث كذلك يبينون هٰذا الميراث ويقوم ببيانهم الحجة على الناس؛ والخلاصة أن الغلو والإفراط والتنطع هٰذه الثلاثة من أسباب الوقوع في الشرك -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-.

أما الغلو فهو مجاوزة الحد المأذون فيه شرعًا إلى ما لا يؤذن فيه؛ كمجاوزتهم التوحيد إلى الشرك، والمحبة الشرعية إلى المحبة الشركية البدعية، وهكذا الإطراء الغلو في الصالحين حتى يرفعه عن منزلته إلى منزلة الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ فيقع في الكفر؛ لذا خاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمّته؛ فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) النصارى أطروا في مدح عيسى؛ حتى قالوا: إنه ابن الله، أو قالوا هو الله، وقالوا ثالث ثلاثة، وهذا من الإطراء؛

لأنهم أعطوا المخلوق مالا يكون إلا للخالق -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ فوقعوا في أعظم الشرك؛ فحذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته أن يكون منهم إطراء له كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فتجاوزوا في مدحه الحق إلى الباطل. وكان يحذر مما صنع اليهود والنصارى في اتخاذ قبور أوليائهم وصالحيهم مساجد؛ نهى عن ذلك؛ فقال:(اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله قبور أوليائهم وصالحيهم مساجد يُحذّر مما صنعوا)، وقال وهو في مرض الموت: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أوليائهم مساجد يحذر مما صنعوا)، وما ذلك إلا لأن الشرك أعظم الذنوب، والإطراء والغلو والتنطع هو الذي جر الناس إلى الإشراك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف إذا عبده؟!

في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله)، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نُزل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها؛ فقال -وهو كذلك-: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا)، ولولا ذلك أُبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك)).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خُشي أن يُتَخذ مسجدًا؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا؛ بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا)).

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد)) رواه أبو حاتم في صحيحه.

الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن آمن به واهتدى بهداه.

المناسبة بين هٰذا الباب وبين كتاب التوحيد في غاية الظهور وذلك أن من عبد أصحاب الأضرحة وتوجه إليهم بشيء من العبادات ذات الأنواع المتعددة؛ ففعله ينافي أصل التوحيد؛ من عبد أصحاب الأضرحة جعلهم شركاء مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ومن جعل مع الله شريكًا؛ فقد أشرك بالله شركًا أكبر ينافي أصل التوحيد، ومن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فقد أتى ببدعة تنافي كمال التوحيد؛ فرق بين الشرك الأكبر وبين البدعة؛ فالشرك ينافي أصل التوحيد، والبدعة تنافي كمال التوحيد؛ لذا جاء النهي في الشرع عن عبادة غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ كما قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: 18].

وقال سبحانه ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 106]، إلى غير ذلك من النصوص التي فيها التحريم لعبادة أحد مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- سواء مشاركة أو استدلالاً، وقوله ما جاء في التغليظ؛ أي: زجر وشدة التحريم لمن عبد الله عند قبر رجل صالح أو عبده؛ فكل صاحب عمل من هذين العملين يستحق الزجر بالعقوبة والتعزير سواء بالكلام أو غيره؛ إلا أن من عبد غير الله أشد جرمًا؛ لأنه أشرك شركًا أكبر، ومن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فهي من البدع المحرمة التي تترتب عليها العقوبة غير أنه لم يكن مشركًا شركًا أكبر يخرجه من الإسلام.

المتن:

قال: وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله))؛ فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

الشرح:

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهتم ببيان الشرك وذرائعه ووسائله فيعيد ذلك ويكرره بالبيان والوصايا؛ لأن الشرك أعظم الذنوب، الشرك الأكبر أعظم الذنوب وصاحبه إن مات عليه فهو محروم من رحمة الله -عَزَّ وّجَلَّ- مأواه النار وبئس المصير.

فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبين الشرك وأنواعه ويحذر الأمة منه ومن وسائله؛ لأن من وقع في الوسيلة؛ أي: سبب الشرك أدخله الشيطان -والعياذ بالله- في الوسوسة في الشرك الذي هو الذنب الأكبر الذي من مات عليه؛ فإن الله لا يغفر له بدليل قول الله- تعالى-: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء : 48].

وما يُفعل اليوم وقبل اليوم في العالم الإسلامي،(..) الكفر، قد اختاروا لأنفسهم الكفر -والعياذ بالله-؛ لكن العالم الإسلامي الذين بُنيت القبور في المساجد وكُسيت بالثياب،

ودُمرت وطُيبت وعلقت النذور، ومع الأسف يدخل الناس يصلون في المسجد وفيه القبر مزين.

ثم هناك دعاة وهم من الدعاة على أبواب جهنم؛ [الذين يقولون للناس] يطوفونهم على القبر، ويستلمون منهم النذور، والناس لهم حاجات كل واحد يطلب حاجته من صاحب القبر ليرفعها إلى الله لتُقضى بتوجيه السدنة عُبّاد المادة.

والإسلام ولله الحمد ظاهر، ودعاته موجودون والقرآن بين أيدي الناس في غاية الكثرة؛ ومع هٰذا تجد أنه هٰذه الطوائف الشريرة يدعون الناس إلى عبادة هٰذه الأضرحة وفي البلد الإسلامي وفي الدولة المسلمة! وهذا أمر مؤسف نسأل الله -عَزَّ وّجَلَّ- أن يُبصرهم؛ حتى يعرفوا حق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- ويعرفوا قدر المخلوق وأنه لا يستحق من العبادة لا حي ولا ميت.

والشاهد من هٰذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام بُعث ليحطم الأصنام والأوثان، ويقضي على الرذائل والفساد في الأرض، واستمر على ذلك وهو في آخر حياته يحذر الناس من الشرك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، ويحذرهم من مشابهة من لا خلاق لهم اليهود والنصارى الذي أبوا من الإيمان برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن كفر برسالة رسول واحد؛ فقد كفر بجميع المرسلين؛ يعني إن ادّعوا بأنهم يؤمنون بموسى وعيسى؛ فهم كذابون في دعواهم؛ لأنه من آمن بموسى وعيسى حقًا وصدقًا وجاء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وجب عليه أن يؤمن به وبرسالته ولا يعبد الله إلا بالشرع الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعبد بملة عيسى ولا بملة موسى في الشرائع؛ وأما التوحيد فإن الأنبياء والرسل جميعًا متفقون على وجوب توحيد الله وعدم الإشراك به لا خلاف بينهم؛ إنما الاختلاف في الشرائع تختلف في التكاليف الشرعية، وقد قال الله فيها: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة:48] وأما التوحيد فهو أصل الدين وقاعدته اتفقت عليه دعوة الرسل والأنبياء، وبه أرسلوا وأول ما يدعو النبي أو الرسول إليه من الأعمال؛ توحيد الله والنهي عن الإشراك به؛ لذا شدد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته ليحذّر الأمة من الوقوع في ما وقع فيه اليهود والنصارى؛ حيث بنوا القبور في المساجد أو بنوا المساجد على القبور وغلوا فيهم حتى أعطوهم ما كان لله -تبارك وتعالى- وحده دون سواه؛ فذمّهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيّن حالهم؛ لأنه

إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا؛ ثم أخذوا يغلون فيه ويطلبون منه أن يرفع حاجاتهم إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لتُقضى.

وحجة من فتنوا من المروجين للوثنية والقبورية في هٰذا الزمن؛ يقولون: إنا لا ندعي فيهم خلقا ولا إيجادًا وإنما قوم لهم قداسة ولهم فضل وهم عند الله لهم ما يشاءون؛ فنحن نطلب منهم أن يرفعوا حاجاتنا إلى الله؛ هٰذا غاية ما يطلبونه أن يرفعوا حاجاتهم إلى الله؛ يعني ليكونوا واسطة، الموتى يكونوا واسطة بين الأحياء من بني آدم وبين الحي القيوم عالم الغيب والشهادة؛ فيُعتبرون بذلك مشركين شركًا أكبر مخرج من ملة الإسلام إن كان عندهم إسلام قبل ذلك؛ لأن الله -سبحانه وَتَعَالىٰ- لا يحتاج إلى وسائط في الدعاء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات هو أعلم بالخلق من أنفسهم بأنفسهم، وقد قال -عز شأنه-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]

يجيب دعوة الداعي إذا دعاه بشرطين:

الإيمان به وبما أنزله على رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاستجابة له؛ لأنه نادى الناس أن يتبعوا ما أنزله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله -عز شأنه-: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بإتباع رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين، ونهى الناس أن يتخذوا وسائط بينه وبين خلقه واعتبرهم بذلك مشركين شركًا أكبر، وفي عهد النبوة قاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب هٰذه الجريمة؛ بسبب أنهم يتخذون معبودات أصنامًا وأوثانًا، ويتوجهون إليهم ليرفعوا حاجاتهم إلى الله لتُقضى وتفرج كرباتهم، وينزل عليهم من الغيث ومن الرزق ما يريدون إلى غير ذلك من المطالب التي تُطلب من الله بدون واسطة، ومن اتخذ واسطة فهو مشرك كافر؛ لذا قاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم اتخذوا وسائط؛ قاتلهم وسبا ذراريهم ونساءهم وأخذ أموالهم بأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فجعلهم جميعًا غنيمة للمسلمين الموحدين؛ لأنه مشركون؛ وكان من حججهم ما قصه القرآن؛ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: 3] نفس الحجة التي يحتج بها مروّجو القبورية في هذا الزمان؛ الذين يقولون ما نناديهم ونستغيث بهم إلا ليرفعوا حاجتنا إلى الله فتقضى؛ أولئك قالوا: ما نعبدهم -أي:

الأصنام والأوثان- إلا ليقربونا إلى الله زلفى؛ فذمهم الله وأباح دماءهم وأموالهم ونساءهم وذراريهم لأنهم مشركون شركًا أكبر؛ وهكذا كل من وقع في القبورية؛ فهو مشرك شرك اكبر؛ كل من دعا أصحاب الأضرحة واعتقد فيهم أنه يرفعون الحاجات إلى الله؛ فإنه مشرك شرك أكبر؛ لذا ذم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود والنصارى؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، فعبدوا أصحاب الأضرحة أو عبدوا الله عند قبورهم؛ فهم يترددون بين أمرين:

الأمر الأول: الشرك الأكبر، والأمر الثاني: البدعة المضلة وهي عبادة الله عند القبور؛ لذا قرر العلماء، قرروا بطلان صلاة من صلى في مسجد فيه ضريح؛ يعني قبر يتبرك الناس بصاحب الضريح ويستغيثون به إن الصلاة باطل فيه ويقع في ذلك كثيرًا جماعة التبليغ في (...) لا مانع عندهم أن يصلوا في قبر فيه ضريح ولا يقولوا للناس هٰذا شرك بالله -عَزَّ وّجَلَّ-، وحجتهم أنهم إذا قالوا للناس هٰذا شرك ما اتبعوهم ولا سمحوا لهم أن يجلسوا في المسجد؛ فهو عذر لا يُعذّر؛ فالإنسان إذا لم يستطع أن ينكر المنكر لا يشارك في المنكر؛ أخف شيء وأقل شيء منه أنه لا يجوز له أن يشارك في المنكر إذا لم يستطع أن يغير المنكر لا باللسان ولا باليد فعليه أن يبغضه ثم لا يشارك فيه؛ بل يتنحى عنه ليسلم وينجو هو بنفسه.

والمراد بالفتنة هنا فتنة الشرك التي يقع فيها القبوريون وفتنة التماثيل؛ نحت الصور، تجسيمها ومن ثمة تُعبد من دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فالتصوير من وسائلها تصوير التماثيل من وسائل الشرك، وعبادتها والتوجه إليها بالطلبات من الشرك الأكبر الذي حذر منه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما خُشي على قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يفتن به الناس ويكون لهم عيدًا ومزارًا دائمًا ومن ثم يغلون فيه غلوًا؛ لم يُدفن في البقيع مع أصحابه؛ وإنما دفن في بيته دفن في حجرة أم المؤمنين عائشة —رضي الله عنها- وكانت الحجر جميعها خارج المسجد، وما دخلت في المسجد إلا بعد ذلك عند التوسيعات في عهد الوليد ابن عبد الملك وبعد ذلك، ولم يكن ذلك في عهد الصحابة إنما بعد ذلك توسع المسجد ولا شك أن المسجد بحاجة للتوسعة، وفي هٰذا الزمن توسعوا في المسجد على أكبر نقاط ولو لم تكن هٰذه السعة ما اتسع

للناس؛ فأدخلوا الحجرة صارت داخل المسجد، وعملوا له وسائل لئلا يتجه الناس في صلاتهم إلى قبور الرسول عليه الصلاة والسلام أبو بكر وعمر بقدر ما استطاعوا في هٰذا الزمن، جعلوا أشياء تحول بين المصلين وبين الاتجاه إلى القبر بقدر ما استطاعوا ولا حجة للقبوريين في كون قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، كثيرًا ما يحتجون بهذا يقولون: :لو كانت حرام لو كانت الأضرحة في المساجد حرام ما وضع قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد"، وهم يعرفون التاريخ لكن يلبسون على كثير من الناس أنه لا مانع من وضع الضريح في المسجد بدليل أن قبر الرسول في المسجد؛ والرسول -كما أسلفت- لم يقبر في المسجد، وإنما قبر عليه الصلاة والسلام في بيت أم المؤمنين عائشة، وكانت الحجر كلها خارج المسجد، وبجانب المسجد حتى جاءت الحاجة الملحة إلى التوسعة؛ فعملوا ما يستطيعون عليه ليصرفوا الناس يحولوا بينهم وبين التوجه إلى القبر في حال صلاتهم، ويباح السلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لا حرج في من زار المسجد وصلى بالمسجد لا حرج؛ بل يسن في حقه أن يسلم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه ثم ينصرف، ولا يقف عند القبور ولا يدعُ وإنما يسلم وينصرف وإذا أراد أن يدعو يتوجه إلى القبلة ثم يدعو.

المتن:

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)).

الشرح:

الخلة أرفع درجة من المحبة محبة خاصة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق فاتخذه الله خليلاً؛ أي: محبًا أشد المحبة فأحب الخلق لله -عَزَّ وَجَلَّ- رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فاختار الله -عَزَّ وَجَلَّ- من الخلق الرسل والأنبياء فالرسل والأنبياء أحب الخلق إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وأنصح الخلق للخلق؛ الرسل الكرام والأنبياء العظام، واختار من

الرسل والأنبياء أولي العزم الخمسة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح هؤلاء أولي العزم من الرسل هم أفضل الرسل.

وأفضل أولي العزم اثنان الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام وأفضل الخلق على الإطلاق هو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ختم الله برسالته الرسالات وبنبوته النبوات؛ فصار أفضل الخلق له من الخصائص والفضائل والمزايا ما لم تكن لنبي ولا لرسول ممن كان قبله؛ وإذا قلنا إنه أفضل الخلق على الإطلاق لا يدل ذلك على وجود نقص في بقية الرسل والأنبياء وإنما لكلٍ فضله ولكل خصائصه، ولكن من باب الأفضلية فأفضل أولوا العزم الخليلان، وأفضل الخليلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال -عَزَّ وّجَلَّ-: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾ [البقرة : 253]

والشاهد من الحديث ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً))

الحديث فيه فضلية أبي بكر وأنه أفضل الأمة بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد الرسل والأنبياء، فهو أرفع منزلة بالنسبة لسائر الأمم ما عدا الرسل والأنبياء، وهو دليل صريح من قوله: ((لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً)) ولكن خلة الإسلام أفضل، وهو دليل على فضل أبي بكر وتفضيله على سائر الأمة.

المتن:

قال: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)).

الشرح:

وهذا محل الشاهد في هذا الباب أن من كان قبل أمة محمد عليه الصلاة والسلام من الأمم أنهم يتخذون قبور أوليائهم مساجد؛ فيبنون عليها المساجد أو يقبرون من شاءوا -ممن غلوا فيهم- في المساجد، ويصلون عند قبورهم يتوجهون إليهم بطلب الحاجات لتُقضى، ودفع الكربات لتُصرف من دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالى-؛ فصاروا بذلك شرار الخلق وهكذا كل موضع صُلِّيَ فيه فهو مسجد؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وجُعلت الأرض لي

مسجدًا وطهورًا)) وكل مكان يصلى فيه فهو مسجد، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن : 18] مواضع العبادة سواء في المساجد المبنية أو في بقية أرض الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ لذا لا يجوز الصلاة لا في المقبرة لا في وسط المقبرة ولا إليها مباشرة؛ لنهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك وأنه لا يفعله إلا المشركون.

المتن:

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا: ((إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد)) رواه أبو حاتم في صحيحه.

الشرح:

نعم هٰذا ورد النص بذلك أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق؛ حتى لا يُقال في ذلك الوقت الله الله، لا يعرفون الله وتقوم الساعة عليهم وهم يتهارجون تهارج الحمر، لا يعرفون دينًا ولا يعرفون ربهم -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- هم شرار الخلق، وأما المؤمنون فإذا قرُب وقت الساعة وقيامها وعلى الأرض من المؤمنين؛ فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- يرسل ريحًا لطيفة تقبض أرواحهم ولم يبقى إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة -والعياذ بالله-. والله أعلم.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-:

باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يُصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ،

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم : 19]؛ قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن .

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وآله وصحبه.

تقدم معنا الكلام على الغلو ومعناه مجاوزة الحد في كل شيء؛ مجاوزة الحلال إلى الحرام مجاوزة التوحيد إلى الشرك في هٰذه الأبواب؛ فالغلو في الصالحين أحياءً وأمواتًا سبب في الوقوع في الشرك الأكبر؛ فالمناسبة أن الغلو في الصالحين والعكوف على قبورهم والاستغاثة بهم؛ شرك أكبر ينافي أصل التوحيد، والعكوف عند قبورهم والصلاة لله عندها والدعاء؛ من البدع التي هي دون الكفر، من البدع المضلة التي تجر إلى الوقوع في الكفر؛ الدعاء عند القبور قبور الصالحين والصلاة عندها بدون عبادة لها من البدع المنكرة التي تجر على الوقوع في الشرك الأكبر فيخرج الإنسان من التوحيد إن كان موحدًا قبل ذلك؛ فالوسائل والذرائع جاء الشرع بشدها وقطعها؛ وسائل الشر وذرائع الشر جاء الشرع بالنهي عنها؛ لأنها تجر إلى الغايات المحرمة التي هي الإشراك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-؛ لذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عن زيارة القبور؛ لئلا تجر الناس إلى الوقوع في الغلو ثم بعد ذلك أذن للناس في زيارة القبور؛

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكّر بالآخرة)) فصار الإذن بعد نهي؛ غير أن الزيارة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: زيارة شركية وهي التي استمر النهي عنها، وزيارة بدعية وهي التي استمر النهي عنها، وزيارة سنية وهي التي بقيت مشروعةً للناس يستفيد منها الحي ويستفيد منها الميت بالدعاء، والزيارة الشركية هي التي فيها استغاثة بالموتى يدعون من دون الله ويطلب الداعي منهم قضاء الحاجة يرفعوها إلى الله -عَزَّ وّجَلَّ- من أجل أن تُقضى؛ يعني يتخذون الموتى وسائط بينهم وبين الله وهذا سببه الجهل بعظمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وبدين الله؛ قلة العلم يجر صاحبه إلى الوقوع في المهالك وأكبر مهلكة الإشراك بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فإذا ذهب السائل -رجل أو امرأة- واستغاث بصاحب القبر الذي قد بُني عليه وجُصص وكُسي ووضع عليه البخور واستغاثوا به لتُقضى حوائجهم من الله؛ وقعوا في الشرك الأكبر؛ لأن الله -عَزَّ وّجَلَّ- نهى عن ذلك، وأمر العباد أن يتوجهوا إليهم في طلب حاجاتهم ودفع كرباتهم؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186] وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] ولم يقل ادعوا الموتى ليكونوا واسطة بيني وبينكم؛ قال: ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))؛ لأنه علام الغيوب السميع البصير والعليم الخبير، فلا حاجة إلى وسائط من الموتى أن يتوسطوا ليشفعوا للأحياء فيرفعوا طلباتهم إلى الله -عَزَّ وّجَلَّ-.

وزيارة بدعية وهي الزيارة للقبور والاعتكاف عندها والدعاء عندها هٰذا من البدع التي تجر إلى الشرك.

وزيارة سنية وهي زيارة المؤمنين للمقابر وهي التي أذن بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: ((فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة)) وهي أن يزور السائر فيسلم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، وإنا بكم لاحقون وإن بكم إن شاء الله لاحقون، ثم يدعون بالخير؛ هٰذه سنة.

واختلف العلماء رحمهم الله؛ هل هٰذه السنة للرجال والنساء أم أنها خاصة بالرجال؟ على قولين: منهم من قال بعموم الرخصة بشرط أن تكون الزيارة سنية فيشترك فيها الرجال والنساء، ويشترط في النساء أن لا تكون من الزائرة فتنة؛ لا تفتتن هي بغيرها ولا يفتتن غيرها

بها ولا تُحدث صخبًا وبكاءً ونحو ذلك عند القبر؛ قالوا لها أن تزور زيارة سنية كما يزور الرجل فيسلم ثم ينصرف إذا أُمنت الفتنة وهذا هو القول الراجح.

ومن العلماء من اعتبر الرخصة للرجال فقط؛ إذا كانت الزيارة سنية للرجال فقط دون النساء وهذا رأي لجمهور أهل العلم.

والمهم إذا كان فيه ضرر وفيه فتنة فلا يجوز للمرأة أن تزور، وإن أُمنت الفتنة وسلموا من الضرر هي وغيرها؛ جاز للمرأة أن تزور زيارة سلمية كما زارت أم المؤمنين ...



الشريط التاسع

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

وقال: {مِنْ شَرِ النَفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} [الفلق:4] وهي: عقد الخيوط أو الحبال مع النفث فيها باستعانات، وتعوذات؛ باستعانات بعالم الشياطين، وتعوذات شركية، وينفث يأخذ وينفث، ثم يعلقه على من طلب ذلك ذلك، وهذا وقع في الشرك الأكبر، الذي ينافي أصل التوحيد؛ ولهذا أمر الله عز وجل في سورة الفلق أن نستعيذ بالله منه.

أما النفث في الرقى المشروعة فهذا من النوع الآخر، من النوع المباح كأن يقرأ الإنسان على المريض، يقرأ وينفث، والنفث يعنى نفث مع ريق خفيف، فيه خير وفيه منفعة، إذا رُقي به الإنسان، أيضًا النفث في كوب فيه ماء فيه خير لنفسك ولغيرك، تشربه أو يشربه المريض الآخر الذي رقيته؛ هذا مشروع لكن من المذموم النفَّاثات في العقد ممن يتعلمون السحر ويتعاطونه؛ فهذا كفر وشرك بالله –تبارك وتعالى– أكبر.

والثالثة ومن يتعلق شيئًا وُكل إليه، أيضًا علَّق قلبه بشيءٍ لا يجوز له أن يُعلِّق قلبه به، وَكَلَهُ الله إليه، ومن وكله الله إلى غيره سبحانه؛ هلك وضاع، ومن علَّق قلبه بالأولياء وأصحاب الأضرحة وأنهم تقضي الحاجات بواسطتهم وكله الله إلى ذلك الضعفاء؛ الذين صاروا عِظامًا ورُفاتًا، ومن علق قلبه بالله عز وجل متوكلاً عليه، عاملاً بالأسباب؛ فإن الله كافيه {وَمَن يَتَوَكَلْ عَلَى اللَهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:3]

ومن توكل على غير الله ضاع وهلك دينًا ودنيا، إذاً هنا وجب على العبد أن يكون صاحب عقيدة، يكون صاحب ثِقة في الله تبارك وتعالى، أنه هو الذي يقضي الحاجات وهو الذي يدفع المِحَن والنِقَم، وهو الذي يسهل الأرزاق ويسهل الأمور كلها، وغيره لا يستطيع من ذلك شيئًا، وما يفعله الناس من الإحسان إلى الآخرين إنما هو سبب من الأسباب، والله

عز وجل هو الذي يقضي الحاجات، ويفرج الكربات، ويدفع الشر بِمشِيئتِهِ وقدرته وحده دون سواه. نعم.

المتن:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: ((ألا هل أنبئكم ما الْعِضَةُ؟ هي النميمة القالة بين الناس)).

الشرح:

وجه إدخال هذا الحديث في باب السحر هو أن النميمة تُفرق بين الناس، بين الأحبة، كما يفرق السحر بين الأحبة، السحر كما قال الله عز وجل: {وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} [البقرة:102]

فالسحر يفرق بين الأحباب والإخوان؛ بل وبين الرجل وزوجته، بطلاسم وبوسائل شركية يحصل التأثير على القلوب؛ فتحصل التفرقة والبغضاء بين الزوج وزوجته، والنميمة كذلك تفرق بين المتآخين والمتحابين في الله من المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، سميت العضةُ: النميمة، سميت بهذا الاسم؛ لما فيها من الكذب والبهتان على الغير، القالة بين الناس يعنى وشاية بين فلان وفلان من المتآخين في الله، من أجل الإفساد بينهما، آثار النمام؛ كما قال العلماء يفسد أكثر مما يفسد الساحر؛ لأن النمام يمكن أن يفسد بين قبيلتين وبين أمتين وبين فردين بنميمته؛ ينقل كلام ويزيد عليه كلام من هذه الجهة إلى جهة أخرى يظنهم ويغويهم بذلك، ثم ينقل كلام من الآخرين إلى الجهة الثانية من أجل أن يفسد عليهم أخوتهم، وألفتهم فصار نمّامًا، نقل الكلام على جهة الإفساد من شق لآخر أو من قبيلة لأخرى أو من أمة لأخرى؛ لذا أشبه الساحر وزيادة؛ لأنه يفرق بين الناس، والتفريق بين الناس إجرام وإفساد، والتأليف بين الناس إحسان وفضل. نعم.

المتن:

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من البيان لسحرًا)).

الشرح:

البيان معناه: الفصاحة والقدرة في التعبير على بيان الأمور، فهو لا يقول الحالين، إما أن يكون بيانًا ينقل به صاحبه الباطل ويريد أن يدحض الحق ببيانه، وبيان يقوله الظالم ليأخذ به حق الغير ممن لا يستطيع على الإفصاح في الدفاع عن نفسه، هذا صاحبه مذموم، صاحب هذا البيان مذموم، ومنه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للناس؛ قال: ((إنكم تختصمون لدي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له بجمرة من نار فليحملها أو ليذرها))، وسبب ذلك أنه يكون بعض الخصوم ظالم، ولكنه فصيح اللسان، يحاول أن يُحَوِل الحق الذي عليه والظلم الذي منه إلى غيره، وهذا من البيان الذي هو سحر وهو محرم، لما فيه لما يترتب عليه من الظلم، وسحر يسمي بالسحر الحلال وهو: البيان والإيضاح للحق، والدفاع عن الحق، والرد للباطل وعلى أهل الباطل؛ فالبيان في هذا الموضوع يعتبر من البيان الحلال ومن السحر الحلال؛ ولذلك تجد العلماء يصفون ابن القيم صاحب القلم السيال والسحر الحلال؛ بمعنى أنه وضح الأمور في العقيدة، وفي الشعائر، وفي كل جانب من جوانب الدين، وسَموا كتاباته بالسحر الحلال؛ فالمقصود ما كان فيه بيان للحق ورد للباطل فهو حلال لا حرج فيه، وعلى صاحبه أن يعتدل في الأمور، وأن يتكلم بحسب الحاجة.

أحسن الله إليكم هذه أسئلة:

يقول السائل فضيلة الشيخ –حفظكم الله– الحركات البهلوانية التي تكون فيها حركات وخدع وليس فيها استخدام لشياطين؛ كعقد السيارات، وأكل الزجاج، والدخول في النار، والمشي على المسامير؛ ما حكم هذه الأفعال؟

الجواب:

هذه من ضروب السحر ولا شك، من ضروب السحر التخييل؛ الذي يخيل إلى الناس بأنه يدخل في النار ولا تحرقه، أو أنه يسحب سيارة بشعر رأسه، أو أنه مثلاً يدخل من دبر الجمل ثم يخرج من فمه؛ كل هذه من ضروب السحر التخيلي. نعم.

يقول السائل أيضًا: إذا عقد الشخص بقول من يقول أن فاتحة الكتاب ليست واجبة في الصلاة على المأموم؛ فما حكم صلاته خاصة إذا كان مقلدًا أو لم يبلغ درجة الإجتهاد؟

إذا كان مقلدًا المسألة هي خلافية بين العلماء، هل قراءة الإمام في الصلاة الجهرية تكفي له وللمأمومين؟ أم أنه لا بد أن يقرأ كلٌ فاتحة الكتاب كلٌ من الإمام والمنفرد والمأموم؟ هذا الذي عليه جمهور أهل العلم؛ أي: الكثير، وأن قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة على إمام ومنفرد ومأموم، ويري جماعة من أهل العلم أن الصلاة الجهرية إذا أمن عليها المأموم، قرأها الإمام وأمن عليها المأموم؛ فإن قراءته قراءة لمن خلفه، واستدلوا بحديث ((من كان له إمام فقراءته له قراءة))؛ فالمسائل الخلافية إذا قلد العامي أحد الجانبين؛ فصلاته صحيحة، لكن عليه بالمسائل الخلافية على الإلزام أن يَسأْل أعلم الناس، وأوثق الناس، وأكثرهم علمًا؛ حتى يتبعُه، ولا يأخذ بالرأى الذي يكون فيه ضَعف، ويكون صاحبه على خطأ، فالصلاة صحيحة، صلاة المكلف صحيحة، والذي من أهل الاجتهاد ولم يقرأ فاتحة الكتاب وراء الإمام في الجهرية، صلاته صحيحة وهو من أهل الاجتهاد ويرى الحديث ((أن من كان له إمام فقراءته له قراءة)) أنه حديث صحيح ومعمول به، مع قول الله تعالى: {إِذَا قُرِأَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} [الأعراف: 204].

من رأى أنه أدلة قائمة واكتفي بقراءة الإمام؛ صحت صلاته، وهو من أهل الاجتهاد، أما طالب العلم فيسأل ويُطالب بالدليل؛ لأنه يوم من الأيام سَيُسْأل ويُعلِم الناس بما عرف، أما الذي نمشي عليه ولله الحمد فإنا أرى وجوب قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة من ركعات الصلاة، فرائض، ونوافل، جهرية، وسرية، لحديث ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعلكم تقرؤون خلف إمامكم، قالوا: إنا لا نقرأ، قال: فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)) فيكون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام واجبة، والاقتصار عليها في الجهرية واجب، فقط يقتصر عليها ولا يزيد والبادئ إمامه سواءً بسواء والله أعلم .

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)). رواه أبو داود، وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

عن أبي هريرة: ((من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)). ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: ((ليس منا من تَطَيَّر أو تُطُيِّر له أو تِكَهن أو تُكُهِن له، أو سَحَر أو سُحِر له؛ ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل

على محمد صلى الله عليه وسلم)) رواه البزار بإسناد جيد. ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى" إلى آخره.

قال البغوي: العَرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العرَّاف: اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، وقال ابن عباس – في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق".

قال رحمه الله تعالى باب ما جاء في الكُهان ونحوهم

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وكتاب التوحيد ظاهرة، وذلك أن الكهان من أهل الشرك الأكبر لإدعائهم علم الغيب، ولإتفاقهم مع شياطين الجن، كلٌ يقدم خدمة للآخر ويستنفع بعضهم ببعض، وهذا الفعل شرك أكبر ينافي لأصل التوحيد؛ لذا جاء هذا الباب والأبواب التى قبله، فيما يتعلق بالسحر والكهانة، ونحوها، وعقد المؤلف رحمه الله هذا الباب، باب ما جاء في الكُهَان ونحوه من العَرافِين والمنجِمين والرُمالين والمشعوذين، نعم.

المتن:

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ((من أتى عرافًا، فَصَدقه لم تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا)).

الشرح:

نعم من أتى عرافًا، والعراف اسم عام، للمُنَجِم ولِلْكَاهن وللرمال ولكل صاحب شعوذة يدعي فيها علم الغيب، من أتاه فسأله عن شيء، عن مكان الضالة أو عن سبب أو مرض، أو مثل ذلك في الأمور الغائبة؛ إما في مستقبل الزمان، وإما في المكان؛ فصدقه؛ لأن هذا من علم الغيب، وعلم الغيب خاص بالله تبارك وتعالى بنص القرآن الكريم؛ قال تعالى: {فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ} [يونس: 20] وقال سبحانه: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: 65] (.....)، ومن ادَعَي عِلم الغيب، وسأله سائل فصدقه بذلك، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء في هذا الباب روايتان بعقوبته الرواية لا تقبل له صلاة أربعين يومًا، ورواية فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جمع العلماء بين الروايتين؛ وقالوا: من أتى الكاهن وسأله ولم يصدقه لا تُقْبَلُ له صلاة أربعين يومًا، وإذا سأله وصَدَقَهُ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو جمع حسن بين النصين. نعم .

المتن:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أتى كاهنًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)).

الشرح:

نعم لأن الكاهن يدعي المغيبات يدعي أنه يعلم ما في المستقبل، وأنه في العام القادم سيكون كذا ويكون كذا، وإذا جاء إليه بعض الأفراد يريد عمل لشيء من الأعمال، إما زواج، وإما تجارة، وقال سيكون لك كذا وكذا، هذا من علم الغيب وهو كاذب فيه وكافر به في وقت؛ لأنه جعل نفسه شريك مع الله؛ فعلم الغيب خاص بالله -تبارك وتعالى- لا يعلمه ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل إلا بما أعلمهم الله، وغيرهم لا ينزل عليهم شيء من الوحي كما تدعي الصوفية الغالية، والذي يصدقه؛ آمن بما قال؛ فهو مثله كافر، ومن تاب وصدق في توبته؛ تاب الله عليه، وإن كان الغالب على هؤلاء السحرة والمنجمين والكهان، الغالب عليهم عدم التوبة، وإن تابوا عادوا، الغالب، وأما من تاب صادقًا واستمر على توبته مستوفيًا للشروط فرحمه الله وترك الغي إلى الرشد.نعم.

المتن:

إلى الأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطيهما.

عن أبي هريرة ((من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) **الشيخ:** هذه النصوص بمعنى واحد.

وعن عمران بن حُصين ــرضي الله عنهــ مرفوعًا: ((ليس منا من تطير أو تُطُير له، أو تكهن أو تُكُهن له، أو سحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)).

الشرح:

نعم ليس منا من تطير، الطِيَرَةُ معروفة: التشاؤُم تشاؤم إما بالأصوات وإما بالمناظر، منظر سيء ينظر إليه؛ فيتشاءم، فيكون هذا متطير، وهى غالب على الناس كما قال ابن مسعود ليس منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل، من طبيعة المؤمن إذا غَزَاهُ شيطان، وأراد أن ينحرف به إلى التطير والتشاؤم، بشيء يسمعه، صوت يسمعه، أو منظر يشاهده لا يعجبه؛ فيترك حاجته، إذا غزاه استعاذ بالله، وتوكل على الله، ومضي في حاجته، فالناس ليسوا سواء في التَطَيُر، التَطَيُر أكبر، يدل الواحد بأن ما رآه أو سمعه وقعًا سيصيبه بلاء من وراء هذا المنظر، أو من سماع الصوت، وآخر يعنى، يحاول شيطانه أن ينحرف به، ولكنه صَمَّمَ إلى قضاء حاجته متوكلاً على الله؛ فيذهب التشاؤم؛ فلا ينقاد إلى التشاؤم أبدًا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ليس منا)) يعنى ليس على طريقتنا، على شريعتنا ((من تَطَيَرْ، أو من تكهن أو تُكُهِن له)) تكهن هو بنفسه، أو تكهن له آخرون، ((أو سحر، أو سُحِر له)) ليس على طريقة المسلمين في هذه الأعمال؛ لأن إتيان السحرة والعياذ بالله كفر، إتيانهم وتصديقهم كفر، وهكذا الكُهان إتيانهم وتصديقهم كفر؛ لورود هذه النصوص، نعم.

المتن:

قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات، يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك.

قيل: هو الكاهن؛ والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

الشرح:

كلام ابن تيمية جامع لهذه الأقوال –رحمه الله– أنه العراف تشريعٌ لهذه الأشياء، يشمل الكاهن، والمِنَجِم، والرَمَال؛ لأنهم يدعون علم الغيب، ومن صدقهم هلك معهم، إلا أن

يتوب فيتوب الله عليه، وكل واحد من هؤلاء، يخبر عن المغَيبَات ويُصَدِق من أخبر عن المغَيبَات، فكانوا جميعًا شركاء في الإثم، والوقوع في الشرك بالله تعالى، نعم.

المتن:

وقال ابن عباس – في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم–: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق".

الشرح:

(أبا جاد) هذه حروف؛ حروف الثمانية والعشرين العربية، التي منها يتكون الكلام، من الألف والباء وهكذا، عندهم مصطلحات، ويستعملها بعض الناس فيما ينفع، والعدول عنها أولى، الألف واحد، والباء اثنين، والجيم ثلاثة، والدال أربعة، وهَلُمَ جر إلى العشرة، ثم ينتقل من العشرة إلى العشرين، والثلاثين، والأربعين، إلى المائة، ثم يعد بالمئات إلى الألف، هذا يفعله الكهان، ويستدلون به، يكتبون وينظرون في النجوم ومقاربتها، ويدعون بأنهم يعلمون أشياء بهذه الوسيلة، وهي وسيلة شيطانية، وشرك بالله –تبارك وتعالى– وإدعاء لعلم الغيب، فلا يُصَدقون في ذلك، من (.....) ابن عباس رضي الله عنهما، بأنه من مات على هذا العمل، يقصد هذه الحروف ثم ينظر في النجوم ثم يخبر عن المغيبات ماله عند الله من خلاق؛ أي: ماله نصيب في رحمة الله ومغفرته، نعم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب–رحمه الله تعالى–:

باب ما جاء في النشرة

عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن النُّشرة؟ فقال: ((هي من عمل الشيطان)) رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سُئِل أحمد عنها؛ فقال: "ابن مسعود يكره هذا كله".

وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: "رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه" ا هـ.

وروى عن الحسن أنه قال: "لا يحل السحر إلا ساحر".

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور؛ وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب؛ فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النُشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة؛ فهذا جائز.

الشرح:

النُشْرَةُ معناها في **اللغة:** من الانتشار وهو القيام من المرض، والصحة بعد المرض، سُمِيَ نُشْرة.

وفي **الشرع:** المراد بالنُشْرَةُ حَلُ السحر عن المسحور، ثم إما أن يكون بشيء جائز، أو يكون بشيء محرم، كما سيأتي.

والمناسبة بين هذا الباب وبين الأبواب التي قبله في السحر؛ لأن النُشْرَة المَنْهي عنها ضرب من ضروب السحر، والسحر من الشرك الأكبر وهو ينافي أصل التوحيد، والنُشَرَةُ المذمومة تنافي أصل التوحيد؛ لما فيها من اللجوء إلى السحرة الفجرة، الذين أولياؤهم الشياطين، شياطين الجن، يستمتعون بهم، يستمتع الساحر وهو شيطان من شياطين الإنس، بالشيطان من الجن والعكس، وهو البعض الذي دل عليه قوله تعالى: ((رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ)) [الأنعام: 128] فيستمتع شيطان الإنس الذي هو الساحر، بخدمة شيطان الجن، ويستمتع شيطان الجن، بشيطان الإنس، بطاعته له، وكفره الكفر الأكبر؛ لأنه أصبح ساحرًا عدوًا لله، ولا يكون صديقًا لشياطين الجن إلا عدو الله وعدو الرسولِ وعدو المسلمين.

إذًا فالنُشْرَةُ المحرمة ضرب من ضروب السحر، الذي ينافي ويُضاد أصل التوحيد وهو مناسب للبابين الذين قبله في السحر، ومناسب أيضًا لكتاب التوحيد الذي فيه تحقيق التوحيد، وفضل التوحيد وفضل من حقق التوحيد. نعم.

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن النشرة؛ فقال: ((هي من عمل الشيطان)) هذا جواب النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن النُشْرة، أحلال هي أم حرام؟ فأجابه: أنها من عمل الشيطان، وهو يريد القسم المذموم الذي هو من ضروب السحر،

وهكذا يجيب كل طالب علم سُئِل عن ما يُحِلُ السِحْر؟ وبما يُحَلُ السحر؟ وهل يجوز للإنسان الذي أصيب بالسحر أن يذهب إلى السحرة بحجة حكم الضرورة أو لا؟

المتن:

وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: "رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه" ا.هـ.

الشرح:

هذه العبارة التى وردت هنا فيها شيء من الإجمال، إنما يريدون به الإصلاح، أخذ منها والله أعلم، من يقول للناس إن من كان مضطر إلى المعالجة عند السحرة بسبب السحر الذي أصابه لكونه صرف عن امرأته، فلا يطيقها أو تضرر بالسحر، هذا فهم ناس وهو فهم سقيم غير صحيح، وإنما الذي رُخِصَ فيه وعرفه السلف، هو حَلُ السحر بالرُقَى الشرعية، والأدوية المباحة، أن يُرْقَى بالقرآن العظيم، وبالسنة المطهرة، وبالتعوذات الشرعية؛ كالمعوذتين: [قل أعوذ بر الفلق] [وقل أعوذ بربب الناس]، وأعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ومن شر حاسد إذا حسد، هي أدعية مأثورة، والمحافظة على الأوراد، صباحًا ومساءًا، هذه التي تكون كفاية وتكون علاجًا، الرُقَى والتَعَوُذَاتِ والأدوية المباحة المجربة طبيًا، أما ما عاداها بالذهاب إلى الساحر بحكم الضرورة؛ فهذا قول لا يعتمد أصحابه على أي دليل لا من الكتاب ولا من السنة، وإنما الأدلة قائمة على أن من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والكهنة والسحرة والعرافين كلهم نوع واحد، كلهم أهل الشرك الأكبر؛ لأنهم يدعون علم الغَيْبِيَات، ويأتون بأشياء أفسدت عقائد الناس من أجل المادة، ومن أجل طاعة الشياطين، ويذكر العلماء أن الشيطان لا ينصح في خدمة الساحر أو الكاهن إلا إذا أساء إلى المصحف؛ فألقاه في القاذورات، أو داسه برجليه، عندئذٍ الشيطان الجنِي ينصح ويقدم خدمة للساحر والكاهن، بمعنى أنه يكفر كفرًا أكبر، ولا تبقي له صلة بالإسلام إن كان مسلمًا قبل ذلك؛ لذا ذكروا أن النُشْرَةَ على قسمين: نشرة بمعنى علاج بالقرآن والسنة المطهرة والأدعية المعروفة والأدوية المباحة المجربة طبيًا، هذه جائزة وعليها جميع السلف،

والنشرة المحرمة هي: حَلُ السحر بمثله، وقضية دَعوَى الضرورة وجواز ذلك، كما صرح به بعض الناس، كل إنسان أصيب بالسحر يرى نفسه أنه مضطر؛ فلا يبقي أحد سحر إلا وهرع إلى الساحر، وعندئذٍ يكون العلاج بالسحر علنًا، لا يكون خفيةً بعد ذلك، تتابع عليه الناس، وهذا أمر الأخطاء التي يجب يتجنبها طلاب العلم، عملاً وفتوى؛ لا يفتون الناس بها ولا يعملون بها.

المتن:

وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

الشرح:

نعم هذه عادة أهل الجاهلية، أن من سحر في الجاهلية تطببوا له عند السَحَرة؛ لأنهم لا يملكون شيئًا من الأدوية المباحة، لا من الكتاب، ولا من السنة؛ فكانوا يهرعون إلى السحرة، وفي فترات بعد الرسالة المحمدية، هي فترات قلَ علم التوحيد عند الناس؛ فكانوا يهرعون إلى السحرة، والمنجمين وفُتِنُوا بهم، حتى انتشر العلم ولله الحمد، وعلى رأس العلم التوحيد وبيان ما يُضاد التوحيد، والسحر يُضاد التوحيد؛ لأنه شرك أكبر والعياذ بالله.

فلا يَحِلُ السِحر إلا سِحرٌ مثله، هذا عند العرب يستعملون ذلك، وعند المسلمين الذين ما عرفوا إسلامهم، فتراهم إلى يومنا هذا إذا أصيب، من أصيب بالصرع أو بالسحر أو (....) الذي يؤخر الرجل عن امرأته أو المرأة عن زوجها، يهرعون إلى السحرة خُفيةً بهذه البلاد خُفيةً، وفي غيرها علنًا؛ لأنهم لا يجيدون من يُنْكر عليهم. نعم.

المتن:

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن؛ فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب؛ فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز.

الشرح:

هذا هو قول الحق الذي عليه نور، أن ما كان محرمًا من النُشرة؛ لا يجوز استعماله أبدًا، وهو ضرب من ضروب السحر، ومن سحر فقد أشرك؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وأما ما يُحَلُ بالرقية بالسنة، بالتَعَوُذاَت الشرعية وبالأذكار الصباحية والمسائية، وبالأدوية المجربة المباحة؛ هذا هو الذي يحل به السحر، وما سواه باطل وهذا جائز وبالتفصيل.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 131]

وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [يس: 19]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) أخرجاه. زاد مسلم "ولا نوء ولا غول".

ويعجبني الفأل؛ قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة))

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ((ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره؛ فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك))

وعن ابن مسعود مرفوعًا: ((الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)) رواه أبود داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك؛ قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)).

الشرح:

المناسبة لما جاء في الباب وبين الأبواب التي قبله التي كان الحديث فيها عن السحر والكهانة والعرافة، هي أن الطِيرة أيضًا من الشرك، وأن السحر من الشرك، والطِيرة كذلك من الشرك، التي ما أمضاك أو ردك، ومناسبتها لكتاب التوحيد؛ فالتَطَيُّر ينافي كمال التوحيد، والمراد من التَطَيُّر: هو التشاؤم، وقد كان من خصال الجاهلية، يتطيرون بالطير، وبالمنظر، وبالكلمة التي لا تعجب، يتطيرون بها؛ فتردهم عن حاجاتهم، خوفًا من أن يصيبهم مكروه؛ كأن يكون خرج لسفرٍ وسمع كلامًا لا يعجبه؛ كأن يسمع قائل يقول: مات فلان، أو حصل كذا وكذا، رجع وترك السفر، ردته الطيرة، أو سمع عكس ذلك، فبادر وسافر اتكالاً على ما سمع من الكلمة الطيبة، هذا بالنسبة للمشرك؛ فأما الموحد فإن سمع كلامًا لا يعجبه؛ فإنه لا يَرُدُّه عن حاجته، لا عن سفرٍ، ولا عن قضاء حاجة دنيوية، أو أُخْرَوِيَة؛ بل يمضي لها متوكلاً على الله، وإن أحسَ من قلبه شيء غَزَاهُ به الشيطان، قال ما ورد ((اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يحيق السيئات إلا أنت)) أو ((اللهم لا يأتي بالخير إلا أنت)) يذهب (مُؤمنًا) مطمئنًا بأن الله عز وجل هو الذي قدر الأقدار، وهو الذي ينفذها؛ كما قال في قوله عليه الصلاة والسلام: ((واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك))

هذه عقيدة المؤمنين، ولما كان أهل الجاهلية، أهل التطير والتشاؤم وعقيدتهم أن العدوى تصيب بنفسها بذاتها؛ جاء الحديث ((لا عدوى))؛ أي: لا شيء يُعدي شيئًا بطبعه، ولا تنتقل العدوى بطبعها بدون تقدير الله تبارك وتعالى لها، هذه عقيدة المشركين، أنها تنتقل، المرض من المريض إلى الصحيح بطبعه، ولو أن ما خالطه، ما أصابه ما أصابه، هذه عقيدة المشركين؛ أما عقيدة الموحدين: فإنهم يؤمنون أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن ما كُتِبَ على الإنسان في اللَوحِ المحفوظ لابد أن يصيبهُ، ولا يخطِئهُ، وما كان منه من السلامة ما وقع منه شيء من الشر، وجاء قول النبي صلى الله عليه وسلم يبطل معتقدات أهل الجاهلية، ومن بَقِيَ في قلبه شيء من تلك العقائد الفاسدة؛ قال: ((لا عدوى))؛ أي: لا شيء يُعدي شيئًا بطبعه، لكن بقدر الله، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم؛ قيل له: أرأيت البعير الأجرب يكون في الإبل الصحيحة فتجرب؛ فقال لهم: ((ومن أعدى الأول))؛ يعني: من الذي أصاب البعير الأول بالجرب؟ هو قادر أن يصيب الإبل كذلك أو يكتب لها السلامة، على عدوى النفي يُسَلط على نفي العدوى بطبعها، وقد تكون العدوى بقدر الله، يكون المرض في مجتمع فينتقل المرض من فرد إلى فرد في المجتمع؛ ولهذا جاء في الحديث ((فِرَ من المجذوب فِرارِكَ من الأسد)) وما ذلك إلا قطعًا لذرائع الشرك، بحيث إذا أصاب إنسان مرض؛ قال: لو أني فعلت كذا ما كان كذا وكذا، لا عدوى ولا طيرة؛ أي: لا تشاؤم؛ لأن الكلمات أو المنظر الذي لا يعجبك لا يصرف خيرًا ولا يجلب شرًا، وهذا من معتقدات أهل الجاهلية ومن ضَعُفَ إيمانه؛ يقول: لو أني ما فعلت كذا ما حصل بي كذا.

ولا ((هَامَة ولاصَفَر)) والهامة شيء يتخيله الإنسان، ويظن أنه شر سَيَنزِل به، وقيل أنه طائر معروف، إذا رأى نفس القتيل في الجاهلية تُنادي أهل البيت ليأخذوا بالثأر، وصَفَرْ في غالبه شهر صفر؛ فقد كان أهل الجاهلية يتشاءمون بهذا الشهر، ويتشاءمون ببعض الأيام؛ كيوم الأربعاء، وكل هذا نَهَى عنه الشارع؛ لأنه ينافي إما أصل التوحيد، وإما كمال التوحيد بحسب المعتقد، وكذلك ((لا نوْءَ ولا غوْل)) النول من النجم، والغول من الشياطين؛ كما روي في الحديث ((إذا تغيلتِ الغيلان فبادروا بالأذان)) كل هذا لا يحصل منه شيء إلا بقضاء القدر وقضائه.

وقول ابن مسعود: وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل؛ أي: ما من أحد ولو من الموحدين إلا وهو يدخل في قلبه شيء من التشاؤم، ولكن ليس تشاؤم المؤمن كتشاؤم أهل الشرك، وإنما يطرأ على المؤمن شيء فيدفعه فورًا بتوكله على الله عز وجل وإيمانه بالقضاء والقدر، وكأنه لم يذكره، لا سيما إذا استعمل الذكر الوارد: ((اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)) هذه كلمات التوحيد، نعم.

المتن:

ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعًا ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)).

الشرح:

نعم من ردته الطيرة سواءً تطير بسماع صوتٍ، أو بمرور طيرٍ ناطحٍ عن يسارهِ، وهو ماضٍ في حاجته، فتطير بما سمع أو رأى، ردته عن حاجته؛ فقد أشرك بالله تبارك وتعالى، ولم يؤمن بالقضاء والقدر حق الإيمان، وهذا الشرك بِحَسَبِ ما يعتقد.

إن رأى بأن ما رأى سبب من الأسباب الشر فهو شرك أصغر، ومن رأى بأنه سيؤثر في طبعه ورجع وأنه يقين أنه سيصيبه شر.

والمقصود أن التطير بجميع صفاته يعتبر من الشرك والموحد يحارب الطيرة ويتغلب عليها بالتوكل على الله تبارك وتعالى وبالإيمان بالقضاء والقدر، نعم.

المتن:

قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقولوا: ((اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)).

الشرح:

وهذا دليل على أنه من الشرك الأصغر؛ فصارت كفارته بالإيمان بقضاء الله وقدره، وأن كل شيءٍ يكون من خيرٍ وشرٍ، فقد قدره الله على العباد؛ بل على المخلوقات كلها، المكلف وغير المكلف، والله أعلم.

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في التنجيم

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به" انتهى.

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه". ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الشرح:

باب التنجيم المناسبة بين هذا الباب وبين الأبواب التي ذكر فيها السحر وذَمِهِ والتنفير منه، المناسبة هي أن التَنْجِيم ضربٌ من ضروب السحر؛ فمناسبة أن يضع المؤلف رحمه الله باب التنجيم إثر أبواب السحر؛ لأنه نوع من أنواع السحر، وما ذكره ما رواه البخاري الأثر الذي رواه البخاري أن النجوم خلقت لثلاث هذا معلوم من التتبع والاستقراء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة؛ قال: "زينةً للسماء" وهو منصوص عليه؛ كما قال الله عز وجل: ((وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا)) [فصلت: 12] ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ)) [الملك:5]

فذكر خصلتين من الخصال التي خلق الله النجوم من أجلها؛ زينةً للسماء كما هو مشاهد، ورجومًا للشياطين؛ فقد كانت الشياطين تسترق الوحي، وكلام الملائكة من السماء، فيكذبون مع ما يسمعون، ويلقون على ألسنة الساحر والكاهن، فيقول الصدق بالكلمة التي سُمِعَت من السماء، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، حرسَ الله الوحي، بهذه النجوم التي إذا حاول الشياطين الذين يسترقون السمع لِيُلْقُوهُ على شياطين الإنس، إذا حاول الشيطان رُجِمَ بشهاب؛ فأهلكه الله بذلك، وربما وهو للتقليل، ربما سَلِمَ فَيُلْقِي الكلمة على صاحبه من شياطين الإنس؛ فيكذب معها مئة كذبة فلا يصدق إلا بالكلمة التي سمعت من السماء.

وصارت علامات يهتدي بها كما قال الله عز وجل: ((وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)) [النحل: 16] يهتدي بها المسافرون إلى أماكنهم؛ لأن الكثير يعرفون النجم الذي من جهة

الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب، وعلى أساس هذه المعرفة يعرف اتجاهه، فمن تأول فيها غير ذلك، كما فعل شياطين الإنس؛ أخطأ وأضاع نصيبه، رأى نصيبه من الحق والصواب، ورأى نصيبه من الاستفادة من هذه النجوم، والوقوع في المأثم، وتعلم النجوم.

النجوم يختلف من حيث الحكم باختلاف القصد من تعلمها، فالذين يتعلمون النجوم من أهل الكهانة، ويستدلون بها على المغُيبُات وعلى أن النجوم لها تأثير في حوادث الأرض والوقائع التي تقع من الرخاء والشدة والسعادة والشقاء، إلى غير ذلك؛ فهذا التعلم ضرب من ضروب السحر، وصاحبه من أهل الشرك الأكبر، ومن أجل هذا النوع وضع الإمام أحمد بن حنبل هذا الباب، بعد أبواب السحر والكهانة، ونوع من أنواع النظر في النجوم لا يراد منه الإستدلال بها على وقوع الحوادث في الأرض، ولا الاستدلال بها على علم الغيب، وإنما يريدون من تعلم النجوم، ومنازل النجوم، وأبراجها، يتعلمون ذلك من أجل ما ينفع وهو معرفة الفصول، فصول السنة الأربعة، من أجل الزراعة، ومن أجل طول الليل والنهار، ومن أجل الساعات، ساعات الليل والنهار، والأوقات التي يحتاج إليها المسلم كما هو معروف في هذا الزمن، الإعتماد على علم التقويم، لمعرفة الأوقات ومعرفة الليل والنهار؛ فهذا النوع من معرفة النجوم، مباح ولا إثم فيه، ولا حرج على من تعلمه من أجل ذلك؛ إنما الحرج على من تعلم النجوم للإستدلال بها على معرفة المغيبات من الأمور، وعلى معرفة نجم فلان ونجم فلان، وأنه إذا ولد في نجم كذا صار سعيدًا، أو ولد في نجم كذا يوم كذا صار شقيًا، قال هو الممنوع بالأدلة الشرعية، وصاحبه من أهل السحر، وكأن نوع من التعلم لتأثير، ونوع للتسيير، فالتسيير لا حرج فيه، معرفة الأوقات، معرفة الفصول، معرفة أوقات الزراعة، والليل والنهار هذا لا حرج فيه، وإنما الحرج في الذي يتعلم النجوم للتضليل، والإستدلال بها على معرفة علم الغيب، وما سيكون في الزمن في المستقبل، هذا هو الذي في منزلة من أشرك الشرك الأكبر، نعم.

المتن:

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

الشرح:

هذا رأي لبعض العلماء، تحريم تعلم النجوم مطلقًا، سواءً للإنتفاع بها في معرفة الليل والنهار، ومعرفة الفصول، أو يتعلمها للتضليل، وضروب السحر، وعلم المغيبات، وهذا مرجوح، والراجح التفصيل؛ ما كان مباحًا لا حرج في تعلمه؛ كمعرفة الفصول، ومعرفة يعنى ساعات الليل والنهار، ومعرفة الأوقات لا حرج في ذلك، نعم.

المتن:

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر)).

الشرح:

مما يلاحظ ما يكتب في بعض الجرائد، وإن كان قليل اعتقد ما هو كثير، شيءٌ من هذا العلم، علم تأثير النجوم، ووضع الجداول لها، والبروج، ويستدلون بها على علم المغيبات في المستقبل، هذا ضرب من ضروب التنجيم المحرم؛ لذا وجب إنكاره، وتنبيه الجرائد التي تنشره، ووجب على طلاب العلم عدم النظر فيه، ما يجوز النظر فيه أصلاً، وإنما من نظر فيه وتأمل فيه فكأنما يتعلم، والتعلم لا يجوز للسحر، ولا للكهانة، ولا للتنجيم، وفورًا يعزل هذه الصفحة، أو يقطعها، أو يحرقها، ويرشد الناس بعدم النظر فيها؛ لأنه لا يجوز بحال من الأحوال، ومن أدخلها للبيت راضيًا محبًا للنظر فيها؛ فقد وقع في إثم المنجم، وإثم الساحر، والكاهن، وجب التحريم والتنفير منها، وفي هذا الحديث ذكر ثلاث من الكبائر، وأن أصحابها لا يدخلون الجنة، مُدْمِن الخَمْرُ، أي: المدِيمُ لشُربِهَا، والمواظِب على شربها، هذا يسمى مُدْمن ومكْثِر لشرب الخمر، من أي نوع من أنواع الخمر، حرم الجنة، وقاطع الرحم الذي يقطع رحمه فلا يصلها ممن يربط صلة بهم، قرابة من جهة الأب، أو من جهة الأم، هم رحم يصلها بقدر ما يستطيع، فإن لم يستطع بالقدم؛ فبالمراسلات، حتى يسلم من الوعيد الشديد، ومعنى لا يدخلون الجنة أي مع أول الداخلين، وإلا فحكمهم أنهم من أهل كبائر الذنوب، لا يخلدون في النار، وهم من أهل التوحيد والصلاة، لا يخلدون في النار؛ إنما الخلود في النار للكافرين، والمنافقين، والمشركين الشرك الأكبر، والنفاق الأكبر، والكفر الأكبر.

الثالثة: ومُصَدِقٌ بالسحر، له حكم يختلف عن الاثنين قبله، المصدق بالسحر هذا حكمه أنه كافر كفر أكبر، إذا مات وهو مصدق للسحر الذي يدعي فيه الساحر علم الغيب؛ فصدقه؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فلا شك في كفره إن مات عليه، وأن المصدق مثل الساحر، ومن هنا وجب تكذيب الساحر، ومن يخبر بخبر الساحر مصدقًا به؛ لأن إدعاء علم الغيب كفر صريح؛ لأن الله خص نفسه به، في قوله تعالى: {فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ} [يونس: 20] وقوله عز وجل: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: 65] وأما بقية الخلق لا يعلمون شيئًا إلا ما علمهم الله تبارك وتعالى به على ألسنة أنبيائه ورسله، والله أعلم.

أحسن الله إليكم يا شيخ هذا سائل يقول هل لمن يستمع للخطبة وقد أخطأ الإمام في قراءة آية هل له أن يصحح له؟ وما حكم جمعته؟

نعم، له أن يصحح، يباح له أن يصحح له، لكن إذا غير المعنى وجب، إذا كان في قراءة الآية خطأً يغير المعنى وجب عليه أن ينبهه، يترقب معه ويصحح بالنطق، وإن كان لا يغير المعنى فيكون مباح، حتى لا ينحرف في القرآن بشيء، نعم

الإخبار بالأعاصير، الأعاصير هذه الذين يخبرون بها قبل مجيئها؟

لا هذا لا يدخل في التنجيم المحرم، لا يدخل؛ لأن هذا مبني على قواعد في علم (....) وهكذا الكسوف والخسوف، من هذا النوع فقد يصيب وقد يخطئ.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–:

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 82]

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)).

وقال: ((النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد –رضي الله عنه– قال: ((صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)).

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه:

"قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا؛ فأنزل الله هذه الآيات ((فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)). [الواقعة: 75-82]

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب والأبواب التي قبله، والتي فيها الحديث عن السحر وحكمه، وحكم من صدق السحرة، أن النواء والإستسقاء بها؛ ضرب من ضروب السحر؛ لأن التنجيم من السحر، والإستسقاء بالأنواء؛ أي: بالنجوم؛ ضرب من ضروب السحر، وهو مناسب للأبواب التي ذكر فيها السحر، ومن تعاطاه، ومن صدق أهله، ومناسبة الباب لكتاب التوحيد أيضًا، ظاهرة وهي: أن الإستسقاء بالأنواء إما أن يكون من قبيل السحر

الذي هو الشرك الأكبر، الذي ينافي أصل التوحيد، أو يكون من قبيل الشرك الأصغر، الإستسقاء يكون من قبيل الشرك الأصغر، فهو ينافي كمال التوحيد، وهكذا الأعمال التي ذكرت مع الإستسقاء في هذا الباب، من الكبائر التي تنافي كمال التوحيد، لا يكون كامل التوحيد من وقع فيها أو في شيء منها.

والإستسقاء: معناه طلب السُقية، طلب نزول المطر على الأرض لتنبت ما يحتاجه الآدمي، وما تحتاجه بهيمة الأنعام ودواب الأرض، وينتج عن المطر، السيول التي لا يستغنى الناس عنها، لاسيما أهل الزراعة، وكذلك تخزن الأرض ما نزل فيها من الأمطار، فيستخرج عند الحاجة، بحفر الآبار ونحوها، والأنواء: جمع نوء ويطلق على الكوكب، ويطلق على النجم، ويطلق على البرج.

والإستسقاء بالأنواء لا يخلوا من حالين:

إما أن يستسقي الناس بالأنواء: بمعنى أنهم يعتقدون بأن النجم بذاته هو الذي ينزل المطر، من باب تأثير النجوم بالحوداث الأرضية، وهذا شرك أكبر ينافي أصل التوحيد، وإما بأن يُعْتَقد بأن النجم طُلُوعه من مكان كذا وكذا، يكون مؤثرًا وسببًا في نزول المطر، إذا طلع من مكان كذا وكذا لابد أن يكون المطر، وهذا كفر، ولكنه كفر أصغر لا يخرج من الملة، لما فيه من إشراك النعمة إلى غير الله المنعم، ولما فيه من اعتقاد أن النجم سبب نزول المطر، وهو سبب غير شرعي، لأنه سبب ليس له أصل في الشرع أن يكون سببًا، وإنما اتخذه الجُهَّال سبب وليس بسبب، ولا علاقة بينه وبين نزول المطر، فالمطر بيد الله ينزله متى شاء، لقول الله تعالى: {إِنَ اَللَهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَاعَةَ وَيُنَزِلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامْ} [لقمان: 34]

فإنزال المطر بيد الله -تبارك وتعالى-، لا تأثير في النجوم في نزوله وعدم نزوله، وإنما هو من معتقدات الجاهلية؛ إما بأن يعتقدوا بأن النجم، هو الذي ينزل المطر، فيُنسبون إنزال المطر إلى النجم، والنجم لا يملكُ شيئًا؛ وهذا من باب الشرك الأكبر؛ لأن من قال بذلك واعتقده جعل مع الله شريكًا، في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل؛ كإنزال الغيث، ومن اعتقد أن النجم أو النوْء، سببًا في نزول المطر، فإن لم يطلع النجم من مكان كذا وكذا فلا ينزل الغيث؛ فهذا شرك أصغر، وكفر، كفر أصغر ينافي كمال التوحيد، وبيَّنَ الله عز وجل للأمة، ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ما يحلُ وما يحرُم، وفي قوله صلى الله عليه وسلم:

((أربع في أمتي من أمر الجاهلية))؛ يعني: أربع خصال كانت من صفات أهل الجاهلية، والمراد بالجاهلية: ما كانت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وجاهلية كل عصر ومكان حَسَبِهِ؛ فالجاهلية الكبرى هي التي كانت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت من صفاتهم وأعمالهم، ما جاء ذكره في هذا الحديث: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر بالأحساب)) وهذا يقع في بعض المسلمين، الرجال والنساء، الإتفخار بالحسب، وهو الشرف، الذي يعتز به الإنسان، من مال ونسب وجاه وسلطان ونحو ذلك، يفتخر بهم على غيره، ومن هنا إذا افتخر به على غيره، رأى بأن له الفضل على غيره من الناس فدخل معهم.

الشريط العاشر

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

لذا عدت من أمر الجاهلية، و ليس معنى ذلك أنه لا يجوز لإنسان أن يتعلم من نسبِهِ ما يصل به رحمه؛ فلا محظور أن تتعلم من نسبك؛ أي: نسب الآباء والأجداد ومن تمت إليهم بصلة من جهة الأبوة و من جهة الأمومة.

التعلم للنسب من أجل أن يصل الإنسان رحمه، و يقوم بالحقوق التي عليه؛ هذا أمر مشروع؛ لما ورد في الأثر: ((اعرفو من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم))، و أما للترفع على الناس واحتقار الناس، والتميز عليهم بحسبك وشرفك؛ فهذا من أمر الجاهلية، ومثله الطعن في الأنساب وبينهما تلازم؛ لأن من افتخر بحسبه طعن في أنساب الآخرين، كأن يقول نسبي أرفع من نسبك و أنا شريف وأنت وضيع، مما يجري على ألسنة الناس عند الغضب والخصومات والتفاخر، وهذا من أمر الجاهلية؛ لأن الإسلام جاء بالترغيب في لين الجانب لين الجانب و الاعتراف بالأخوة الإيمانية.

والمؤمن أخو المؤمن و المسلم أخو المسلم، لا يجوز لأحد أن يترفع على الآخر بنسبه و يتعالى به، وأما معرفة النسب كما أسلفت من أجل الصلة ومعرفة من يقرب منك نسبًا لتقوم بحقه أكثر؛ فهذا ليس من المنهي عنه؛ بل من الأمور المشروعة المحبوبة.

والاستسقاء بالنجوم الذي هو محل الشاهد في هذا الباب؛ يعني بقي في بعض جهال المسلمين الاستسقاء بالنجوم، وتجدهم يقولون إذا طلع نجم كذا من مكان كذا؛ نزل المطر، و يعتبرون ذلك واقع لا محالة، وهذا من أمر الجاهلية؛ لأن نزول الغيث لا يعلمه إلا الله؛ كما

في حديث الخمس: (خمس من علم الغيب لا يعلمهن إلا الله، مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله) ومنها نزول الغيث فمن ادعى أنه إذا طلع نجم من مكان كذا نزل الغيث؛ دعوى بلا برهان دعوى من أمر الجاهلية، إلا أنه لا يكفر بها كفرًا أكبر، وإنما يكون من باب الكفر الأصغر الذي هو كفر النعمة بإضافتها إلى غير الله المُنْعِم.

و عرفنا التفصيل في الاستسقاء بالنوء تارة يكون كفرًا أكبر، وتارة يكون كفرًا أصغر متى اعتقد المعتقد أن النوء هو الذي ينزل المطر، ويتصرف فيه بالاستدلال بالنجوم على الحوادث الأرضية فهذا كفر أكبر، وباعتبار كون النجم سبب في حصول المطر، وإذا تخلف طلوع النجم من مكان كذا ما نزل المطر هذا من كفر النعمة، ومن الكفر أصغر وهو شر؛ لأنه من أمر الجاهلية، والذي يريد أن يدخل أمرًا من أمور الجاهلية على المسلمين باء بغضب من الله تبارك وتعالى؛ بل أمر الجاهلية يجب أن يحارب؛ لأنه شر، جاء الإسلام في محاربة ما كان عليه أمر الجاهلية من الفساد؛ كادعاء علم الغيب ونسبة النعم إلى غير الله وضروب السحر و الشرك ونحو ذلك؛ كل ذلك من أمور الجاهلية التي تبرأ منها الإسلام و أهل الإسلام.

قال: والنياحة; وهي الأمر الرابع من أمور الجاهلية وبقيت في بعض المسلمين النياحة على الميت، وكان أهل الجاهلية لهم هذه العادة السيئة، إذا مات الميت بكوا عليه بكاء صراخًا يسمى بالنياحة رفع الصوت بالبكاء، وتعديد المحاسن – محاسن الميت – ولو لم تكن فيه! يرفعون من مستواه و مستواهم بتعداد المحاسن و المفاخر، ويعقرون على قدره الإبل و البقر؛ لأنه كان مضيافًا في زعمهم، ونحو ذلك من العادات السيئة التي جاء الإسلام بردها، ودحضها، وإبطالها، ربما تكون النياحة مصحوبة بأعمال سيئة تتنافى مع الصبر الواجب على الأمة، ... بقيت في بعض المسلمين. يكون مع النياحة ما جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم النهي عن لطم الخدود و شق الجيوب و دعوى الجاهلية؛ كما في قوله عليه الصلاة و السلام: ((لَيسَ مِنَّا مَن لَطَم الخُدُودَ وَشَقَّ الجيُوبَ وَدَعَا بدَعوَى الجَاهِلِية)) هذا بقي في كثير من المسلمين لجهلهم، وهو من أمر الجاهلية وهو من كبائر الذنوب.

لذا قال النائحة؛ لأن أكثر النوح من النساء إذا لم تتب قبل موتها، وكانت من المسلمين تقام يوم القيامة يوم الحشر والنشر، و عليها سربال من قطران، ودرع من جرب، كل ما عليها من اللباس عذاب ونكال، وهذه فيها من شدة الحرارة و الالتهاب ما يزيل الأجسام

هذه عقوبتها؛ خاصة إن ماتت وهي على النياحة ولو لم تعتقد حلها المهم أنها تفعلها، وقد وصلها العلم أنها حرام.

أما البكاء على الميت بدمع العين وحزن القلب؛ فهذا لا يعذب عليه الإنسان لا الرجل ولا المرأة، وإنما هو رحمة؛ كما قال النبي صلى الله عليه و سلم لما قال يوم مات ابنه إبراهيم؛ قال: ((العينُ تَدمَع وَ القَلبَ يحزَن وَلاَ نقُول إلاَّ مَا يُرضِي رَبَّنَا، وَإنَّنَا عَلَى فِراقِكَ يَا إبرَاهِيم لمحزُونُون)) فحزن القلب و دمع العين ليس من البكاء المنهي عنه؛ وإنّما هو من البكاء المأذون فيه و لا حرج على فاعله.

المتن:

قال: و لهما عن زيد بن خالد الجهني – رضي الله عنه — قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت بالليل، فلما انصرف أقبل على الناس؛ فقال: ((هَل تَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكم)) قالوا اللّهُ وَرسُولُه أَعلم؛ قال: ((أصبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بي وَكَافِرٌ بي، فَأَمَّا مَن قَالَ مُطِرنَا بِفضلِ اللهِ وَ رَحمتِه فَذلِكَ مُؤمِنٌ بي كَافرٌ بِالكَوكَب، وَأَمَّا مَن قَالَ مُطِرنَا بِنوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلكَ كَافِرٌ بي مُؤمِنٌ بِالكَوكَب))

الشرح:

هذا الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم ((صلى لنا))؛ أي: صلى بهم صلاة الصبح على إثر سماء، والمراد به المطر الذي جاء ليلاً فأصبح الناس يشاهدونه؛ فصلى النبي صلى الله عليه و سلم بأصحابه وانصرف إليهم، وقد أوحي إليه؛ فقال: ((أتَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكم)) قالوا الله ورسوله أعلم؛ هكذا يقال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في عهد حياته يقال الله و رسوله أعلم؛ لأن الله علام الغيوب وهو الذي يعلم رسوله فيما يشاء، وأما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، فإذا كان الإنسان لا يعلم شيئًا عن مسألة؛ يقول: الله أعلم، ولا يقول الله ورسوله أعلم؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا علم له بشيء من الشرع فيما يتعلق بشأن الناس بعد وفاته، فيقتصر الإنسان على قوله: لا أدري، أو يقول: الله أعلم.

بخلاف ما كان يقوله الناس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فاليوم لا تقال النبي صلى الله عليه وسلم الله ورسوله أعلم، فاليوم لا تقال بل يقتصر فيها على الله أعلم.

ثم بَيَّن بأن الناس حيال ذلك المطر الذي نزل انقسموا إلى قسمين:

قسم مؤمن بالله عز وجل وكافر (بالنّوء) بالكوكب، وقسم كافر بالله مؤمن بالكوكب؛ قال: مؤمن وكافر((أَصبَح مِن عِبَادي مُؤمن بي كَافرٌ بِالكَوكَب وَكَافرٌ بي مُؤمِن بِالكَوكَب))، ثم بيّن ذلك بقوله: ((مَن قَالَ مُطِرنَا بِفضلِ اللهِ وَرَحمتِه فَذلِكَ مُؤمِنٌ بي كَافرٌ بِالكَوكَب)).

وهذا هو الواجب و هو إسناد النعمة إلى الله عز وجل، إذ لا ظهير مع الله عز وجل في إنزال المطر؛ بل هو الذي يتولى إنزال المطر، وإنبات النبات وخلق المخلوقات بدون شريك ولا ظهير، وهذه عقيدة الموحدين، ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بالله تعالى، والكلام فيه هنا كما سبق في الاستسقاء بالأنواء؛ من اعتقد أن الكوكب هو الذي أنزل المطر، فهو كافر كفر أكبر؛ لأنه اعتقد شريكًا مع الله عز وجل في ربوبيته، ومن اعتقد أن الكوكب سبب في نزول المطر فلو لم يوجد ذلكم الكوكب ما نزل المطر؛ فهو كفر أصغر منافي كمال التوحيد، والأول ينافي أصل التوحيد.

المتن:

و لهما من حديث بن عباس معناه، و فيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا و كذا، فأنزل الله هذه الآيات ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (78) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (80) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:75-82]

الشرح:

هو رد على الكافرين الذين يعتقدون في النجوم بأن لها تأثيرًا في الحوادث الأرضية، كإنزال الغيث وإنبات النبات ونحو ذلك؛ فالله ذمهم بقوله وتجعلون رزقكم أيها الكفار أنكم تكذبون؛ أي: التكذيب بنعم الله تبارك وتعالى، وإسنادها إلى غير الله، وهذا من أمر الجاهلية، ومن الإيمان بتأثير النجوم على الحوادث الأرضية والوقائع الأرضية، والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة و السلام على رسول الله.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله –:

باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ ﴾ [البقرة: 165]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:24]

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لاَ يُؤمنُ أَحدُكم حَتى أَكونَ أَحبَّ إلَيه مِن وَلَدهِ وَ وَالِدِه وَ النَّاسِ أَجمعِين)) أخرجاه.

و لهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثَلاَثٌ مَن كُنَّ فِيه وَجَدَ بهنَّ حَلاَوَة الإيمَانِ: أَن يَكُون اللهُ وَ رسُولَه أَحبُّ إلَيهِ ممَّا سِواهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المرءَ لاَ يحبُّه إلاَّ للهِ، وَ أَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ في الكُفرِ بَعد إذْ أنقذَه اللهُ مِنه كَمَا يَكرَهُ أَن يُلقَى في النَّارِ)) وفي رواية ((لاَ يجدُ حَلاَوَة الإيمَانِ حَتى...)) إلى آخره.

وعن ابن عباس قال ((مَن أَحَبَّ في اللهِ، وَ أبغَضَ في اللهِ، وَ وَالى في اللهِ وَ عادَى في اللهِ فإنَّما تُنَال وَلاَيةُ الله بِذَلكَ، وَ لَن يجدَ عَبدٌ طَعم الإيمَانِ وَ إن كَثرَت صَلاَتُه وَ صَومُه، حَتى يَكونَ

كَذلِك، وَ قَد صَارَت عَامَّة مُؤاخَاةُ النَّاس عَلَى أَمر الدُّنيَا، وَ ذَلكَ لاَ يجدِي عَلَى أَهلِه شَيئًا)) رواه بن جرير.

و قال بن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:166]؛ قال: المودة.

المتن:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال – رحمه الله– باب قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ ﴾ [البقرة:165]

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد؛ هي أن اتخاذ الأنداد؛ أي: النظراء والأشباه والأمثال لله –تبارك وتعالى– من الشرك الأكبر الذي ينافي أصل التوحيد؛ لذا جاءت الآية بأسلوب الذم لمن اتخذ لله ندًا؛ أي: مثيلاً ونظيرًا يستحق أن يحب كما يحب الله تبارك و تعالى، وأن يصرف له شيء من العبادة و(من) هنا تبعيضية؛ أي: بعض الناس؛ وهم الكفار، والمشركون اتخذوا آلهة مع الله، وأحبوا آلهتهم كحبهم لله الذي خلقهم ورزقهم ويدبر أمورهم، إحياء وإماتةً، وصحةً وسقمًا، وأمنًا وخوفًا، ورزقًا وفقرًا، إلى غير ذلك مما لا يحصى من تدبير الله لمخلوقاته.

ثم بيَّن ميزة المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ ﴾؛ أي: من حب المشركين لآلهتهم، المؤمنون يحبون ربهم أعظم من حب المشركين لآلهتهم، والمشركون يفرطون و يتجاوزون الحدود في محبة آلهتهم، بدعوى أنها تشفع لهم في الدنيا والآخرة على فرض أن هناك يوم آخر وجنة ونار، يوم آخر تحاسب فيه الخلائق و إلا فالمشركون لا يؤمنون باليوم الآخر؛ كما قال الله عز وجل عنهم: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:7]؛ فأبطل زعمهم، وأخبر بأن الشفاعة التي يرجونها من معبوداتهم لا تنفع، ولا يمكن أن تُقبَل؛ لأنها شفاعة منفية نفاها القرآن الكريم عنهم، في قوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: 28]، والله لا يرضى أن يشفع أحد

إلا بإذنه، ولا يرضى الله عز وجل بمشرك أو كافر أن يشفع، أو ما عبد من دون الله عز وجل من الأصنام والأوثان والجمادات الشمس والقمر، كلها لا تشفع وأما من كلفوا كالملائكة والرسل والأنبياء والصالحون، فهؤلاء لا يرضون أن يشرك لهم شيء من العبادة التي لا يجوز أن تكون إلا لله عز وجل.

المتن:

و قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة:24]

﴿ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

الشرح:

هذه الآية أيضًا كنظيرتها الأولى، وهو أن الله يذم المشركين، ويُبيِّن أخطاءهم وانحرافاتهم؛ لأنهم اتخذوا من دون الله معبودات أحبوها، وقدموا محبة الدنيا بما فيها على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله؛ فكانوا بذلك فاسقين إذ ختمت الآية بقوله: ﴿ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، والواجب أن الله تبارك و تعالى ورسوله والطاعة عمومًا، والجهاد خصوصًا يجب أن تقدم على كل شيء من دنيا البشر من الآباء والأبناء والأزواج والإخوان والعشيرة والأموال؛ لأن ذلك هو الباقي، وأما متاع الحياة الدنيا؛ فكله زائل بزوال الدنيا وبزوال من فيها عنها.

و المناسبة بين الآية وبين كتاب التوحيد أن من فعل ذلك نقض إيمانه الواجب، ولم يكن كاملاً؛ لأنه لا يكمل الإيمان إلا التجرد لله تبارك وتعالى، والإقبال عليه بمحبته وطاعته وتقديم أمره واجتناب نهيه، بذلك يكمل الإيمان، أما تقديم الآباء والأبناء والعشيرة والأموال على طاعة الله وطاعة رسوله؛ إما أن تنافي أصل التوحيد، وإما أن ينافي كمال التوحيد؛ بحسب ما يقوم به الإنسان من عمل.

المتن:

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ((لاَ يُؤمِنُ أَحدُكُم حَتى أَكُون أَحبَّ إِلَيهِ مِن وَلَدِه وَ وَالِدِه وَ النَّاسِ أَجمعِينَ)) أخرجاه.

الشرح:

وهذا الحديث متفق مع الآيتين آية البقرة وآية التوبة ((لاَ يُؤمِنُ أَحدُكُم حَتى أَكُون أَحبَّ إِلَيهِ –أي: الرسول عليه الصلاة و السلام– مِن وَلَدِه وَ وَالِدِه وَ النَّاسِ أَجمعِينَ)) وهذا ميزان من موازين الشرع لمن يحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، ولمن يتخلف عن ذلك وفي قوله: ((لاَ يُؤمِنُ أَحدُكُم))؛ أي: لا يكمل إيمانه الواجب حتى يقدم محبة رسول الله صلى الله عليه و سلم على نفسه، على محبته لنفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين من باب أولى، فمن حقق هذا الأمر بحيث أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق محبته لنفسه وولده ووالده والناس أجمعين؛ فقد كمل إيمانه وفاق غيره بذلك، والعكس بالعكس من أحب نفسه وولده ووالده فوق محبته لنبيه عليه الصلاة و السلام؛ فقد نقص إيمانه، ولم يخرج من دائرة الإسلام إلا بعمل يخرجه من دائرة الإسلام قول أو فعل أو اعتقاد.

و أما في عهد الصحابة فإنهم دللوا وبرهنوا على أنهم يحبون الرسول أكثر من محبتهم لأنفسهم، بما فعلوا في الجهاد؛ إذا دعاهم أفراد أو جماعات لا يتأخرون، و إذا كان معهم في الجهاد وضعوا أنفسهم دون نفسه ليقع النبل ووقع السلاح فيهم، والنبي صلى الله عليه و سلم يَسلم، وهو برهان على أنهم يحبون الرسول فوق محبتهم لأنفسهم.

و أما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فالميزان بالتعامل بالشرع الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، الدليل على محبة العبد للرسول عليه الصلاة والسلام؛ هو التمسك بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من إقامة الفرائض والواجبات، والابتعاد عن المحرمات والمكروهات، والرغبة في المستحبات، والسير على سبيله وطريقه الذي جاء به، من فعل ذلك مخلصًا فيه صائبًا؛ فهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق محبته لنفسه؛ لأنه قدم ما جاء به الرسول من الشرع على هوى نفسه وما تحبه من ملاذِّ الدنيا ومتاعها؛ مثلاً: إذا حضرت الصلاة وأذن المؤذن وعرضت شغلة من مشاغل الدنيا؛ ترك مشاغل الدنيا مهما عظمت في عينه، و قدم أداء الصلاة في وقتها مع جماعة المسلمين؛ فقد برهن على محبة

رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما صدر منه من الأمر بفعل صلاة الجماعة، وفي أوقاتها وفي فضلها و الترغيب فيها؛ كل هذا جعله يقدم هذا الفرض على متاع الدنيا.

وهكذا التعامل مع الشرع في أصول الدين وحقوقه ومُكمِّلاته، من تعامل معه وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق محبته لنفسه وولده ووالده و العكس بالعكس، إذا قدم متاع الدنيا على مراض الله والشرع الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشط في دنياه و يكسل في أعمال الآخرة؛ فهو ما أحب النبي صلى الله عليه وسلم كمحبته لنفسه ولا أعظم من محبته لنفسه؛ فالمقصود أن هذا الحديث من موازين الشرع التي يزن بها العبد نفسه وغيره، ينظر لمواقفه مع الشرع المطهر الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من إحجام وإقدام؛ فيعرف ما هو عليه فإن وجد خيرًا ومحبة للنصوص للشرع الكريم و تقديمًا له على كل متاع الدنيا؛ فليحمد الله الذي وفقه لذلك، وإن وجد ميلاً إلى طاعة النفس الأمارة بالسوء والهوى والشيطان؛ فهو مصاب قد غزاه الشيطان ولعب بعقله وقلبه حتى آثر دنياه على آخرته.

المتن:

و لهما عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((ثَلاَثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَن يَكُونَ اللهُ وَ رَسُولَه أَحبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُما، وَأَن يحِبَّ المرءَ لاَ يحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَ أَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بعدَ إِذْ أنقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ))

الشرح:

وهذا ميزان آخر يفهمه كل من أحب العلم والعمل بالعلم، ((ثَلاَثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ)) فإذا حفظت هذه الثلاث، وتعاملت معها على مراد الله و مراد رسول الله عليه الصلاة و السلام فيما يجب أن تتعامل معه؛ فقد ذقت حلاوة الإيمان:

الأولى: أن يكون الله و رسوله أحب إليك مما سواهما، و هذه من علامة الإيمان أن تحب الله فوق محبة كل مخلوق في السماوات والأرض، وعلامة ذلك مراقبة الله الدائمة، والتذلل له والرغبة فيما رغبك فيه، والرهبة مما رهب منه، والوقوف عند أوامره و نواهيه، والاستحياء منه حق الحياء؛ هذا دليل أنك تحب الله عز وجل فوق محبة كل مخلوق خلقه الله

وهو الواجب، وكذا تحب الرسول عليه الصلاة و السلام؛ فن أحب الله حقيقة أحب الرسول صلى الله عليه و سلم كذلك؛ لأنه هو الذي أرسله، وأرسله بالشرع الذي ارتضاه لأمم الأرض، ولكن محبة الله فوق محبة كل مخلوق ويلي ذلك محبة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ كذلك كما في هذا الحديث والحديث الذي قبله، ومن لازم هذه المحبة كما أسلفت السعي في رضى الله تبارك وتعالى؛ بفعل الطاعة و ترك المعصية، والرغبة فيما رغب فيه، والخوف مما رهب منه، ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأفعال وجميع الأعمال الظاهرة والباطنة، بصواب وإخلاص، ودوام على ذلك.

و قد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ [آل عمران:31] هذه الآية كانت رد على قوم ادعوا محبة الله، ولم يؤمنوا برسول الله عليه الصلاة و السلام؛ فامتحنهم الله بهذه الآية: قل يا محمد إن كنتم تحبون الله حقيقة؛ فاتبعوني يحببكم الله، ومن تخلف عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فما صدق في دعواه أنه يحب الله؛ بل هو كاذب في تلك الدعوى، إذن من جمع الله له، وأتى بالأسباب لمحبة الله ومحبة رسوله؛ فقد طَعِم طَعم الإيمان؛ لأنه لا يحمل على ذلك إلا الإيمان.

والثانية: ((وَأَن يحِبَّ المرءَ لاَ يحبُّهُ إلاَّ لله))، و هذا هو معنى الحب في الله، وكذلك البغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله لينال العبد ولاية الله بذلك؛ ينال الولاية بذلك، ومن هنا وجب أن يكون التحاب بين المسلمين أجمعين؛ وهي المحبة الشرعية؛ أي: تحب له كما تحب لنفسك و تحبه في الله؛ لأنه من أولياء الله ، وإذا عدل هو عن عمل الأولياء وقارب الأعداء؛ أبغضته في الله تبارك و تعالى، وهذا من الموازين من موازين الشرع التي يزن بها الإنسان نفسه وغيره. إن وجدت من نفسك أنك تحب المؤمنين من عرفت منهم ومن لم تعرف، وتحب لهم وصول الخير إليهم، وتكره وصول الشر إليهم؛ فاحمد الله، هذه علامة فهمك للإيمان وانقيادك لتعاليم الشرع في هذا الباب وفي غيره.

وأما إذا قصّر الإنسان في هذا الجانب، وفشا بين الناس التحاسد والتقاطع والتباغض والتدابر والهجر؛ فقد أصيبوا في دينهم و في أخلاقهم؛ ولهذا حدد النبي صلى الله عليه وسلم الهجر للأمور الشخصية والذاتية بثلاثة أيام، وما عداها فلا يجوز للمتهاجرين أو المتخاصمين لا يجوز لهم التمادي؛ بل يجب رد السلام وبذل المعروف وما كان من حقوق لا حرج من

المطالبة بها؛ حتى يحصل الإنسان على حقه، إما اليوم أو يوم القيامة، و هكذا قال النبي صلى الله عليه و سلم: ((لاَ تحَاسَدُوا وَ لاَ تَبَاغضُوا وَ لاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عبَادَ اللهِ إخوَانًا، المسلِمُ أَخُ المسلِمِ، لاَ يَظلِمُه، وَ لاَ يَحقُرُه وَ لاَ يُسلِمُه)) هو التقيد بتعاليم الشرع حتى يكتمل الإيمان عند الإنسان، و يسلم من النقص؛ فالطاعة تزيد الإيمان والمعصية تنقص الإيمان.

الثالثة: ((وَ أَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بعدَ إِذْ أنقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ))

يعني إذا كان كافرًا أو كان فاسقًا أو عاصيًا فهداه الله عز وجل للإيمان والطاعة؛ يفرح بذلك؛ لأنه ذاق طعم الإيمان؛ فإذا كره العَود فيما كان فيه من المخالفات والانحرافات، وأعلاها الكفر والنفاق، ويليه المعاصي الكبائر، إذا كان يكره أن يعود في المعصية التي كان فيها بعد إذ أنقذها الله منها فذلك علامة الإيمان وقد ذاق حلاوته.

فالمقصود أن من طبق هذه الثلاث الخصال؛ فقد استكمل الإيمان مع القيام بما أمر به الله عز وجل بالقيام به من فرائض و واجبات و الابتعاد عن المحرمات.

وعن "ابن عباس" قال: ((مَن أَحبَّ فِي اللهِ، وَ أبغَضَ فِي اللهِ، وَ وَالَى فِي اللهِ، وَ عَادَى فِي اللهِ، فإنَّما تُنَالُ ولاَيةُ اللهِ بِذَلكَ، وَ لَن يجدَ عَبدٌ حَلاَوَةَ الإيمَانِ و إن كَثُرت صَلاَته وَ صَومه حَتى يَكُونَ كَذَلكَ، وَ قَد صَارَت عَامَّة مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنيَا وَ ذَلكَ لاَ يُجدِي عَلَى أَهلِه شَيئًا))

صحيح لأن الحب في الله، والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، الإيمان الصحيح هو الذي يحملك أن تحب في الله؛ أي: تحب من والى الله عز وجل، و صار وليًّا من أولياء الله عز وجل، سواء تعرفه أو لا تعرفه، أنت تحبه؛ لأنه من أولياء الله، وتبغض من أبغضت؛ لأنه من أعداء الله، سواء عداوة كاملة كعداوة الكفار أو دون ذلك كعداوة الفساق؛ فمن أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ نال ولاية الله تبارك و تعالى؛ أي: صار وليًّا لله تبارك وتعالى، ومن كان وليًّا لله فهو أحب الخلق إلى الله، وأئمة أولياء الله هو الرسل الكرام ، والأنبياء العظام وفي الحديث القدسي: ((مَن عَادَى لي وَلِياً فَقَد آذَنتُه بالحَربِ)) و هو دليل على محبة الله لأوليائه و عباده المؤمنين.

والمقصود هذه موازين عظيمة يستطيع الإنسان يتفهم ما فيها من المعاني ثم يطبقها على نفسه، فما وجد من نقص؛ سعى في تسديده، وما وجد من الكمال؛ زاد من الخير، والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175]

و قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:18]

و قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت:10]

و عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: ((إنَّ من ضَعفِ اليَقين أَن تُرضيَ النَّاسَ بِسَخطِ اللهِ، وَ أَن تحمَدَهُم عَلَى رِزقِ اللهِ، وَ أَن تَذُمَّهُم عَلَى مَا لم يُؤتِكَ اللهُ إِنَّ رِزقَ اللهِ لاَ يجُرُّه حِرصُ حَرِيص وَ لاَ يَردُّه كَراهيةُ كَارِه-))

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ((مَن التَمَسَ رِضَى اللهِ بسَخَطِ النَّاس رَضِي اللهُ عَنهُ وَأرضَى عَنه النَّاسَ، وَمَن التمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيه وَأسخَطَ عَليه النَّاسَ)) رواه ابن حبان في صحيحه.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب و بين كتاب التوحيد؛ أن الخوف الذي هو عبادة من العبادات التي قال الله فيها: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:175]، من أفرد الله بالخوف الذي هو عبادة؛ فقد اكتمل توحيده، وبقدر النقص من الخوف الذي هو عبادة ينقص التوحيد؛ يعني ما لم يتوجه به بالخوف إلى الله –تبارك وتعالى– وحده حصل نقص عنده في ذلك؛ فالنقص ينافي كمال التوحيد.

ثم بالتتبع والاستقراء قسم أهل العلم الخوف إلى ثلاثة أقسام:

خوف شرك بالله –تبارك وتعالى–، وخوف محرم وليس شركًا؛ لكنه ينقص به التوحيد، وخوف مباح.

فأما **الخوف الشركي**: فهو الخوف من مخلوق تخاف أن يلحق بك ضررًا من عنده، ويدفع عنك خيرًا أو يسلط عليك شرًا بقدرته، أو تخافه لأنه يملك جلب الخير ودفع الضر؛ هذا نوع من الخوف يعتبر شركك بالله –تبارك تعالى–؛ لذا نهى الله –تبارك و تعالى– عنه؛ بقوله (فَلاَ تَخَافُوهُمْ)؛ يعني: لا من شياطين الإنس ولا من شياطين الجن لا تخافوهم؛ بأن يلحقوا بكم ضررًا لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، أو يدفع عنكم نعمة أو خيرًا الله مُقدره، فمن فعل ذلك مخافة من مخلوق، أو رجاء فيه؛ فقد أشرك بالله –تبارك وتعالى–.

أما **المحرم**: فهو ترك الأمر أو ارتكاب النهي خوفًا من شخص أو أشخاص؛ كمن يترك الصلاة في المسجد خائفًا من فلان أن يذمه، أو يعاقبه، أو يوجه إليه لومًا، أو يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفًا من شخص أو أشخاص، هذا يعتبر من الخوف المحرم؛ الذي لا يجوز للإنسان أن يلتمس رضى الناس بسخط الله –تبارك وتعالى–.

و **الخوف المباح**: الذي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب هو الخوف الطبيعي؛ كمن يخاف من العدو أو يخاف من السبع، أو من صائل يصول عليه، هذا خوف طبيعي ليس خوف عبادة و لا خوف محرم يكون مباحا، نعم.

المتن:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175]

الشرح:

آية ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾؛ أي: يخوف الناس بأوليائه من شياطين الإنس والجن، الشيطان يُرهب الناس بأوليائه من شياطين الإنس والجن؛ لذا أرشد الله المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات؛ أرشدهم إلى عدم المبالاة بالشيطان وجنده وحزبه؛ لأن حزبه هم الخاسرون؛ لذا قال: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾؛ لأن من خافهم وظن أنهم يتصرفون بالموت أو الحياة أو الضرر؛ فقد أشرك بالله شركًا أكبر.

المتن:

و قوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:18]

الشرح:

الآية فيها دليل على التوضيح في عبارة المساجد بل وأنه لا بد من عمارة المساجد و عمارة المساجد على نوعين عمارة و حسية و عمارة معنوية:

فالعمارة الحسية: معروفة بناؤها، وفرشها، وصيانتها؛ هذه عمارة حسية مشاهدة

وعمارة معنوية: بالصلاة فيها، بالأذان فيها والصلاة فيها، وقراءة القرآن منها، والاعتكاف وحلقات العلم، وما إلى ذلك من أبواب الخير التي لا تعد، تحتضنها المساجد والمحبون للمساجد الذين يترددون عليها، هم أولياء الله وحزبه المفلحون، وفّقهم الله فأتوا بالأسباب التي حببت المساجد إلى قلوبهم؛ فصاروا من عمارها.

و عمارتها المعنوية أعظم أجرًا من العمارة الحسية العمارة المعنوية، أعظم أجرًا من العمارة الحسية يعني من عمرها بالصلاة فيها وبقراءة القرآن وبالاعتكاف، وبتعليم العلم أفضل من الذي يبني ثم ينصرف، ومن جمع بين العمارتين فأجره أعظم، وخيره أكثر؛ يعني:

بنى ثم عمرها بالعمارة المعنوية، وهذا فضل الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء، في أن يوفق من يبني مسجدًا من ماله ثم يكون من عمار المسجد؛ فقد جمع بين العمارتين.

و خص هؤلاء الأصناف ﴿يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ﴾ بالطاعة فيها، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللّهِ﴾ فالمؤمن هو الذي يعمل الصالحات ابتغاء الأجر من الله تبارك و تعالى، آمن بأن الله أمر ونهى، وأنه يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية إن شاء؛ فجد واجتهد في عمارة المساجد، وإقامة ما يجب وما يستحب أن يقام فيها.

و آمن بـ ﴿الْيَوْمِ الآخِرِ﴾ يوم الجزاء على الأعمال، الذي يجازي الله تبارك فيه وتعالى كل عامل من جنس عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

﴿وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾، الصلاة والزكاة من أكبر الشعائر التي هي من وظائف الجوارح، إقامة الصلاة على الوجه الشرعي، وفي الأوقات المحدودة، وفي بيوت الله التي بنيت من أجلها، ومدح الله عُمَّارها و رغَّب في عمارتها، والزّكاة كذلك فريضة من الفرائض قُرنت بالصلاة؛ فالصلاة زكاة الأبدان، والزكاة زكاة الأموال على اختلاف أنواعها.

وهذه كلها من صفات أهل الإيمان يقيمها أهل الإيمان عمار المساجد؛ ابتغاء الأجر من الله تبارك و تعالى.

ثم قال: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾ وهذا محل الشاهد في هذا الباب؛ أي: أن خشيته مقصورة من الله تبارك وتعالى، فهو لا يخش إلا الله، لا يخش مخلوقًا؛ لأنه يمنع عنه فضلا أراده الله به، أو يسلط عليه شرًا؛ لأن المخلوق ضعيف، والخير والشر بيد الله تبارك وتعالى يبتلي بهما عباده؛ كما قال عز وجل ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: 35]، و عبر بالخشية (وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ)، وجاء الاستثناء بعد النفي؛ ليفيد القصر والحصر؛ أي: أن الخشية عبادة من العبادات لا يجوز أن تصرف لغير الله أبدًا، وقد عاقب الله عز وجل قومًا؛ فقال: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ ﴾ [التوبة: 13] و**الخشية** خوف معه تعظيم، فلا يكون إلا لله؛ بخلاف الخوف الخوف مجرد خوف قد يكون معه تعظيم وقد لا يكون معه تعظيم، وهذا بالنسبة للمخوف منه قد يكون الخوف من عدو، وأما الخشية فتكون من الله تبارك وتعالى؛ لأنها خوف مصحوب بالتعظيم؛ أي: لله تبارك و تعالى.

إذن فمن توجه بهذه العبادة التي هي من عمل القلوب الخشية، من توجه إلى الله بها فهو الموحد، ومن توجه بها إلى سواه فلا يخلو إما أن يكون توجُّها بشيء لا يجوز إلا لله تبارك وتعالى فهو شرك أكبر، وإن كان دون ذلك فهو شرك أصغر، فالأول ينافي أصل التوحيد، والثاني ينافي كمال التوحيد، نعم.

و قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت:10]

هذا بيان لصنف من الناس قلَّ نصيبهم من المعرفة بحق الله تبارك و تعالى، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ﴾ لحقته أذية في جنب الله تبارك و تعالى، ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ التي تصيبه من الناس ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ، و الفرق عظيم بين عذاب الله في الآخرة و بين فتنة الناس، فتنة الناس محدودة و الناس بيد الله تبارك و تعالى إذا أراد أن يصرف فتنتهم صرفها، و إذا أراد أن يبتلي بعضهم ببعض ابتلى بعضهم ببعض، لكن لا يجوز لمسلم و لا مسلمة أن يجعلوا فتنة الناس، و الأذى الذي يلحقهم من الناس كعذاب الله؛ لأنه لا يساوي عذاب الله شيء من فتنة الناس، فيعتبر عذاب الله فوق كل عقوبة، و أما عقوبة الناس فهي محدودة والناس يتصرفون بأمر الله و قدره. ولهذا جاء بـ(من) التي تفيد التبعيض لأن ما كل الناس يجعلون فتنة الناس كعذاب الله، بل أهل العلم العالمون بربهم و يقدرونه حق قدره يعتبرون أن عذاب الله فوق كل عقوبة، و أنه لا تساويه عقوبة من أذى الناس التي تصيبهم في الدنيا.

المتن:

وعن أبي سعيد –رضي الله عنه– مرفوعًا: ((إنَّ من ضَعفِ اليَقين أَن تُرضيَ النَّاسَ بِسَخطِ اللهِ، وَأَن تحمَدَهُم عَلَى رِزقِ اللهِ، وَأَن تَذُمَّهُم عَلَى مَا لم يُؤتِكَ اللهُ إِنَّ رِزقَ اللهِ لاَ يجُرُّه حِرصُ حَرِيص وَلاَ يَردُّه كَرَاهيةُ كَارِه))

الشرح:

هذا الأثر و إن كان ضعيفًا من حيث السند؛ إلا أنه من حيث المعنى صحيح، أن الرّزق مقدر من عند الله تبارك و تعالى مثل الأجل، مقداره وزمنه ، وكيفيته مقدر من عند الله؛ كما قال عز وجل ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف:32]؛

فالذي يلوم الناس على ما لم يتوفر له ويقدر له من الرزق، أو يمدحهم على فضل أُعطي ونسي الله تبارك وتعالى؛ هذا من ضعف اليقين؛ أي: من ضعف الإيمان؛ أن تذم الناس وتظن بأنّهم تسببوا في قطع رزقك؛ حتى قطعوه، أو تمدحهم بأمر ما من الرّزق الذي أصابك فأضفته إليهم؛ فأضفت النّعمة إلى غير المُنعِم؛ لذا الشكر لله تبارك وتعالى على النعم أولاً، وقبل كل شيء، ثم من أسدى إليك جميلاً تشكره بعد شكر الله، تقول: جزاك الله خيرًا؛ تقول: الشكر لله ثم لفلان، وأما شكر الخلق ونسيان الخالق؛ فهذه من العيوب ومن الذنوب التي توجب العقوبات، وسببها ضعف الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعة ويضعف بالمعصية كما هو مذهب أهل السنة و الجماعة.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنِ التَمَسَ رِضَى اللهِ بِسخَطِ النَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَ أَرضَى عَنهُ النَّاس، وَ مَن التَمَسَ رِضَى النَّاس بِسخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِ وَ أَسخَطَ عَليهِ النَّاسَ))

المعلوم بداهة أن الأعمال الصالحة على اختلاف أنواعها الظاهرة والباطنة فيها رضى الله، والعكس بالعكس الأعمال السيئة فيها سخط الله تبارك وتعالى، فمن عمل الأعمال الصالحة أقوالها و أفعالها فقد التمس بذلك رضى الله تبارك وتعالى، وإن سخط الخلق، لا يهمه سخطهم إذا أرضى الله بصالح العمل، سواء فيما بينه و بين الله أو فيما بينه و بين الخلق، والعكس بالعكس، ((مَن التَمَسَ رِضَى النَّاس بِسخَطِ اللهِ)) من الأقوال والأفعال نال العقوبة في الدنيا و الآخرة سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس الذين أرضاهم بسخط الله؛ كما أنه رضي عمن أرضاه وإن سخط الناس وأرضى عنه الناس؛ لأن الجزاء عند الله من جنس العمل، و الله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23]

و قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:64]

و قوله :﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:3]

عن ابن عباس قال: (حسبُنَا اللهُ وَ نعمَ الوَكِيل) قَالهَا إبرَاهِيم - عليه السلام - حِينَ أُلقيَ في النَّار وَقَالها محمَّدُ عليه الصلاة و السلام حِين قَالُوا لَه: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ﴾ [آل عمران: 173])) رواه البخاري والنسائي.

باب قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23]

الشرح:

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله و صحبه، ومن واهتدى بهداه.

المناسبة بين هذا الباب و بين كتاب التوحيد؛ هي أن التوكل على الله عز وجل من العبادات القلبية؛ أي: التي محلها القلب؛ فمن أتى بها على الوجه المشروع، هذه العبادة

التوكل من أصابه على الوجه المشروع؛ فقد كمل توحيده، ومن صرفه لغير الله -تبارك وتعالى-؛ فقد أتى بما ينافي أصل التوحيد، ومن نقصه عن حقه؛ فقد أتى بما ينافي كمال التوحيد، التوكل إما أن يكون توكلاً على الله بدون شريك فهو شرط من شروط الإيمان بالله عز وجل؛ فيكون ذلك تحقيقًا للتوحيد والإيمان، و أما إذا صُرف لغير الله واعتمد الإنسان بقلبه على غير الله من المخلوقات، سواء اعتمادًا كليًّا أو جزئيًّا؛ فقد أتى بما ينافي أصل التوحيد إن كان الاعتماد كليًّا، أو بما ينافي كمال التوحيد إن كان جزئيًّا.

و لهذا جاءت الآية ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23] تفيد الحصر والقصر؛ أي: قصر التوكل على الله وحده دون سواه، و حصرها في الله وحده دون سواه، وجاء القيد الثاني ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل الإيمان فاجعلوا التوكل على الله عز وجل وحده دون سواه، وهو تحريض على قوة التوكل على الله تبارك و تعالى؛ لأنه شرط من شروط الإيمان، وبغير هذا الشرط لا يتم الإيمان.

المتن:

و قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:2]

الشرح:

وهذه الآية الكريمة كسابقتها، وقد اشتملت على خمس صفات من صفات أهل الإيمان:

الأولى: وجل القلوب عند ذكر الله عز وجل؛ أي: خوف القلوب وتذكرها ما ينفعها عند ذكر الله، وذكر الله عام يشمل القرآن الكريم، ويشمل السنة المطهرة، ويشمل أقوال العلماء وشروحهم لكتاب الله و سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ويشمل الأذكار المطلقة والأذكار المقيدة، كل ذلك داخل في قوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ومنها: المواعظ كما في حديث العرباض بن سارية، وهذه صفة تشمل جميع خصال الإيمان داخلة في قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال:2]، وهذه هي الصفة لثانية من صفات أهل الإيمان إذا تلي عليهم القرآن؛ سمعوا له وأنصتوا وتعلموا ما فيه من الفقه الإسلامي، ومن الترغيب والترهيب، ومن بيان الحلال و

الحرام؛ فانتفعت قلوبهم و عقولهم وجوارحهم، وازداد إيمانهم؛ لأن الإيمان يزيد و ينقص كما هو مذهب أهل السنة و الجماعة، يزيد بالطاعات أقوالها و أفعالها، وينقص بالمعاصي كذلك أقوالها وأفعالها، وهذه الآية من الآيات التي يستدل بها أهل السنة و الجماعة على زيادة الإيمان بالأعمال الصالحة.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:2] و هو محل الشاهد في الباب؛ أي: من صفات أهل الإيمان؛ أنهم يتوكلون على الله في كل شأن من شؤونهم الدينية والدنيوية، ولا يتوكلون على أحد سواه، إذ التوكّل على غير الله وتعلق القلوب بغير الله شرك أكبر، وصرف لهذه العبادة عن ما يجب أن تكون له، وهو الله تبارك و تعالى.

و الصفة الرابعة: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ [الأنفال:2]

و الخامسة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال:2]، وهذه الخمس صفات تناولت الإيمان بكامله، جميع أعمال الإيمان والإسلام الظاهرة والباطنة، وأشملها قوله: ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:2]

وكل واحدة من هذه الصفات الخمس من الأعمال العامة التي تندرج تحتها جزئيات أعمال؛ فهي من الكليات.

و قد قسم العلماء الإيمان إلى قسمين: إيمان مطلق، و مطلق الإيمان.

فالإيمان المطلق هو الإيمان الكامل الذي دلت عليه هذه الآية :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:2]

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات:15]

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ [الحج:35] أدلة على الإيمان المطلق؛ أي: الإيمان الكامل.

و مطلق إيمان وهو يشمل: الإيمان المطلق، والإيمان غير الكامل؛ أي: الناقص، الإيمان الناقص؛ كإيمان أهل المعاصي الكبائر وأصحاب الفسق ولكنهم من المسلمين، غير أنهم لم يكونوا كأصحاب الإيمان المطلق الذي هو الإيمان الكامل، و مطلق الإيمان الإيمان الناقص، ويدخل فيهم الإيمان الكامل من باب أولى؛ بل زاد أهل الإيمان الكامل على أهل الإيمان الناقص بالأعمال الظاهرة والباطنة؛ فوصلوا إلى مقام ما وصل إليه أصحاب الإيمان الناقص.

المتن:

و قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:64]

الشرح:

الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تكالب عليه الأعداء، وعلى أصحابه؛ فالله تبارك وتعالى يطمئنه بقوله: ﴿حَسْبُكَ اللّهُ﴾؛ أي: كافيك، ومن كفاه الله عز وجل شرّ الآخرين؛ فقد كُفي، وكذلك أصحابه واتباعه إلى يوم القيامة، الله حسبهم؛ أي: كافيهم، ويجعل لهم من كل كربٍ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، ومن كل عسرٍ يسرًا، فمن اكتفى بقول الله وإحسانه إليه وإكرامه له؛ بحيث يتم عليه النعمة ويدفع عنه النقمة؛ فقد كفي، حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين إلى يوم القيامة، و يدخل في المؤمنين دخولاً أوليًّا في هذه الآية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، وكذا أهل القرون المفضلة الثلاث؛ فكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة الله حسبهم؛ أي: كافيهم، فهو الذي يدفع عنهم الشرور، وهو الذي يحقق لهم ما يرجون تحقيقه ويؤمّنهم مما يخافونه.

المتن:

و قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:3]

الشرح:

في معنى الآية التي قبلها؛ أي: من حقق التوكل من حقق مقام التوكل؛ فجعله محصورًا على الله وحده ولم يشرك مع الله في التوكل أحد؛ فإن الله كافيه يكفيه كلّما أهمه، وكلما أخافه يؤمنه منه، وما رجاه يحققه له؛ وذلك بمشيئته وإرادته وقدرته، ومن هنا يُفهَمُ أنّ التوكل لا يجوز فيه التشريك و لو بـ (ثمّ) يعني لا يجوز لأحد أن يقول توكلت على الله ثم على فلان؛ مثلما يقال: ما شاء الله ثم ما شاء فلان فرق بين هذا و هذا، فالتوكل لا يتجزأ إذا قلت توكلت على الله ثم على فلان، ما حققت مقام التوكل، و إذا قلت: على الله و فلان فهو أعظم، وأبعد من الصواب، ولكن قل: توكلت على الله فقط، لا يجوز أن تقول: ثم على فلان، ولا اتّكلت على الله ثم عليك يا فلان كما هي اللغة الدارجة عندنا لا يجوز؛ بل التوكل

على الله وحده؛ لأنه عبادة فيكون التوكل، فيكون صرفُها لله تبارك و تعالى بدون شريك بما يفيد التشريك من حروف العطف، أو بما يفيد الترتيب كل ذلك لا يجوز.

و معلوم أن من توكل على الله في مسألة واحدة لا يقدر عليها إلا الله عز وجل فقد كفر، من علق قلبه ولو في مسألة واحدة من المسائل التي لا يقدر عليها إلا الله؛ فقد كفر وخرج من الإسلام والإيمان، ومن توكل على شخص، ولو قدم قال: توكلت على الله ثم عليك؛ أي: على فلان من الأمور التي يقدر عليها المخلوق؛ فهنا أشرك الشرك الأصغر؛ بقوله: توكلت على الله ثم عليك يا فلان؛ يقع في الشرك الأصغر؛ إذن فلا يجوز أن يعطف لا بالواو التي تقتضي التشريك، ولا بـ (ثم) التي تقتضي الترتيب؛ بل يقول توكلت على الله كما هو مقتضى النصوص ﴿ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:23] قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:3]، ولم يأت بشيء من التشريك لا فيما يقدر عليه إلا الله ولا فيما يقدر عليه المخلوق. نعم.

المتن:

عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد عليه الصلاة و السلام حين قالوا له: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ﴾ [آل عمران:173] رواه البخاري والنسائي

الشرح:

وهذه الآية كالتي قبلها ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾، ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، أي: كافينا كافينا الله ونعم الوكيل، وفيها بيان فضل هاتين الجملتين ﴿ حَسْبُنَا اللّهُ ﴾؛ أي: كافينا الله، و ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾؛ هو أي: من كفاه الله عز وجل الشرور؛ فقد غنم، سلم وغنم، وبيّن فضلها ما جاء في البخاري إن هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام لما أُلقِيَ في النار قال: ((حسبنا الله ونعم الوكيل)) قالها ظاهرًا وباطنًا كيف لا وهو نبي؛ بل و من أولي العزم؛ بل خليل الرحمن، عندما أُلقِيَ قال هذه الكلمة؛ فنفعه الله عز

وجل بها، وحماه من النار، وأمر النار أن تكون عليه بردًا وسلامًا؛ لأنه علق قلبه بالله تبارك وتعالى وحده دون سواه.

وما يؤثر، وما أظنه يصح قال بعض العلماء جبريل جاء إلى إبراهيم: ((وَقَالَ ألكَ حَاجَة قَالَ أَمَّا إِلَيكَ فَلاَ)) معنى هذا الأثر تشهد له هذه الآية؛ إلا أنه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وقالها محمد صلى الله عليه و سلم عندما قال له بعض الناس {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ} ذكر أهل السير أن أبا سفيان ومن معه لما انتصروا في أحد وهذا من الابتلاءات و إلا لا نصر للمشركين، من الابتلاءات للأنبياء وأتباع الأنبياء، وجد أبو سفيان جماعة ذاهبين إلى المدينة وهو راجع إلى مكة؛ فقال لهم: أبلغوا محمدًا بأننا سنعود سنستأصل شأفتهم؛ فبلَّغ الرّكب أبلغوا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؛ فقال: ((حَسبُنَا اللهُ وَنعمَ الوَكِيلُ))؛ قال الله تعالى: ﴿ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: 174]، والملحوظ أن هذه الكلمة فيها تخليص التوكّل لله الذي هو عبادة قلبية، تخليصه لله وحده دون سواه وفيه بيان .....

الشريط الحادي عشر
فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

[[باب قول الله تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:99]

وقوله: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر:56]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال: "الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله" رواه عبد الرازق.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: باب قول الله تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:99]

الشرح:

الآية الكريمة هذه "كعنوان"، "كعنوان لهذا الباب"

ومناسبة هذه الآية لكتاب التوحيد؛ هي: أن اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته ينافيان أصل التوحيد أو كمال التوحيد بحسب ما يقوم بالقلوب؛ لأن هذه من أعمال القلوب، وهكذا الأمن من مكر الله، وفي قوله تعالى: ((أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)) نسبة المكر إلي الله تبارك وتعالى، سبق معنا في دراسة التوحيد في الكتاب المتقدم أن المكر صفة من صفات الله تبارك وتعالى، وهي صفة كمال؛ بالنسبة لله هي صفة كمال؛ لأنها حق؛ لأنها جاءت على سبيل المقابلة للخصم لمن أنعم الله عليهم بالخير الديني والدنيوي ولكنهم كفروا النعمة، ولم يشكروا النعمة، والله عز وجل يمدهم بنعم الدنيا ولم يشكروه عليها؛ فصار هذا الإعطاء والتفضل عليهم إستدراج؛ لما أمرهم الله بالشكر فلم يشكروه؛ استدرجهم؛ أي: مكر بهم كما مكروا؛ الجزاء من جنس العمل؛ فمكر الله صفة كمال له؛ لأنه القوي والقادر، والقهار والجبار والعزيز؛ فلا يستطيع أحدٌ من الخلق أن يخرج عن قبضة الله تبارك وتعالى فجاءت هذه الصفات التي جاءت في القرآن على طريق المقابلة؛ أي: قابل الله مكرهم بالدين وبالرسل وبأولياء الله؛ بمكره بهم، والله غالب على أمره، ومن كان خصمه الله تبارك وتعالى فقد خُصم؛ لذا قال عز وجل هنا: ((أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ))؛ أي: هؤلاء المشركون الذين أنعم الله عليهم بالأموال والأولاد والأمن والاستقرار وغير ذلك ولم يشكروه؛ بل مكروا لدين الإسلام، واستهزؤا بأهله وما قدروا الله عز وجل كما يجب عليهم أن يقدروه؛ فجاء في المقابل أن الله عز وجل مكر بهم؛ استدرجهم في النعم وأفاض عليهم منها وهم في طغيانهم يعمهون حتى نزل بهم بأس الله الذي لا يُرَدُ عن القوم المجرمين؛ فخسروا كل شيء؛ دنياهم وأُخراهم؛ فقال: ((فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ))؛ أيضًا وقعوا في الخسران، وضد الخسارة: الربح؛ والربح هو: التمسك بتعاليم الإسلام الظاهرة والباطنة، والخسارة في تركها والإعراض عنها والأذى لأهلها. نعم .

المتن:

وقوله: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر:56]

الشرح:

ذكر الآية الأولى؛ أي: ليس اليأس والقنوط والأمن من مكر الله ليس من صفات أهل الإيمان، ولكنه من صفات أهل الخسران على اختلاف طبقاتهم، ((وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ))، أما المؤمنون فإنهم لا يقنطون؛ أي: لا ينقطع رجائهم في الله تبارك وتعالى أبدًا؛ بل لهم في ربهم حسن الرجاء، يرجون رحمه الله، ولا يقنَطون ولا يُقنِّطون من رحمة الله، (..) المعاصي، ولا يأمنون مكر الله؛ لأن الأمن من مكر الله؛ ذهاب الخوف من القلوب من الله تبارك وتعالى؛ فالمؤمنون هم أهل الرجاء وأهل الخوف؛ يعني جمعوا بين الرجاء وبين الخوف؛ ولهذا قال العلماء: الخوف والرجاء كجناحي طائر إذا استويا استقام في طيرانه، وإن مال أحدهما عن الآخر اختل وزن الإيمان، يختل الإيمان إذا غُلِّب أحدهما عن الآخر، معنى ذلك أن الرجاء في الله تبارك وتعالى غفَّار الذنوب وقاضي الحاجات والراحم لعباده والحكيم؛ يجب أن يرجوه المؤمن، يرجو فضله الدنيوي والأخروي، ويخاف منه، مع الرجاء يخاف من الله، من عقوبته إن قصر فيما أوجب عليه أو ارتكب ما حرم عليه، أو ارتكب ما حرَّم عليه، (...) بين الرجاء وبين الخوف؛ إلا أنهم قالوا: إذا كان العبد في حال صحته وقوته في دنياه؛ فعليه أن يغلب جانب الخوف من الله تبارك وتعالى، وإذا كان في حال مرضه وضعفه ورحيله إلي الله عز وجل بمقدمات يلمسها؛ يغلب جانب الرجاء، وفي الحديث: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)) وهذا هو الرجاء وتغليبه.

وأما أهل الاستعداد في حال الصحة والمرض على سبيل الدوام فهؤلاء لا عليهم أن يتساويا عندهم الرجاء والخوف، سواء في حال الصحة أو في حال المرض . نعم.

المتن:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال: "الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله".

الشرح:

الكبائر معناها: كل ذنبٍ ترتب عليه حد من حدود الله، أو ترتب عليه غضب من الله عز وجل، أو قرن بغضب أو بعذاب أو بلعنة؛ فهو من الكبائر، وما بعد الكبائر إلا

الصغائر؛ فتارةً ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر سبعة؛ فقال: ((اجتنبوا السبع الموبقات))، وتارةً جاء ذكر تسع؛ أي: زيادة اثنتين على السبع؛ ومنها: الإلحاد في الحرم.

وهنا ذكر ثلاثة من الكبائر: الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله؛ وقد سُئل ابن عباس –رضي الله عنهما-: أهي سبع؟ فقال: "هي إلي السبعين أقرب" وفي رواية: "هي إلي السبعمائة أقرب".

ومن عرف ضابط الكبائر، كل ما جاء مندرج تحت الضابط فهو من الكبائر، وأعظمها وأشدها إثمًا وعقوبةً:

الإشراك بالله عز وجل:

والإشراك: أن تجعل مع الله شريكًا تصرف له شيئًا من أنواع العبادة الظاهرة أو الباطنة، من ترك شيئًا من أنواع العبادة من أجل غير الله، أو أشركها مع الله، أو عبد الله وعبد غيره معه؛ فقد أشرك، ولا تُقبل عبادة إلا بالصواب والإخلاص لله تعالى، وقد حرَّم الله الشرك وتوعد فاعله بأنه لا يغفر له، وأن صاحب الشرك الأكبر له الخلود الدائم في النار لا يموت فيها ولا يحيى، وله صور متعددة يعرفها من قرأ القرآن وأمعن النظر فيه، وهكذا السنة المطهرة.

ومن الكبائر: اليأس والقنوط من رحمة الله وروح الله؛ كما ثبت في الآيتين لا ييأس من رحمة الله ولا يقنط من رحمة الله إلا القوم الخاسرون، وأما المؤمنون فإنهم لا يأمنون مكر الله، ولا ييأسون من روح الله، ولا يقنطون من رحمة الله تبارك وتعالى؛ وإنما هم أهل خوفٍ ورجاء؛ خوف من الله فيقومون بطاعته، ويخافون من الله فيبتعدون عن معصيته، ولا يأمنون مكر الله فتراهم جادين مسارعين في عمل الخيرات، ولا يقنطون من رحمة الله؛ فيبتعدون عن العمل وييأسون أن الله لا يغفر الذنوب، وقد يجرهم هذا اليأس إلي ترك العمل، الذي يمحو الله عز وجل به السيئات ويرفع به الدرجات. والله أعلم.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.
قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:
باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله
وقوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن: 11]
قال علقمة: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم".

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت".

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: "ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية".

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)). حسنه الترمذي.

المتن

باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد: أنَّ الإيمان بالقدر من الأعمال التي يتم بها توحيد العبد، وأن عدم الإيمان بالقدر؛ إما أنه ينافي أصل التوحيد أو ينافي كماله بحسب النقص الذي حصل في الإيمان بالأقدار؛ والقدر المراد به: ما قدَّره الله تبارك وتعالى وابتلى به عباده، سواءً كان خيرًا أو شرًا، وفي الحديث القدسي أنَّ الله عز وجل لما بعث محمدًا عليه الصلاة والسلام؛ قال: (لأبتليك وابتلي بك)، ويؤكد هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى: ((وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)) [الأنبياء: 35]

ومن هنا وجب الصبر عند الابتلاءات؛ أما الابتلاءات أنواع:

- **إبتلاء بالتكاليف الشرعية**: الأوامر والنواهي، وسائر التكاليف والحقوق التي لله أو لعباد الله، هذا من الإبتلاء؛ فإن وفى بها المبتلى أُجر، وإن أخل بها أثِمَ.

والقدر: هو ما كتبه الله عز وجل حينما خلق القلم وقال له: اكتب، قال: وماذا أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء؛ فجرى القلم بما هو كائن إلي يوم القيامة، وكل ما جرى به القلم لا يتخلف أبدًا لا من الخير ولا من الشر، ولا من الشقاوة ولا من السعادة، ولا مما يجري على المخلوقات في السماوات والأرض، لا يتخلف منه مثقال ذرة؛ فما جرى به القلم لابد أن يكون، وبالإضافة إلي الإبتلاء بالمقادير وبالتكاليف الشرعية وهي: إبتلاء؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)) [الملك: 2]

- **الابتلاء بالمصائب**: التي تُقدَّر على المخلوقات، ومنها: المرض ومصيبة الموت والفقر والخوف، وكل ما يجري على الإنسان مما يُؤلمه ويُؤثر عليه، وصار فيه من الصابرين؛ فله أجر الصابرين.

والمصائب التي تجري على الناس أما أن يكون لا سبب لهم فيها ولا يد لهم فيها، وإما أن تكون بسبب أفعالهم وتصرفاتهم، فما كان من الموت والمرض والفقر بغير هذه المقادير التي يُصاب بها الإنسان؛ هذه لا يد له فيها ولا سبب؛ فإن صبر فله أجر الصابرين على القدر، وإن جزع وسخط؛ نقص إيمانه بقدر جزعه وعد صبره، وأما المصائب الأخرى التي يتسبب فيها المكلف من عالم الإنس والجن؛ فهو يُحاسب عليها ويُعاقب؛ استحق الحساب والعقاب عليها، والله عز وجل يعفو ويرحم، أمر الخلق إليه كالزنا والسرقة وشرب الخمر؛ هي لا تخرج عن القدر، قدر جرى بها القدر ولابد أن تكون ولكن المنوط بها فاعلها، ولا يجوز لإنسان أن يحتج بالقدر على فعل المعصية، لا يحتج به على فعل المعصية؛ يقول: قدر الله عليّ وكأنه يبرر جانبه؛ بل هو المؤاخذ وكل معصية لها عقوبة في الشرع، إما عقوبة مقدَّرة، وأما عقوبة (..) فيها العلماء وهي الكتاب والسنة فيعرفونها، ما يعرفها غيرهم.

ثم الصبر على الأقدار أمر واجب، أمر واجب أن يصبر الإنسان على ما قدَّره الله وقضاه، سواءً فقرًا أو ضررًا أو خوفًا؛ فمن صبر كَمُل توحيده، ومن جزع وسخط نقص إيمانه ونقص توحيده.

والصبر: هو من أعمال القلوب، ومن أعمال اللسان وسائر الجوارح؛ لأن معناه الحبس؛ حبس النفس على الصبر، حبس النفس على فعل المأمورات وعلى ترك المحظورات، وحبس النفس كذلك عن حفظ الجوارح من التعدي والتجاوز؛ فمن صبر قلبه وصبر لسانه وصبرت جوارحه؛ فهو من الصابرين، أعدَّ الله له أجر الصابرين؛ والله يقول: ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [الزمر: 10]

والصبر ضد السخط والجزع؛ فإذا آمن العبد أن كل شيءٍ بقضاءٍ وقدر؛ وجب عليه أن يصبر لما نزل به من المصائب؛ كما قال علقمة -رحمه الله- ((ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله)) يقول: " هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم" وهي المصيبة التي لا دخل له فيها، ولا يد له فيها؛ وإنما قدَّرها الله عز وجل وقضاها مما سبق ذكره؛ من موت قريب أو مرض النفس أو الفقر، ونحو ذلك من المصائب التي ليس للعبد فيها تصرف، ولكنه صبر بأنه مؤمن بأنها من عند الله وبقضائه وقدره؛ فسَلَّم للقضاء المحتوم والقدر المقدور؛ فنال الأجر، وفاز بالرضى من الله عز وجل، وسَلِمَ من السخط. نعم.

المتن:

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)).

الشرح:

هذه الأعمال: الطعن في النسب، والفخر بالحسب ؛ كما ورد في بعض الآثار، والنياحة على الميت؛ ثم قال صلى الله عليه وسلم: ((النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) عقوبةً لها.

وهذه الثنتان: الطعن في النسب؛ كانت من أمر الجاهلية، أهل الكفر والشرك والرذائل وعدم الإيمان، يطعن بعضهم في نسب بعض؛ كأن يقول أو تقول قبيلة لأخرى: "نسبكم وضيع، ونسبنا رفيع" ها هو الطعن؛ يفتخر بنسبه ويطعن في نسب غيره، وهذا عنوان الكِبْر، والترفع على الناس، والشربة في آنٍ واحد؛ فجاء الإسلام ونهى عن السخرية، ونهى عن الكبر، ونهى عن الترفع على الآخرين، واعتبر .. النصوص أن الكفاءة بين الناس في

الدين؛ فقد قال تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) [الحجرات: 13]، وقال في حق المصاهرة: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوجوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

وتعارف الناس على شرائح من الناس قسموا تقسيم حتى في صفوف المسلمين؛ هذا عربي، وهذا خادم، وهذا عبد، وهذا كذا وكذا، نسبه وضيع، وألئك أنسابهم رفيعة؛ لذا طعن بعضهم في بعض؛ وهذا من أمر الجاهلية، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا (..) ولا (..)، ويترفع عليه بنسبه، ولو كان رفيع النسب كالقرشي؛ إلا أنه لو فهم الإسلام؛ ما ترفع بنسبه على أحد؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوج القرشية من مولى من الموالي؛ كان مملوكًا فعُتِق، وهو رسول الله العا لم بما ينفع و يضر بتعليم الله عز وجل له؛ إلا أنها بقيت بقايا في المسلمين من أمر الجاهلية؛ منها: الطعن في الأنساب.

ومنها: النياحة:

والنياحة: رفع الصوت بالبكاء وتعداد محاسن الميت سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة؛ وهذه من أمر الجاهلية، وعملها كفر عملي؛ ليس كفرًا مُخرج من الملة إلا من استحلها ورأى بأنه حلال للنائحة أن تنوح وحلال للناس أن يطعنوا في أنساب غيرهم؛ فقد استحلوا ما هو محرم في الدين؛ معلوم من الدين بالضرورة؛ فيكون عندئذٍ كفر أكبر، وأما بدون استحلال قلبي فهو من الكفر العملي؛ ولهذا عُرف بالاستقراء أنَّ الكفر له إطلاقان:

الإطلاق الأول: أن يكون مُعرفًا: الكفر

والإطلاق الثاني: أن يكون مُنكَّرًا: كما في قوله هنا عليه الصلاة والسلام: ((اثنتان في أمتي هما بهم كفر))، كفر مُنَكّر؛ فهو كفر عملي، لا يخرج من الملة، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)) فجاء به مُنكّر فهو كفرٌ دون كفر، ولما أراد الكفر الأكبر؛ قال عليه الصلاة والسلام: ((بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة)) فجاء به مُعرَّف، وأنَّه أراد الكفر المخرج من ملة الإسلام؛ فإذًا بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة، وفي القرآن الكريم: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)) [الكافرون: 1]، ((وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) [التوبة: 32]

وهو المراد به: الكفر الأكبر المخرج من ملَّةِ الإسلام. نعم.

المتن:

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: ((ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)).

الشرح:

وهذه ثلاث خصال أيضًا من أعمال أهل الجاهلية قبل الإسلام، وبقيت في الأمة بعد إسلامها؛ ليس في كل الأمة، ولكن في بعض الأمة، بقيت فيهم وهو عدم الصبر عند المصائب، ((ليس منَّا من لطم الخدود)) وهذا يُفعل عند المصيبة سواءً من الرجال أو من النساء، عند مصيبة الموت أو ما يشبهها من المصائب، يصيح ويلطم خده جزعًا، ولم يُؤمن بالقضاء والقدر حق الإيمان؛ بل إن كان يؤمن به وأنه من عند الله عز وجل؛ فقد ضعفُ إيمانه وقلَّ إيمانه، ولم يخرج من الإسلام.

وشق الجيوب كذلك يبلغ بهم السخط والاعتراض على أقدار الله عز وجل؛ فيشقون ثيابهم سخطًا، ويدعون بدعوى الجاهلية التي هي ندب الميت؛ ذكر محاسنه وأفعاله سواءً منها ما كان صدقًا وما كان كذبًا؛ فإن دعوى الجاهلية بخلاف دعوة أهل الإسلام للميت وهو دعاء له بالخير؛ لأن الملائكة تؤمن على ذلك، ودعاء له بالرحمة والمغفرة، وقبول اليسير من عمله والتجاوز عن الكثير، وذكر محاسنه التي كان يعملها من باب الدعاء له، والتأسي به أيضًا، وليس من باب الندب المحظور؛ الذي كان تفعله الجاهلية وورثه بعض المسلمين.

وقوله: ((ليس منَّا))؛ أي: ليس على طريقتنا وليس على سنتنا؛ لأن سنة الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام؛ الصبر عند فزائع الليالي والأيام عند الموت وما دونه من المصائب، الصبر والاحتساب ليظفروا بالأجر الكبير والخلف من الله تبارك وتعالى في المصيبة، فهو نقصٌ في الإيمان، ونقصٌ في التوحيد. نعم.

المتن:

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافىَ به يوم القيامة)).

الشرح:

نعم، وهذا هو الغالب في المسلمين؛ من أراد الله به خيرًا؛ لأن بني آدم لا يخلون من الذنوب؛ بل يقعون في الذنوب والله عز وجل رحيمٌ بهم؛ فقد يعاقبهم عقوبةً ليرتفع الذنب؛ ليرتفع الإثم عنهم، ولتعظم الدرجات درجات الأجر عند الله عز وجل؛ فإذا كثُرت عليه المصائب كالأمراض أو الفقر ونحوها؛ فإنها كفارات له ومما يرفع الله العبد بها درجات، وهذا من إرادة الله عز وجل الخير بعبده المؤمن؛ يُبتلى بالقتل كما فعل الكفار بالأنبياء، وبالاعتداءات على الصالحين، وبالأمراض، وبالفقر، وكل هذا في صالح المؤمن يُكفِّر الله به سيئاته ويرفع به درجاته، وهذا فضل عظيم، وإذا أُريد به شر؛ لأنه لا خير فيه؛ أمسك عنه الإبتلاءات في المصائب حتى يوافيه يوم القيامة فيلقى جزائه الأخروي، والعذاب الأخروي أشد وأنكى من العذاب الدنيوي؛ كما قال عز وجل: ((وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) [السجدة: 21]. نعم.

المتن:

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)).

الشرح:

صحيح، إن عظم الجزاء مع عظم البلاء؛ على قدر ما يُبتلى الإنسان فيصبر ويحتسب، ويرجو الأجر من الله تبارك وتعالى سواءً في جسده أو في ماله أو في ولده أو في قريبه؛ كلما عظُم البلاء؛ فالجزاء عند الله أعظم، وإذا أحب الله قومًا ابتلاهم سواء في أنفسهم أو في أقاربهم أو في أموالهم، وإذا ابتلاهم فصبروا؛ فلهم من الله الرضا، يرضى عنهم بسبب عملهم الصالح وهو: الصبر، ومن سخط واعترض على أقدار الله عز وجل؛ فله السخط من الله تبارك وتعالى وهو عقوبة ينالها الذي يجزع ويعترض على أقدار الله.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)). [الكهف: 110]

وعن أبي هريرة مرفوعًا: ((قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)) رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى؛ قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)) رواه أحمد.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد ظاهرة، وذلك أن الرياء إما أن يكون شركًا أكبر وإما أن يكون شركًا أصغر؛ فإذا كان شركًا أكبر فهو ينافي أصل التوحيد، وإن كان شركًا أصغر فهو ينافي كمال التوحيد، هذا من حيث مناسبة الباب لكتاب التوحيد.

أما من حيث الحكم: فلا شك في تحريم الرياء سواءً كان رياء أكبر ينافي أصل التوحيد أو رياء أصغر ينافي كمال التوحيد؛ فالأكبر: إن مات عليه صاحبه؛ فهو من أهل الخلود في النار، والأصغر من قبيل الشرك الأصغر والخلاف فيه بين العلماء هل الشرك الأصغر محبط للعمل؟ أم أنه تحت المشيئة، إن شاء الله عذب صاحبه وإن شاء غفر له؟ لأنه ليس شركًا أكبر يوجب الخلود في النار، وهذا الرياء الأكبر كفعل المنافقين؛ والمنافقون يعملون في الظاهر عملاً صالحًا، ولكن ليس الغرض من أعمالهم الصالحة التقرب إلي الله أو امتثال أمره أو اجتناب نهيه، ولكن غرضهم حقن دمائهم وحفظ أموالهم والستر عليهم، لولا ذلك ما صلوا ولا جاهدوا ولا وصلوا المساجد؛ لكن غرضهم أن تحفظ أموالهم، وتحفظ ذراريهم

ونسائهم من السبي؛ لأنهم إذا اشتهروا بالحرب، إذا اشتهروا بترك الأوامر والنواهي؛ قُتِلوا، لكن تستروا بها مع المسلمين؛ فإذا خلوا لم يقيموا شيئًا من فرائض الله، ولم يفعلوا خيرًا قط، وإنما شأنهم كما قال الله عز وجل: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142]

هؤلاء أصحاب النفاق الإعتقادي، الذين يراءون بأعمالهم.

والنوع الثاني من أنواع الرياء؛ الذي يُطلق عليه الشرك الأصغر، أو يُطلق عليه الشرك الخفي؛ فكلاهما وارد؛ كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إياكم وشرك السرائر))؛ يعني لأنه مخفي القلوب لا يطلع عليه إلا علام الغيوب.

أصحاب الشرك الأصغر الرياء الأصغر وقعوا في الشرك به إلا أنهم ليسوا كالأولين، وهؤلاء هم الذين يطرأ عليهم الشرك الرياء؛ يطرأ عليهم وهم إما في العبادة، وإما في الشروع في بداية العبادة، وإما في أثناء العمل، سواءً صلاةً أو قراءةً أو صدقةً، المهم أن العمل قربة من القربات سواءً من الواجب أو المستحب؛ يطرأ على صاحبه الرياء؛ فيحسنه ويزيد فيه من أجل فلان الذي يشاهده، فما فعله بهذا القصد؛ فهو غير مقبول مردودٍ عليه؛ لأنه ما أراد به وجه الله والدار الآخرة؛ فرُدَّ عليه، وما كان من العمل صوابًا سواءً في صلاةٍ أو حجٍ أو صدقة أو غير ذلك من الأعمال التي تعتبر قرب؛ فلا يخلو الباعث عليها؛ إما أن يكون الباعث على هذا العمل قصد الثواب وقصد الآخرة والامتثال، ثم طرأ عليه الرياء؛ فهذا يحُبَط العمل الذي توجه به لغير الله طرأ عليه ثم رآئ فيه وسمّع؛ هذا لا يُقبل منه، وما كان من سائر العمل الذي يُتقرب به إلي الله فهو مقبول، والملحوظ أن الرياء ليس قسمًا واحدًا، وإنما هو قسمان: قسمًا صاحبه كالمشرك الشرك الأكبر إنْ مات عليه كان خالدًا مخلدًا في النار، وقسم منه يكون كالأصغر والخفي تحت المشيئة الإلهية على قول الجمهور؛ أنه تحت المشيئة بمعنى: إن شاء الله عذبه، وإن شاء رحمه فلم يعذبه، ثم الرياء الأصغر جاء الإرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم فيه بالذكر المقيد لحصوله، وهو قوله عليه الصلاة والسلام لمن وقع في قلبه شيئًا من الشرك من الرياء: ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم))، وفي رواية: ((إنك تعلم ولا أعلم))

من أحس بشيء من ذلك وانطلق إلي هذا الذكر؛ فإن الله سبحانه وتعالى يوفقه ويقبل منه ويتقبل منه عمله، والآية الكريمة من آخر سورة الكهف {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: 110]

أمر الله -عزَّ وجل- فيها بالعمل الصالح، والعمل لا يكون صالحًا إلا بشرطين:

الشرط الأول: الصواب

والشرط الثاني: الإخلاص

فإذا فُقد أحد الشرطين؛ ما تقبل الله العمل، وإن فُقد الشرطان معًا فمن باب أولى ما تقبل الله العمل، وإن سَلَّمَ الله العبد العامل للصالحات من ذلك وتوجه بعمله إلي الله تبارك وتعالى وكان صوابًا فإن الله يقبل منه ذلك، وهذه الآية يُستدل بها على أمور الشرك الأكبر والأصغر؛ لأن هناك (..)

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: 110]

أي نوع من أنواع العبادة لا يجوز له أن يُشرك فيه مخلوقًا سواءً شركًا أكبر أو شركًا أصغر، وفي قول الله تعالى في الحديث القدسي: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك)) تقرير؛ لأن الله هو الغني وأن من سواه من مخلوقاته فقراء إليه، وهو كقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15].

فمن عمل عملاً من واجبٍ أو مستحبٍ أو من ابتعادٍ عن محرم خالصًا لله عز وجل؛ أثابه الله عليه وقَبِله منه، ومن عمل عملاً من الصالحات والقربات ورآى فيه أو سمع؛ فقد أشرك، ولكن على التفصيل السابق، إما أن يكون الباعث على العمل هو الرياء وسمعة الناس، وليس له أرب في ثواب الله -عزَّ وجل-، لا طمعًا في جنته ورضاه ولا هربًا من ناره؛ فهذا هو الرياء الأكبر الذي هو شرك المنافقين، وشرك السرائر الكبير، وإن كان دون ذلك، الباعث على العمل وجه الله والدار الآخرة ولكن طرأ عليه حب الثناء من الناس؛ فهو يُزين من أجل مشاهدتهم عبادته؛ وقع في الشرك الأصغر، وما كان لغير الله فهو باطل وحابط، وما كان لله فهو مقبول ويُؤجرُ عليه صاحبه؛ ولهذا قال الله تعالى: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً)) أيَّ كان صلاةً أو صدقةً أو ذكرًا أو قراءةً أو حجًا أو عمرةً ونحو

ذلك ((أشرك معي فيه غيري؛ تركته وشركه))؛ أي: لا يقبله الله تبارك وتعالى؛ لأنه هو الذي يتوجه إليه المؤمنون بأعمالهم الصالحة رجاء مرضاته وثوابه وخشيةً من سخطه وعقابه. نعم

المتن:

وعن أبي سعيد مرفوعًا: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى؛ قال: ((الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)) رواه أحمد.

الشرح:

هذا الحديث فيه دليل على أن المسيح الدجال سيكون في هذه الأمة ولاشك، وأن خروجه من علامات الساعة الكبرى، وأن أمره عظيم، لما يجري على يديه من الابتلاءات والامتحانات للناس، فهو يُبتلى به، يُبتلى به بأشياء تجري على يديه خارقةً للعادة، ولكن جاءت الإنذارات من النبي صلى الله عليه وسلم، والتحذير من متابعته وطاعته فيجب عصيانه والخروج عنه، ما يأمر به ورفضه؛ لأنه الدجال، ودعواه كاذبة؛ لأنه يملك المطر ويملك الإحياء والإماته؛ هذه لا يملكها إلا الله تبارك وتعالى؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم خاف على أمته من المسيح الدجال، وقال: ((إن يظهر وأنا فيكم فأنا حجيجه))؛ يعني: خصيمه ((وإن يظهر بعدي فكل امرئ حجيج نفسه)).

وطبعًا يظهر وهو إحدى علامات الساعة الكبرى العشر، ولابد أن يمكث في الأرض أربعين يومًا، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع، وسائر الأيام كهذه الأيام، ويسير في الأرض كلها إلا مكة والمدينة؛ فإنه لا يستطيع أن يقربها؛ لحماية الله تبارك وتعالى لها بالملائكة، وهو نجس وأتباعه أنجاس وهم اليهود، اليهود والخوارج أتباع الدجال، فهو يخاف على أمته من فتنة المسيح الدجال، وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تعوذوا بالله من أربع)) قال: ((في كل صلاة؛ من عذاب القبر، وعذاب النار وفتنة المحيا وفتنة المسيح الدجال)).

ما من مصلي عنده علم بصلاته إلا وهو يتعوذ بالله في كل ركعتين أو في كل صلاة يعقبها تسليم؛ يأتي بها بعد الصلاة الإبراهيمية، وما ذلك إلا لخطر المسيح الدجال على

الأمة؛ من أخباره أنه يقتل شابًا مؤمنًا، ويجعله (..) والناس يشاهدون، ثم يعيده فيرجع حيًّا متكلمًا؛ فيقول له: ((ما ازدتُ فيك إلا بصيرة أنك أنت الدجال))، فلا يسلط على أحد بعده؛ حتى يقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة السلام في أرض الشام، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أنا أخوف عليكم من المسيح الدجال)) من أي شيء؟ من الشرك الخفي، الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم شرك السرائر، الذي هو الرياء وذلك أن يقصد العامل بعمله في بدايته وجه الله، ثم لما يرى من نظر الناس إليه يزيد في العمل ليمدحوه ويثنوا عليه بما شاهدوه، والذي زاده لم يكن لله وإنما كان لمن رأى؛ لمن رأى العابد وهو يتعبد، فكان مشركًا بذلك شركًا خفيًّا، أو تقول شركًا أصغر وهو شرك السرائر الذي لن يخلد صحبه في النار، ولكنه ضرر عظيم عليه، وأنه لا يُستهان بشيء من المحرمات، وعلى رأس المحرمات؛ الإشراك بالله -تبارك وتعالى- والنفاق سواءً كان من قسم الشرك والنفاق الأكبر، أو كان من قسم الأصغر؛ وهذا الشرك الأصغر لا ينجو منه أحد غالبًا، الشرك الخفي لا ينجو منه أحد غالبًا، ولكن كلما أحس الإنسان بشيء من ذلك؛ كمحبة مدح الناس فيزيد في العبادة أو مرآتهم فيُسمِّع، أو قصد الثناء منهم فيزيد في عبادته أو يُسمِّعهم أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلي الاستعاذة، وهي من الأذكار المقيدة عندما يحس الإنسان بشيء من ذلك؛ أي: العُجْب بنفسه، وبالعمل الذي يعمله؛ عندئذٍ يلجأ إلي الله تبارك وتعالى أن يعافيه من هذا الخطأ وهو الشرك، ويقول: ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم))؛ أي: أستغفرك لما تعلم؛ فيكون كفارةً له، ورافعًا للإثم لقول الله تعالى، والله أعلم

أحد الحضور: إذا وقع في الشرك هذا الأصغر عمدًا؛ فما كفارته؟

الشيخ: وقع فيه؟ السائل: عمدًا؛ فما الكفارة؟

الشيخ: الشرك الأصغر يعني، هذه كفارته؛ الاستعاذة، الاستعاذة والإستغفار؛ لأن كل ذنبٍ علاجه بالإستغفار؛ فإذا أذنب وهو عمد، واستغفر صادقًا؛ غفر الله له.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15-16]

في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع)).

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد؛ باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

المناسبة: هي أنَّ من أراد بعمل الآخرة الدنيا، ولم يُرد الآخرة؛ فهو مشرك شرك أكبر، والشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد، ومن أراد بعمله عمل الآخرة أراد به الآخرة وأراد به الدنيا معًا؛ فهو من نوع الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد؛ والآية الكريمة دليل على ذلك {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}؛ أي: بعمله {وَزِينَتَهَا} ما فيها من متاع، وزينة من مراكب ومن زوجات ومن خدم ونحو ذلك، من كان يريد بعمل الآخرة الذي يجب أن يعمله الإنسان لله عز وجل إرضاءً لله، امتثالاً لأمره واجتنابًا لنهيه، وطلبًا لجنته وما فيها من النعيم المقيم، وخوفًا من النار وما فيها العذاب الأليم؛ هذا هو الأصل في العمل، وهذا هو الذي يجب أن يكون هو الباعث على عمل الصالحات، وما جاء من الدنيا فإنما هو استعانة وقضاء حاجة يمنُّ الله عز وجل بها على عباده، وما كُتب من الدنيا سيأتي تبعًا بدون ما يستخدم العمل الصالح من أجل أن ينال حظًّا من الدنيا؛ فهذه الآية فيها خطر عظيم عن الذين لا يتأملون في الأعمال، لماذا هو يعمل العمل الصالح؟ ماذا يريد من وراءه؟ إن أراد من العمل الصالح ما تقدم ذكره من إرضاء الله، وطلب جنته، والهروب من ناره؛ فهذا الذي قام بالواجب، وهو الذي أخلص بعمله وما جاءه من الدنيا فهو إعانة من الله له، ورزق يسوقه الله له، ما قدَّم العمل الصالح من أجل الحصول عليه؛ لكن قدم العمل الصالح من أجل الثواب الآخروي؛ فمن قدم العمل الصالح من أجل أن ينال حظًّا من الدنيا ولا هم له في الآخرة، ولا هم له في ثواب الآخرة؛ فهذا هو الذي أشرك شركًا أكبر؛ كأن يصلي وهو لا يريد ثواب الصلاة عند الله، يصوم كذلك، ويزكي كذلك، ويتصدق ويقرأ القرآن؛ لكنه لا يريد ثواب الآخرة، وإنما يريد تحقيق مقاصد دنيوية تتحقق له؛ فهذا الذي كان قصده ما ذُكِر؛ أشرك شركًا أكبر، وأنَّه ما أخلص لله في الأعمال، وتوجَّه بها إلي الله -تبارك وتعالى-.

وقسم آخر: يريد بعمله الآخرة بعمله الصالح يريد به ثواب الآخرة وثواب الدنيا معًا؛ فجعل مع الله شريكًا، ولكنه من قبيل الشرك الأصغر؛ إذا كان الباعث على العمل هو طاعة الله تبارك وتعالى، ونيل ما عنده من المغفرة، وعنده أصل الإيمان؛ لكن نوى أيضًا مع هذه النية أن ينال حظًّا من الدنيا؛ هذا لا يكون مشركًا شرك أكبر؛ يكون مشركًا شرك أصغر بحسب ما قام بقلبه من الرغبة في متاع الحياة الدنيا وزينتها؛ ونستفيد من هذا البحث أن كلما يقدمه المسلم من عمل الصالحات أقوالها وأفعالها، ظاهرها وباطنها، يجب أن يكون

خالصًا لله وحده دون سواه، ولا يشرك به ولا فيه أحدًا ولا مقصدًا ولا طمعًا في (..) الثواب، ولا حرج عليه أن يعمل الأعمال الآخرة ليكسب بها متاع الحياة التي يستعين بها من الحلال، يعمل أعمالاً دنيوية وأعمالاً وظيفية وباب العمل واسع، غير أنه لا يتخذ العمل الصالح وسيلةً لثواب الدنيا، وإنما يريد بالعمل الصالح ويعمله من أجل إرضاء الله تعالى بطاعته، وامتثال أمره واجتناب نهيه، وطمعًا في جنته ورضاه، وفرارًا من ناره وأليم عذابه؛ هذا هو الواجب في تقديم العمل الصالح لله تبارك وتعالى وحده دون سواه.

وهذه الآية جاءت بمثل معناها آيات؛ كقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20]

ليس له نصيب في مغفرة الله ورحمته؛ لأنه ما أراد بعمل الآخرة الذي قدمه ما أراد به ثواب الآخرة، ولا إرضاء الله، ولا قيامًا بالواجبات، وإنما أراد به مقاصد دنيوية قد يتحقق له شيء وقد لا يتحقق، ولكنه حُرِمَ من ثواب الآخرة بسبب سوء النية والمقصد؛ قال: ((وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)) [الشورى: 20]

النصيب في الآخرة لمن قدم العمل لله -تبارك وتعالى- له نصيب من رحمة الله، له نصيب من مغفرته، له نصيب من جنته ورضاه، له نصيب من كل نعيم، ومثل ذلك قول الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: 18-19]

هاتان الآياتان فيهما من المعاني ما في آية هود: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود: 15]. نعم.

المتن:

في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ

بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع)).

الشرح:

هذا الحديث دليل، فيه ترهيب من إرادة الدنيا بالعمل الصالح، وفيه ترغيب على العكس من ذلك، الترغيب في إرادة العمل ثواب الآخرة، رضا الله عز وجل وثواب الآخرة، وأداءً للأمانة التي حُمِّلها، التي هي بينه وبين الله، والتي بينه وبين عباد الله؛ فإذا كان هو عبدًا للدرهم والدينار ونحوهما؛ فهذا هو الإشراك بالله تبارك وتعالى؛ لأن العبودية لله وحده، والخضوع لله وحده؛ فإذا جعل نفسه عبدًا للدينار والدرهم والخميصة والخميلة ونحوها، وجعل العبودية لها؛ بمعنى: أنه لا يعمل أعمالاً صالحة إلا من أجل الحصول عليها؛ فهذا خاب سعيه وبطل عمله وإن عمِلَ العمل لله، الباعث عليه هو إرادة ثواب الآخرة ورضا الله، ولكنه خلطه بنية سيئة؛ هذا بحسب ما قام بقلبه وبنيته فقد لا يكون مع الكفار، وإنما يكون شركه شرك أصغر ولا يخرجه من ملة الإسلام، القصد الذي دخل مع القصد الحسن، القصد السيئ الذي دخل مع القصد الحسن؛ لا يخرجه من ملة الإسلام وإن كان ينقص ثوابه بذلك.

والخلاصة كما قدمنا:

أنَّ كل عمل من الأعمال الصالحة يجب أن يكون خالصًا لله وحده دون سواه، ولا يجوز أن يُلتَمَس به أي غرض من أغراض الدنيا سواء كان قليلاً أو كثيرًا، وما قسم للعبد من دنياه؛ فلابد أن يحصل عليه ولا يتقلب، وما عليه إلا أن يدلي بالسبب المباح، ولا يدلي بالسبب المحرم كسوء النية وسوء القصد، وإنما يدلي بالسبب المباح له والمشروع له أن يعمله؛ فهذا دعاء على من كان همته جمع حطام الدنيا، ولا همة له في الآخرة بعمله الذي يقدمه، وهذا يلحق بالمشركين الشرك الأكبر، ومن كان دون ذلك همته في ثواب الآخرة وثواب الدنيا معًا وهو عمل صالح؛ فهذا قد خلط بين ما يجوز وبين ما لا يجوز، خلط بين ما يجب وما لا يجوز؛ فوقع في الخطأ؛ فنقص بذلك ثوابه ونقص بذلك إيمانه، ومن هنا وجب على المسلم أن يوقف نفسه ويحاسبها وهو يتحرك في دنيا البشر لا سيما أهل الوظائف الدينية؛ كطلب العلم، وحمل الشهادة، وأهل الجهاد، وأهل حماية الثغور في الأوطان المسلمة، وأعمال كثيرة عمل إقامة وظائف المساجد من إمامة، خطابة، وآذان، ووعظ وتذكير وتعليم، كل هذه

يجب أن يبتغي به وجه الله وحده دون سواه، وما كان له من دنيا البشر بسبب مشروع مباح فإنه سيناله ولاشك، ويكون قد أصاب الطريق في العمل الذي يقوم به، والمهم أنه دائمًا وأبدًا يقف مع نفسه محاسبًا لها ومعاتبًا لها؛ إن دخلت نية السوء في الأعمال الصالحة التي لا يُراد بها إلا وجه الله تبارك وتعالى والدار الآخرة؛ فإذا أحس من نفسه ميل إلا أنه يريد بعمله الصالح شيئًا من متاع الدنيا وزينتها؛ فعليه أن يوقفها عند حدها حتى لا تهلك بسوء القصد وسوء النية، هذا يجب أن ننتبه له جميعًا؛ يعني الآن مثلاً تجد شرائح من طلاب العلم الجامعيين والدكاترة والأكاديميين ونحو ذلك، يريد مناصب، ويقول: لا حرج، هو ..



الشريط الثاني عشر

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

وأشاد بالعلماء ورفع قدرهم، هذا إذا كان يطلبون العلم لا يريدون به مقاصد دنيوية، يريدون به وجه الله والدار الآخرة، وإنقاذ أنفسهم من الجهل، ونشر العلم، وحمايته، وحراسة العقيدة، لا يريد به منصب، ولا يريد به مال، ولا يريد به شيئًا من متاع الدنيا وزينتها، إن قصد شيئًا من ذلك؛ إما أن يقع في الشرك الأكبر فيهلك، وإما أن يقع في الشرك الأصغر، وهو على خطر عظيم؛ لأن الله تعالى قال: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48]

لذا وجب على المسلم، وعلى طالب العلم خصوصًا، ألا تطمح به نفسه وهو يواصل وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، لينال الشهادة، ثم ماذا؟ ثم ليصل إلى المنصب والوظيفة، فيجمع المال ويفعل كذا وكذا، هذا -كما قلت لكم في تفصيله سابقًا- خطر عظيم على الناس، وهكذا كل عمل أخروي يجب أن يتقرب به العبد إلى الله -عز وجل-.

فلهذا ورد من الحديث: (من طلب العلم لينال به عرضًا من الدنيا، أو لِيَصرِف به وجوه الناس إليه، لا يرح رائحة الجنة) مما يؤيد ما في هذه الآيات الكريمات، وأن كل عمل من أعمال الخير، عمومًا يجب وجوبًا ويفرض فرضًا أن يكون يقصد به وجه الله والدار الآخرة، وما جاء من الدنيا معه أو بعده من وجه صحيح حلال مباح؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا إثم على صاحبه.

وفي هذا الحديث ذم لمن ليس له مقصد من عمله هذا إلا حطام الدنيا ليجمعه بين يديه، أو يخلط بين مقصدٍ حسن، وقصد سيء؛ فيستحق من الإثم بقدر ما انحرف عن

الجادة، ولا يخرج من حالين: إما أن يكون مشركًا شركًا أصغر، وإما أن يكون مشركًا شركًا أكبر.

وفي هذا الحديث بيان لفضل الجهاد وأن المجاهد في سبيل الله أتى بأفضل الأعمال لله -تبارك وتعالى-، وحقيقة المجاهد في سبيل الله؛ من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله؛ كما أجاب النبي صلى الله عليه وسلم بذاته؛ ولا يكون الغرض من الجهاد، ليغنم أو ليفخر، أو ليسمع عنه الناس، هذه مقاصد سيئة؛ لكن يجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؛ فما جاء لمن أبيح له من وراء الجهاد؛ كالغنيمة وكالخمس وكالسلب، من قتل قتيلا فله سَلَبُه، فما جاءه من وراء ذلك فهو حلال ولا يأثم غير أنه لا يقاتل من أجله، والقائم بهذه الأعمال مجاهد، سواءً كان في مقدمة الجيش، في وجه العدو، أو في مؤخرة الجيش يتفقد الضعيف، أو في الميمنة أو الميسرة يقوم بعمله فيها، أو في الحراسة يحرس الجيش عمومًا، كل هذه تعتبر أعمال من أعمال الجهاد في سبيل الله، فمن مات وهو كذلك؛ فهو مجاهد في سبيل الله -تبارك وتعالى-، ثم وصفه بهذا المجاهد، بأنه ليس من الشخصيات المرموقة، وإنما هو من الشخصيات التي لا يُؤْبَه لها؛ بمعنى ليس له مال وليس له جاه، وإنما عمله دائمًا وأبدًا الذي يتطلع إليه ليحققه هو المشاركة في الجهاد في سبيل الله، فهو إن شفع لا يُشفع، وإن استأذن لا يؤذن له، وإن طلب شيئًا لا يُعطى، ولكنه رَضِيَ بذلك، ورضي أن يعيش مجاهدًا ويموت مجاهدًا في سبيل الله وهو أشرف الأعمال. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه؛ فقد اتخذهم أربابًا

وقال ابن عباس: يوشك أن تَنزِل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله صلى الله عليه سلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال أحمد بن حنبل: عَجِبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله-تعالى- يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيهلك.

وعن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: 31]

فقلت له: إنا لسنا نعبدهم.

قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؛ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم). رواه أحمد والترمذي، وحسنه.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد، هو أن طاعة المخلوق في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، اعتقاد ذلك ينافي أصل التوحيد؛ لأنه من الشرك الأكبر، ولأن الله – تبارك وتعالى– قال: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ} الذين هم العلماء من أهل الكتاب، {وَرُهْبَانَهُمْ}: الرهبان العباد، {أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}؛ أي: آلهة يعبدونها لأن التقرب بتحليل الحرام أو تحريم الحلال عبادة، وصرف العبادة لغير الله –سبحانه وتعالى– شرك أكبر، وهذه هي المناسبة بين هذه الترجمة وبين كتاب التوحيد.

وأما إذا أطاعوا العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله على سبيل الإستباحة العملية؛ أي: فعل المعصية طاعة لمخلوق؛ فهذا ينافي كمال التوحيد ولا ينافي أصل التوحيد، حتى يعتقد بأنه يجُوِّزَ للمخلوق أن يحلل الحرام ويحرم الحلال، فإذا اعتقد ذلك؛ فإنه شرك أكبر ينافي أصل التوحد، نعم.

المتن:

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

الشرح:

هذا الأثر المروي عن ابن عباس دليل على فقه ابن عباس –رضي الله عنهما– ومعناه: أنه إذا عرض عليك الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ لا يجوز أن تعارضه بكلام الناس مهما بلغوا في المنزلة، وإنما تسلم للنصوص قال الله وقال رسوله عليه الصلاة والسلام، وأما المراجعات والمذاكرة في فهم النص؛ فهذا لا حرج فيه، وكلٌ قد يفهم من النص مالا يفهمه الآخر، ويفقه من النص مالا يفقهه الآخر، فلا حرج من المراجعة والمذاكرة والتمحيص حتى يتبين الحق من النص؛ لأن هذه وظيفة العلماء، أن يعرفوا النصوص ويتفقهوا فيها ثم يبينوا للناس الحلال والحرام والحق والباطل، والهدى والرشاد والغي، يُبينه العلماء لذا هم من أولي الأمر، أولي الأمر صنفان من الناس: العلماء والأمراء؛ فالعلماء وظيفتهم فهم الكتاب والسنة على حسب استطاعتهم، وبيان ذلك للناس ونشره وأن ينشره

بكل وسائل النشر، ووظيفة الأمراء: كالملوك والرؤساء ونوابهما وظيفتهم: سياسة الأمة ورعاية الرعية بحيث يسلك بهم المسالك الحسنة، ويُهيئ لهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وهذان الصنفان هما أولاة الأمر، الذين أمر الله بطاعتهم في قوله –تبارك وتعالى–: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59] فجاءت طاعة الله وطاعة الرسول مطلقة؛ لأن الله هو الآمر الناهي، الموصي بذلك إلى رسوله عليه الصلاة والسلام والرسول إنما هو مبلغ، فجاءت طاعة الله وطاعة الرسول مطلقة، وجاءت طاعة ولي الأمر المخلوق مهما كانت رُتبتهُ جاءت مقيدة، ليش؟ {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ولم يقل: [وأطيعوا أولي الأمر منكم] فطاعة أولاة الأمور تابعة، تابعة لطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وطاعة الله؛ أي: يطيعون فيما أمر الله بطاعته أو أمر رسوله بطاعته، ولا يطيعون في سوى ذلك مما لا يرضاه الله ولا يحبه، وأما طاعة الله وطاعة الرسول هذه استدلالية؛ لأن الرسول مبلغ عن الله بدون زيادة ولا نقصان، وقد قال الله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80]

وكان ابن عباس –رضي الله عنهما– يري وجوب المتعة وأن المتعة يعني أقل أحوالها، أنها مشروعة والأخذ بها واجب، وكان مذهب أبي بكر وعمر وعثمان، أنهم يَرَوْن وجوب الإفراد بالحج والإفراد بالعمرة، يروْن ذلك اجتهادًا منهم، يقولون لئلا يخلوا البيت من عُمَّار حاجين ومعتمرين، وقالوا إنّ الفضل في الحج أن يُنشئ لكل عبادة سفرًا مستقلاً؛ أي: للحج سفرًا والعمرة كذلك؛ فأخذ النزاع بين أهل العلم في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وبعد ذلك في عهد الخلفاء، وابن عباس يقول لهم إن الرسول عليه الصلاة والسلام لما انتهى الناس من عمرتهم في حجة الوداع؛ أمرهم أن يتحللوا، فتكون المتعة الحِل كُله، ثم ينشئوا الحج من مكة فيصيرون متمتعين وهذا أحد الأنساك الثلاثة، والذي اختاره ابن عباس ومن معه من تلامذته قالوا الإفراد، وألزموا به الناس في عهد الخليفة أبو بكر وعمر وعثمان، يُنشئ الناس سفريْن سفر للحجِ وسفر للعمرة، وبعضهم رأى الإفراد للحج، وقد جمع العلماء بين هذه الأقوال الثلاثة من حيث الأفضلية، فقالوا: إن الأفضلية تختلف باختلاف الأعمال، وذلك أنّ من ساق الهدي معه فالقران في حقه أفضل؛ أي: بين الحج والعمرة، ومن لم يسُق الهدي فالتمتع في حقه أفضل، ومن اعتمر ثم رجع إلى بلده أو إلى مسافة القصر فأكثر ثم أحرم بالحج؛

فالإفراد في حقه أفضل، وهذا جمع حسن بين الأقوال؛ فالمقصود أنّ ابن عباس يري الوجوب؛ يري الفسخ واجب، فسخ الحج إلى العمرة من الواجبات بحجة أن النبي صلى الله عليه وسلم، ألزمهم بذلك أن يجعلوها عُمرة؛ قال: (من لم يسق الهدي فليجعلها عُمرة وليحل يحل كله، ومن ساق الهدي فلا يحل حتى يبل الهدي محله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، ومن معه بقوا على محرمين بدون تحلل حتى (.....) فحصل الخلاف؛ فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، وهذا وعيد شديد؛ قال: أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر؛ معناه أنما من عُرِض عليه الدليل من الكتاب والسنة لا يجوزُ له أن يعارض هذا الدليل بكلام أحد من العلماء؛ بل يقف مع النص ولا يجادل، نعم.

المتن:

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن قع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

الشرح:

وهذا مثل الأثر المروي عن ابن عباس: يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء، الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- تَعجب ممن يُعرَض عليه الدليل ويتضح له النص الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يذهب إلى رأي واحد من الفقهاء أو المحدثين! رأي شخص مهما كان في العلم أو الرتبة، مادام تبين له أن المسألة قد ورد فيها نص عليه أن يعتصم بالنص، وأن يقف مع النص، ولا يذهب لرأي أحد من الناس؛ لأنه إذا جاءت النصوص لا يجوز لأحد أن يقلد شخصًا، أو يقول قال فلان كذا وكذا، فيعارض برأي فلان النصوص؛ بل يجب الإتباع بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم بين له بقوله في الآية الكريمة: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} ضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي: يخالفون عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم، ويذهبون إلى قول غيره، أن تصيبهم فتنة، والفتنة الشرك، جمهور العلم فسرها بالشرك، أو يصيبهم عذاب أليم؛ أي: عقوبة، عقوبة لهم،

الفتنة عقوبة؛ لأنها زيغ، وإذا زاغت القلوب حلت العقوبة العاجلة والآجلة؛ كما قال الله تعالى عن قوم موسى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: 5] فالذي يخالف النصوص مع وضوحها وصراحتها؛ عرّض نفسه للفتنة أن يقع في شيء يُكذِّبُ به النص؛ فيزيغ قلبُه فيهلك، ويذكر بأن رجلاً قال للإمام مالك: أريد أن أحرم من المسجد؛ أي: المسجد النبوي، قال له: أخاف عليك من الفتنة، قال وأي فتنة؟! ما هو إلا زيادة عمل؛ قال: لأن الله قال: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63] وما أحرم الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا من ذي الحُلَيْفة؛ يعني فلا يسعك إلا سنة النبي عليه الصلاة والسلام، نعم.

المتن:

وعن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقرأ هذه الآية: "((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)) [التوبة:31] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يُحرمون ما أحل الله فتُحرمونه، ويُحلون ما حرم الله فتُحلونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم". رواه أحمد والترمذي، وحسنه.

الشرح:

نعم هذا فيه بيان أن التحليل والتحريم ليس لأحد؛ بل هو لله تبارك وتعالى، ولرسوله عليه الصلاة والسلام، فإذا أطاع الناس من يحللوا الحرام أو يحرموا الحلال، واعتقدوا صحة ذلك وجوازه؛ كفروا وأشركوا بالله شركاً أكبر يخرج من الملة؛ يعني مثلاً إذا قال شخص الخمر حلال، وألزم الناس بشرب الخمر بعد أن ذكر لهم حله، هذا تحليل لما حرم الله تبارك وتعالى، من اعتقد صحة كلامه وانقاد له؛ فقد كفر كفرًا أكبر أشرك شركًا أكبر، ومن لم يطعه وقف مع النص فإن الخمر حرمه الله تبارك وتعالى كما في سورة المائدة.

أما إذا كان التحليل والتحريم استباحة عملية في المعاصي هذا كفر عملي كأن يستبيح شرب الخمر، لكن لا يجرؤ أن يقول هذا حلال، يشربُه ويأمر بشربِه، ولكن لا يقول إن شرب الخمر حلال، أو يقول أكل الخبز حرام، أو نحو ذلك مما هو مُجمع إما على تحليله فيُحرمه، أو على تحريمه فيُحله، لا يخلوا هذا التحليل والتحريم، إما أن يكون اعتقادًا غيبيًّا،

ويتابع عليه فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، وإما أن يكون استباحة عملية، كاستباحة الربا واستباحة الزنا عمليًا، واستباحة السرقة، وشرب الخمر؛ استباحة عملية، وليست استباحة اعتقاد؛ فهذا كفر عملي لا يخرج من ملة الإسلام.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً} [النساء: 60]

وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة: 11]

وقوله: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} [الأعراف: 56]

وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة: 50]

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة- وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة؛ فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه؛ فنَزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ}[الرعد: 30]" الآية.

وقيل: "نزلت في رجلين اختصما؛ فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر. فذكر له أحدهما القصة؛ فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله".

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب المعنْون بقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} [النساء: 60] الآية.

المناسبة بينه وبين كتاب التوحيد، أن التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والرضا بذلك، واعتقاد أنه جائز، أو ربما يقول بعضهم أحسن وأرحم؛ هذا ينافي أصل التوحيد وهو كفر أكبر مخرج من ملة الإسلام.

وفي قوله –عز وجل–: {أَلَمْ تَرَ} الاستفهام هنا للتعجب؛ يعني يأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام، وأُمَتهُ تبعًا له في ذلك الأمر، أن يتعجب الرسول وأتباعه من صنيع هؤلاء المنافقين؛ أنهم يزعمون ويدعون الإيمان، ثم مع ذلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت؛ يعنى يفضلون ويزعمون أن يكون تحاكمهم إلى الطاغوت، وهذا الكفر الأكبر بعينه؛ إذا عُرِضَ حكم الله وحكم رسوله عليه الصلاة والسلام، على الشخص ثم اختار أن يتحاكما إلى ما يتحاكم إليه أهل الجاهلية، أو ما يتحاكم إليه أهل الكفر؛ فضَّلَ ذلك على حكم الله وحكم رسوله؛ فإنه يكفر بذلك، كفرًا يخرج من الملة.

في قضية التحاكم والحكم بغير ما أنزل الله في الموضوع تفصيل؛ فمن حكم بغير ما أنزل الله، وهو يعتقد أنه مثلما أنزل الله؛ هذا كفر أكبر يخرج من ملة الإسلام؛ لأنه سوّى بين أحكام البشر، وبين حكم الله المعصوم.

ومن حكم بغير ما أنزل الله، وادّعى أنه مثلما أنزل الله، الأول ادّعى بأنه جائز، والثاني ادّعى بأنه مثل ما أنزل الله، وأن الحكم بما أنزل الله وبغير ما أنزل الله سواء؛ فهذا كفر أيضًا يخرج من ملة الإسلام.

ومن ادّعى بأن الحكم بغير ما أنزل الله أحسن وأرحم بالناس، من الحكم بما أنزل الله، فهذا أشد كفرًا، وإجرامًا؛ لأنه فضل كلام البشر، وأحكام البشر، وقوانين البشر، فضلها على حكم الله، وحكم رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن حكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أنّ حكم الله أوْلى بالإتباع، وأنه أحسنُ الأحكام، ومن عقد عنه فهو عاصٍ، استحق العقوبة، وسواء حكم في مسألة أو أكثر؛

فكفره كفر عملي لا يخرج من الملة، ولكن يطلق عليه الكفر العملي؛ الذي لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام.

قال: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} والطاغوت: -كما سبق معنا- اسم عام لكلِ ما تجاوزَ به العبدُ حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع، من معبود؛ أي: عُبد من دون الله -تبارك وتعالى-، أو عُبد مع الله، أو المتبُوع على الكفر والحكم بغير ما أنزل الله -عز وجل-، أو مُطاع يطيعه فيما حرم الله؛ أي: يُحل ما حرم الله ويُحرم ما أحل الله -عز وجل-، ومن عبد الطّاغوت وكما قال الله -عز وجل-: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [البقرة: 256] ومفهوم أن من لم يؤمن بالله وآمن بالطاغوت حكمًا وتحاكمًا وعملاً؛ فقد كفر بما أنزل الله -تبارك وتعالى-، نعم.

المتن:

وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة: 11]

وقوله: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} [الأعراف: 56]

الشرح:

هذا أسلوب المنافقين الذين قصّ الله -عز وجل- خبرهم وكفرهم الشنيع وهو أشد الكفر، كفر المنافقين لما فيه من التغطية على ما هم عليه من الكفر والبغض للإسلام والمسلمين، والكتاب والسنة ومن جاء بالكتاب والسنة، من عند الله -عز وجل-؛ فهؤلاء المنافقون لهم من الأساليب والحيل والتَقِية ما يعجز عنه الكفار الصرحاء، ومن جملة مقالاتهم: إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض بفساد الاعتقاد وفساد الأعمال والأقوال؛ قالوا: إنما نحن مصلحون، فالله يرد عليهم: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} [البقرة: 12] يدعون الصلاح أنهم أهله، والصلاح منهم، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام، وأصحابه ليسوا من أهل الصلاح والإصلاح؛ كما في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ}؛ أي: الرسول وأصحابه؛ قال الله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 13] وهكذا جاءت صِفاتهم، التي فُضِحوا بها في القرآن الكريم واضحةً جليةً؛ كما في سورة البقرة، وكما في سورة المنافقون، وكما في سورة التوبة، جاءت صفاتهم

واضحة، ولكن عاملهم النبي صلى الله عليه وسلم، معاملةً حكيمة شرعية، لم يقتلهم ويقاتلهم كما قاتل الكفار الصرحاء فقتل رجالهم وسلب نسائهم [وغواليهم] وأموالهم، والمنافقون شرًا منهم، وما ذلك إلا أنهم يزعمون إنهم أمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ويدعون بأنهم مسلمون، وأنهم مؤمنون، يصلون مع المصلين، ويجاهدون مع المجاهدين، وهم أخبثُ الناس قلوبًا وأفسد الناس عقائدًا وأعمالاً؛ فكف الرسول عنهم وعن قتالهم ولم يرخص فيه لأحد بحجة أنه لو قتل المنافقين وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، لادّعى الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، فيبتعدون عن الدخول في الإسلام، ويتهمون الإسلام بأنه دين جَوْر وقسوة؛ قال: لا تقاتلوهم؛ حتى لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه، ولكن نَكِل سرائرهم إلى الله، وعاملهم معاملة المسلمين الذين أظهروا إلى الإسلام، فهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، فصاروا من أخبثِ الناس والوعيد، ووعيدهم أشد الوعيد؛ فهم طبقات تحت الكفار عبدة الأصنام والأوثان؛ كما قال الله –عز وجل– عنهم: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء: 145] نعم.

المتن:

وقوله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة: 50]

الشرح:

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}، متعلقة بالقصة الذي قال نتحاكم اليهودي –أخبث الناس اليهود– من أجل مصلحته؛ قال: نتحاكم إلى محمد، وأنه لا يقبل الرشوة، والمنافق الخبيث الذي هو أخ لليهودي؛ قال: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف الذي هو طاغوت؛ فقال الله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة: 50].

حكم الجاهلية عبادة الطاغوت، والذي يختار ويرضي بحكم غير حكم الله، ويستبعد حكم الله ويَتَهِمَهُ؛ فكفره كفر أكبر مخرج من ملة الإسلام، على ما سبق تفصيله فيما مضي، فهو ذمٌ لهم، ذمٌ لمن أراد أن يرضي بحكم الجاهلية، وكان حكمهم حكم سواء لأهل البادية [وسُلُومَهم] وما اتفقوا عليه من قواعد الفساد، في الزنا كذا، وفي القتل كذا، وفي القتل كذا، ولم يرضوا بشرع الله في هذه الجرائم، فهؤلاء رضوا بذلك، وفضلوها على حكم الله، وحكم

رسوله فهم كفار، من مات على ذلك مات على الكفر الأكبر، واستحق الخلود؛ بل وخلده الله في النار ولا حظ له في رحمة الله، نعم.

المتن:

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به)).

الشرح:

نعم. لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، فمن كان يهوى الإتباع إتباع الكتاب والسنة؛ فهو كامل الإيمان، ومن كان عنده نقص؛ فهو مؤمن بما معه من الإيمان وفاسق بما معه من الفسق أو ارتكاب الموبقات، والمقصود أنّ من كانت نيته وعزيمته وهمته، أن يتابع الرسول عليه الصلاة والسلام، فيما جاء به من عند الله؛ فهذا كامل الإيمان، ومن كان دون ذلك أو غير ذلك، فإما أن يكون معتقدًا غير ما عليه الرسول عليه الصلاة والسلام من الدين؛ فهو كفر أكبر، ليس من أهل الإسلام في شيء، وإن كان عنده نقص، إما في تأدية واجب أو ارتكاب بعض المحرمات، التي لا يكفر بها؛ فهو ناقص الإيمان الواجب، نعم.

المتن:

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جُهينة، فيتحاكما إليه ، فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما؛ فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم، أكذلك؟ قال: نعم؛ فضربه بالسيف فقتله.

الشرح:

هذا بيان لسبب نزول الآية {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} [النساء: 60]؛ أي: بالطّاغوت، فسواءً القصة التحاكم إلى كعب بن الأشرف، أو إلى الرسول، أو التحاكم إلى الطّاغوت؛ فالمعنى واحد، كعب بن الأشرف طاغوت، والطّاغوت: اسم عام لكل ما تجاوز به العبد حدُه من معبُود أو متبُوع أو مُطاع، وسواءً هذا السبب أو غيره، وقد تنزل الآية لأكثر من سبب، يكون مثلاً للآية سبب نزول أو سببين؛ فينزل الله -تبارك وتعالى- في ذلك قرآنًا، وفي الأثر هذا بيان على أن الذّين تحاكموا إلى الطّاغوت، وصارت قصّتهم سببًا في نزول الآيات؛ أنهم كفروا كفرًا أكبر، ولولا ذلك ما أقدم عمر بن الخطاب على قتل الذي أراد أن يتحاكم إلى الطاغوت، وما قتلهُ إلاّ أنّه على يقين بأن كفره كفر أكبر.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد:30]

وفي صحيح البخاري: قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: ((أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات؛ استنكارًا لذلك؛ فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه؟)) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك؛ فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ}. [الرعد:30]

الشرح:

بابُ من جَحد شيئًا من الأسماء والصفات؛ المناسبة بين هذا الباب -بابُ من جحد شيئًا من الأسماء والصفات- المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد: أنَّ [من] جحد شيئًا من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى مما ثبت في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة؛ فإنه أتى بما يناقضُ أصل التوحيد؛ لأنه كذّب القرآن بجحده، ومن كذّب القرآن فقد كفر، وكفرهُ أكبر مخرج من الملة، وذلك بعد أن بُيِّنَ له في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة، فقد يكون بعض الناس جاهلاً بهذا الباب؛ باب الأسماء والصفات، قد يكون جاهلاً بهذا الباب وما فيه من المعاني فيُبَيَّنُ له الحق بدليله وبعد ذلك، إن اعترف وآمن به فهو من أهل الإسلام ومن أهل التوحيد، وإن جحد بعد ذلك بعد البيان؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، هذه هي المناسبة بين من جحد بشيء من أسماء الله وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة وبين كتاب التوحيد؛ لأن الإيمان بالأسماء والصفات توحيد؛ فمن جحدهُ فقد أتى بما

ينافي أصل التوحيد، والمنحرفون في هذا الباب -باب الأسماء والصفات- فِرق متعددة، بعضها أخبثُ من بعض، وأشدُ جرمًا من بعض؛ فتجدُ من الفرق الجهمية المعطلة، هؤلاء الجهمية أهلُ التعطيل الكلي لم يثبتوا لله اسمًا ولا صفة، وهذا تشبيه له بالعدم، الله -سبحانه وتعالى- أخبرنا في القرآن، عن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكلها حق وكلها نصوص محكمات، لا يدخلها نسخٌ وليست من المتشابه، فعندما تتلوا قول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] أثبت الله عز وجل لذاته السمع والبصر، فسمّى نفسهُ سميعًا بصيرًا، وهما من صفات الذات، السميع: دلّ على إثبات صفة السمع، والبصير: دلّ على إثبات صفة البصر، (..) على أن لله -تبارك وتعالى- أسماء حسنى وصفات على، منها السميع والبصير، ومنها العليم والحكيم والغفور والرحيم والحكيم وغيرها مما جاء ذكره في القرآن الكريم في ثنايا السور أو في آخر السور، أو في بداية السور.

ويلي الجهمية المعتزلة، فرقة من الفرق الضالة، الذين قالوا بخلق القرآن، وقالوا إنه ليس لله صفة وإنما لهُ الأسماء مجردة عن الصفات، وهذا قول باطل؛ لأن الأسماء دالة على الصفات، وأسماء الله صفات وأعلام، فالعلاقة قائمة بين الاسم والصفة، الاسم مشتقّ من الصفة، ودال على الصفة، إما بالمطابقة وإما بالتضمّن وإما بالالتزام، المطابقة حاصلة بين الاسم وبيان صفة وبين الموصوف بالصفات وهو الله -تبارك وتعالى-، وهذه الفرقة الضالة قالوا إنّ الله ليس له صفات، فكذّبوا القرآن الكريم؛ لأنَّ الصفات جاءت في القرآن وجاءت في السّنة، ولما قال رجل يصلّي بالنّاس في عهد النّبوة ويختم صلاته قراءته بـ "قل هو الله أحد"؛ فشكاه قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على أنّه دائمًا وأبدًا يختم لهم القراءة بهذه السورة "قل هو الله أحد"؛ فأُتِيَ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما حملك على ذلك؟ قال: لأن فيها صفة الرّحمن، أو قال: لأنها صفة الرّحمن؛ فصرّح بالصفة، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، والسّنة إما قول أو فعل أو تقرير، فإقرار النبي عليه الصلاة والسلام للرجل يعتبر من السنة، أو قال في رواية: إنّي أحبها؛ فقال: حبّك إيّاها أدخلك الجنّة، وهذا إذا قرأ المصلّي، وختم قراءته بـ "قل هو الله أحد"، لا يجوز لأحد أن ينكر عليه؛ لأنها سنّة أقرها النبي صلى الله عليه وسلم، فالمعتزلة قالوا نؤمن بأن لله أسماء، ولكن مجردة من المعاني، فإذا أَتوَْا يفسرون السميع البصير العليم ..، قالوا بذاته، سميع بذاته وبصير بذاته،

وعليم بذاته، يعني معناه أن هذه الأسماء الحسنى لا تدل على صفات، وليست مشتقة من الصفات، وذلك لفرط جهلهم، وأنهم لم يتعلموا من أئمة العلم الشرعيين من التابعين ومن أتباع التابعين ومن الأئمة الذين جاؤوا سالكين على منوال من سبقهم من أئمة السلف.

وتأتي الفرق أخرى كالأشاعرة، والماتريدية، والكُلاّبية، فرق اشتهرت وأخطأت في باب الأسماء والصفات، وخطأهم متفاوت، أشنعهم خطأ الجهمية، والمعتزلة، وهؤلاء أخطئوا الأشاعرة، أثبتوا لله سبع صفات وأولوا بقية الصفات تأويلاً باطلاً، لا يُقره شرع ولا لغة، قالوا هذه السبع، التي منها الحياة والكلام والإرادة والمشيئة والسمع والبصر، قالوا هذه يُقرِها العقل؛ يعني ثابتة عقلاً، ثبتت للعقل، وتركوا النقل؛ لأن من قواعدهم أنّ إذا تعارض النقل والعقل، قُدم العقل على النقل، وهذا لفرط جهلهم، وإلا فالنقل هو الحاكم دائمًا، والمراد به الكتاب والسنّة، هذا هو النقل ويُقال له دليل سمعي ودليل شرعي، والعقل هو ما فكر فيه الناس، فرَأوْا بعقولهم كذا وكذا، أصابوا أم أخطئوا، فمن الأخطاء الشنيعة التي ارتكبوها تقديم العقل على النقل، فما أثبته العقل في زعمهم ثبت، وما نفاه العقل ولو أثبته النقل؛ فهو خطأ يؤول تأويلاً باطلاً، وسببُ ذلك هو الجهل بنصوص الكتاب والسنة في هذا الباب.

وباب الأسماء والصفات، هو دليل على توحيد الألوهية؛ كما أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية، فما تم توحيد أحد حتى يؤمن بأسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بعظمة الله وجلالته، إذا ثبت معها أن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، ومعنى التلازم فيها أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يستلزم توحيد الألوهية، فهي متلازمة لا ينفكُ واحد عن الآخر، ولا يتم توحيد عبد إلاَّ بأن يؤمن بأنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، الذي هو توحيد المعرفة والإثبات، وهَدى الله أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ باب الأسماء والصفات؛ فعرفوه بأدلة الشرع؛ الكتاب والسنة، عقلوا المعنى، ووحدوا الله تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته، على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه في القرآن، وما أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم في السنة، إثباتًا بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف، وبدون تحريف ولا تحريف ولا تعطيل؛ بل كما علمنا الله في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

وعندما تتفق أسماء المخلوقات، أسماء بعض المخلوقات، وأسماء الله -تبارك وتعالى-، أو صفات بعض المخلوقات وصفات الباري -سبحانه وتعالى-؛ فإنه لا يلزم من هذا الاتفاق، لا يلزم المماثلة ولا المشابهة بين أسماء الخالق وأسماء المخلوقات، ولا بين صفات الخالق وصفات بعض خلقه، لا يلزم التساوي والتماثل والتشابه؛ بل نفى الله ذلك في جملةٍ واحدة؛ في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وأثبت له صفات الكمال، أسماء وصفات أثبتها في جملة واحدة؛ وهي: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وبقية الأسماء والصفات يُقال فيها ما يُقال، في السميع والبصير.

كيف فسر السلف وأتباعهم السميع البصير؟ قالوا السميع اسم لله [قديم] دلّ على صفة ذاتية، دلّ على صفة السمع الذاتية التي تليق بعظمة الله وجلاله، والبصير كذلك، اسم قديم لله، دلّ على إثبات صفة ذاتية لله عز وجل، وهي صفة البصر، إذًا فهو يُبْصر جميع مخلوقاته بالبصر، ولا يلزم من تسميته لنفسه سميعًا بصيرًا، وسمى بعض خلقه سميعًا بصيرًا؛ كما في قوله في خلق الإنسان: {فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: 2] فسمعُ الخالق وبصُرهُ من صفات الكمال والجلال؛ كما قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، وسمع المخلوق وبصر المخلوق، يليق بحاله فقد كان مسبوقًا بالعدم، لا ذات ولا اسم ولا صفة؛ حتى أنشأ الله -عز وجل- الخلائق، ومنحها ما منحها من الصفات، أعطى كل خلق ما يناسبهم من الصفات، من أكبر مخلوق إلى أصغر مخلوق، ذرات تمشي على وجه الأرض لها سمع وبصر، وهى لا تتفق الذرات مع بني آدم من حيث الكمال وهكذا أكبر المخلوقات، لا تساوي صفاته صفات الباري -تبارك وتعالى-.

إذًا الكمال كمال الأسماء والصفات لله وحده، وما كان من الأسماء والصفات تتفق مع أسماء الله وصفاته فهي تليق بحال أصحابها من المخلوقات سُبقت بالعدم ويأتي عليها الفناء والعطب، بخلاف صفات الله عز وجل فإنها كاملة لكماله، لائقة بعظمته وجلاله.

ومن هنا وجب تحقيق التوحيد، توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية الذي هو فعل الله -تبارك وتعالى-، وتوحيد الأسماء والصفات التي جاءت في محكمات الآيات وصحيح الأحاديث، والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد: 30]

وفي صحيح البخاري: قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: ((أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات؛ استنكارًا لذلك؛ فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند مُحْكَمِهِ، ويهلكون عند مُتَشَابِهِهِ؟)) انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك؛ فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد: 30]

الشرح:

عرفنا فيما مضي المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد، وهي إنّ جحد شيء من الأسماء والصفات، إما أن يكون كفرًا، إما أن يكون كفرًا أكبر، ينافي أصل التوحيد، أو يكون من الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد، إذا كان على سبيل التأويل، في بعض الصفات، بعض العلماء أوّل تأويلاً بغير معناها، فيكون تأويله هذا مبني على فهمه الخاطئ، وهو غير قاصد جحد الاسم ولا الصفة، فإنما نشأ على طريقة أهل التأويل المذموم؛ فأوّل بعض الصفات فيكون بهذا ينقص إيمَانه؛ لأن ذلك من المعاصي، فيكون من باب الشرك الأصغر، أما جحْدُها كالمعطلة، والمعتزلة الذين جحدوا أسماء الله وصفاته، غلاة الجهمية المعطلة، لا يثبتون لله اسمًا ولا صفة، وهؤلاء فعلهم هذا ومعتقدهم ينافي أصل التوحيد إن كان عندهم توحيد قبل ذلك، والمعتزلة أنكرت الصفات كلها مع أشياء ثابتة بنصوص

الكتاب والسنة؛ كالشفاعة، ونعيم القبر وعذابه، والقول بخلق القرآن، هذه عقائد المعتزلة؛ فهؤلاء أتَوْا بما ينافي أصل التوحيد.

وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله الأسماء الحسنى والصفات العلى، صفاتًا بلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، وتنزيها بلا تعطيل؛ بل أثبتوا لله ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفوا عنه ما لا يليق بجلاله، كصفات النقص، وصفات السلب، التي يسمونها الصفات السلبية.

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يجب إثباته، وينفون عن الله -تبارك وتعالى- صفات النقص والعيب التي لا تليق بعظمته وجلاله، ومشوا على هذه الطريقة في جميع الباب، باب الأسماء والصفات، أثبتوا كل اسم كريم وكل صفة من صفات الله الجليلة على ما يليق بعظمة الله وجلاله، وسواءً في ذلك الصفات الذاتية أو الصفات الفعلية أو الصفات الخبرية؛ كلها ثابتة لله، وتوحيد من أثبتها هو الموَحد، ومن جحدها ونفاها فهو المِشرك الذي أشرك بالله تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته، نعم.

المتن:

وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد: 30]

الشرح:

والمراد به المشركون؛ لأنهم لا يؤمنون باسم الرحمن، ولا يصدّقون بأنّ الله هو صاحب الرّحمة العامة والخاصة؛ لذا لمّا كتب النبي صلى الله عليه وسلم، كتب "بسم الله الرحمن الرحيم" قالوا لا نعرف ما الرحمن ولكن اكتب باسمك اللهم، ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، قالوا لو نعلم أنّك رسول الله ما قاتلناك ولا صددناك عن البيت؛ فاكتب اسمك واسم أبيك؛ فأنزل الله فيهم {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد: 30] ورد عليهم بقوله: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء: 110].

فبين الله -عز وجل- وردّ معتقدهم الفاسد، وبيّن أنّ له الأسماء الحسنى وأنّ من أسمائه الرحمن، وللرحمن مَزِيَة وخصيصة من الخصائص، وهو أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بهذا الاسم، اسم الرحمن، بينما تجد أنه يجوز أن يسمى إنسان نفسه الحكيم، ويسمى عليم، ويسمى رحيم، هذه اشترك فيها أسماء الباري وأسماء خلقه، لا حرج، أسماء الباري تليق

بجلالته وعظمته، وأسماء الخلق تليق بأحوالهم وضعفهم، بينما الرحمن لا يجوز لأحد أن يتسمّى به أبدًا، ثم هو دال على إثبات صفة الرحمة العامة، التي يندرج تحتها جميع مخلوقات الأرض والسماء لعموم معناها، يرَحِمَهُمْ؛ أي: رَحمهَم بالإيجاد، ورَحمهَم بالعقول، تسوية الخلقة والفهوم والأرزاق والأولاد والأمن والاستقرار لكل برٍ وفاجر؛ لذا ما يُقال في اسم واحد أو صفة واحدة من أسماء الله صفاته يجب أن يُقال في بقية الأسماء والصفات، ويُقال في أسمائه بأنها الحسنى؛ أي: كلها حسنة، ويُقال في صفاته صفات كمال وجلال؛ أي: كلها صفات كمال وجلال عظيمة، لا يشبهها شيء من صفات الله، إلا في المطلق الكلي؛ أي: في الاسم، وأما الحقائق فهي مختلفة حقائق وأسماء الله وصفاته تليق بجلاله، وأسماء وصفات المخلوقين تليق بأحوالهم، نعم.

المتن:

وفي صحيح البخاري: قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟

الشرح:

نعم وهذه في الحقيقة فائدة عظيمة ينبغي أن يتخذ منها مُعلِّمُ الناس الفائدة، والقدوة وهو أن يُحدث الناس بما يعرفون، فلا ينبغي للمعلم أو للخطيب أو الواعظ أو المحدث أن يحدث قومًا بحديث لا تطيقه عقولهم ولا يدركونه بفهومهم، ولكن يحرص أن يحدثهم بحسب مستواهم العلمي، فيضع كل حديث لمن يناسبه، فإن لم يفعل صار فتنة لبعضهم، يعنى مثلاً طلاب العلم المبتدئين، إذا حدّثهم لا تحدثهم مثلما تحدث العلماء المبرزين أو الأقران، وإنما تحدثهم بما تعتقد بأنهم يفهمونه ويعرفون معناه، ويستفيدون منه، ولا تحلِّق بهم في الأحكام العظيمة، الدقيقة، حتى تكون فتنة لبعضهم فيأثم المعلم؛ لذا قال على -رضي الله عنه-: "حدثوا الناس بما يعرفون"؛ أي: بقدر عقولهم الذي تحتمله عقولهم وتعيه قلوبهم وينتفعون به؛ كذلك بالأسهل، ثم يترقى معهم بحسب مستواهم؛ لهذا جاء في وصف الربانيين، ولكن كونوا ربانيين؛ يقول: لأنهم يربون الناس بتعليمهم صغار العلم قبل كباره، يعنى يبدؤون معهم بما تطيقه عقولهم وتعيه قلوبهم ويفهمون معانيه؛ فيستفيدون وينتفعون.

والأثر هذا إدخاله في هذا الباب؛ لأن الناس الذين قل نصيبهم من العلم، إذا حدثتهم بتفاصيل ما قاله أئمة العلم في باب الأسماء والصفات بتفاصيله قبل أن يعرفوا ما فيه من أحكام ومعاني، ولو علي سبيل المثال صار لبعضهم فتنة، بمعنى أنه يستغرب ويستنكر ما يسمعه من التفاصيل والردود على أهل التعطيل، ومذهب أهل السنة بالتفصيل، لا تتحمله عقول العوام، أو صغار الطلبة، لكن تُبين لهم بالتدرج حتى يصلوا إلى مقامات التفصيل، وهكذا يكون البناء على أسس متينة، سواء لعوام الناس الكبار من ذكور أو إناث، أو طلاب العلم الصغار الذين في المراحل الأولى لا يؤتى لهم بالتفاصيل في باب الأسماء والصفات التي لا يحمل معانيها ويعقلها إلا العلماء والعقلاء من الناس، نعم.

المتن:

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: ((أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات؛ استنكارًا لذلك؛ فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند مُحْكَمِهِ، ويهلكون عند مُتَشَابِهِهِ؟)) انتهى.

الشرح:

سبب الانتفاضة عدم فهم المعنى، سمع نصًا من نصوص أسماء الله وصفاته، وليس له بها علم فخاف واقشعر جلده وانتفض خوفًا بسبب عدم معرفته بمعنى الصفة التي جاء ذكرها في النص لله -تبارك وتعالى-، وجاء هذا القول، قول ابن عباس ما فَرَقُ هؤلاء؟ يعني ما سبب خوف هؤلاء؟ يجدون رقة؛ لينًا في قلوبهم وطمأنينة عند محكم القرآن، والمحكم: ما كان واضح المعنى، "ويهلكون عند متشابهه"؛ أي: متشابه القرآن، الذي لم يدرك معناه في من قل نصيبه من العلم، ولا يعرفه إلا طلاب العلم الأقوياء.

وبمناسبة ذكر المحكم والمتشابه من القرآن، المحكم كما ذكره الأصوليون، أنه على قسمين: إحكام عام، وإحكام خاص، فالإحكام العام القرآن كله محكم؛ بمعنى: أنه أحكمت آياته ثم فصلت، وأنه من فاتحة القرآن إلى خاتمته يعتبر محكمًا أي واضح معناه، واضح المعنى إما واضح للجميع وإما واضح لأهل العلم، فما خفي على بعض الناس في القرآن، لا يكون خافيًا على جميع الناس؛ لأنه محكم؛ أي: واضح الحلال والحرام والأحكام،

وكل ما جاء فيه فهو واضح، والمحكم الخاص، ما كان واضح المعنى، لطلبة العلم الأقوياء، وللعلماء الكبار أيضًا عندهم أوضح، فيكون التشابه نسبي، التشابه على قسمين: تشابه عام بمعنى أن القرآن كله متشابه؛ أي: يشبه بعضه بعضًا في الجودة والكمال والبيان وذكر الأحكام وتأييد بعضه لبعض، ولا يمكن أن يناقض بعضه بعضًا، إنما كان من قبيل المنسوخ، فهذا فيه رحمة للناس، الناسخ والمنسوخ.

والمتشابه العام، والمتشابه الخاص، القسم الثاني هو الذي يتضح معاني القرآن لبعض الناس، وتشكل بعض القرآن على بعض الناس، فالناس ليسوا سواء في العلم، فبعض الآيات واضحة للجميع، وبعض الآيات يعرف تفسيرها العلماء، ويعجز عن تفسيرها من قل نصيبه من العلم؛ فيسألوا من كان أعلم منه، كما كان هدى الصحابة، يسألوا بعضهم بعضا عما أشكل، وهذا يسمى تشابه خاص، أي إذا كان متشابه المعنى غير واضح المعنى عند قوم فهو واضح عند قوم، كما جاء في القراءة الثانية كما جاء في قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}؛ أي: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله تبارك وتعالى والراسخون في العلم كذلك يعلمون تأويل المتشابه فما بقي في القرآن شيء لا يعرف معناه، ولكن لا يعرفه جميع الناس، وإنما المعرفة تتفاوت بحسب تفاوتهم، وإدراكهم وتحصيلهم للعلم.

الشريط الثالث عشر
فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

الشرح:

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي -حفظه الله-

{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمِ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران:7]؛ أي: ما تشابه من القرآن, فمثل هؤلاء الذين وجدوا ردة عند محكمه وهلكوا عند متشابهه؛ لأنه لم تبلغه عقولهم؛ لهذا يقال ملاحظة المتعلمين يلاحظهم المعلم والمتحدث والفقيه والخطيب الواعظ, ويحدثهم على قدر مستوياتهم, حتى لا يقعوا في جحد شيء من أسماء الله وصفاته, أو خطأ في القرآن الكريم فيأثمون ولا يؤجرون. نعم.

المتن:

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر: {الرَّحْمَـنِ} أنكروا ذلك؛ فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد:30] .

الشرح:

نعم؛ لأنهم لم يعرفوا الرحمن إلا رحمن اليمامة, فعندما كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر الرحمن: {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى} [الإسراء:110]

فهم لم يؤمنوا بهذا الاسم العظيم لله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَـنِ} فكفروا به فصاروا كفارًا بإنكار اسم الرحمة؛ لذا من أنكر اسمًا من أسماء الله أو صفة من صفاته جحدها وقد وردت في القرآن أو السنة, وأقيمت عليه الحجة؛ فهو كافر كفر ينقله من ملة الإسلام إن كان قبل ذلك مسلمًا.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) [النحل : 83]

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: ((وأن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..)) الحديث، وقد تقدم، وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد هي: أن إضافة النعم إلى غير الله -تبارك وتعالى- هذا كفر نعمة, ويسمى الكفر الأصغر, إسناد النعم وإضافتها إلى غير الله من كفر النعمة التي ينافي كمال التوحيد, وقد ينافي أصل التوحيد إذا أُسنِدَتْ النعمة إلى غير الله, أُسند إيجادها وحصولها إلى غير الله؛ كالاستسقاء بالأنواء التي يعتقدون فيها أنها تتصرف بطبعها, فمن اعتقد أن النعمة يسديها غير الله -تبارك وتعالى- بتصرفه وتحكمه؛ فهو كافر كفر مخرج من الملة؛ لأنه اعتقد شريكًا مع الله -تبارك وتعالى-, ومن أضاف النعمة إلى غير الله إضافة بدون هذا الاعتقاد؛ فهو كفر أصغر ويسمى بكفر النعمة, والواجب أن الواجب على المكلف أن يعتقد أن كل نعمة دينية أو دنيوية, أنها من عند الله -تبارك وتعالى- وحده دون سواه, ولا يجوز له أن يشرك مع ربه في النعمة أحدًا.

فإذا اعتقد الإنسان بأن المال الذي معه أو الولد أو المنصب والجاه, أن فلانًا هو الذي تسبب فيه وفي إيجاده, ولم يسند يضف هذه النعمة إلى الله -تبارك وتعالى-؛ وقع في كفر النعمة, لكن إذا كان المخلوق أو السبب تبعًا لله -تبارك وتعالى- في ذلك؛ بحيث يقول: هذا من فضل الله ثم بتسبب آبائي في إيجاد المال, هذا بفضل الله ثم بتسبب فلان؛ هذا لاشيء فيه؛ لأنه أضاف النعمة إلى الله -عز وجل-, واعتبر فلانًا سببًا فيها, فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن, بخلاف الخلق, ما شاء الخلق لم يكن إلا أن يشاء الله -تبارك وتعالى-.

فذكر عن المفسرين أمثلة بالمال؛ كمن يقول: هذا مالي ورثته عن آبائي, ولم يسند نعمة المال إلى الله وإنما أسندها إلى نفسه والآباء؛ وقع في كفر النعمة، وإذا قال: هذا بدعاء آلهتنا, كذلك وقع في كفر النعمة، ومن رأى أنه بجده واجتهاده, فذلك كفر النعمة؛ لأن النعم كلها الدينية والدنيوية إنما هي بمحض فضل الله -تبارك وتعالى- ورحمته, وأشرف النعم على الإطلاق نعمة الإسلام التي هدى الله -عز وجل- لها من هدى من الأمم عبر تاريخ تتابع الأمم, تتابع الرسل فأعظم نعمة يتمتع بها المكلف أن يشرح الله صدره للإسلام والإيمان والإحسان, وما أتاه من الدنيا يكفي ولن يضيعه الله -تبارك وتعالى-, ثم نعمة التوسع في العلم الشرعي من أكبر النعم وخير النعم, لما في العلم من تحقيق المصالح؛ المصالح الذاتية والمصالح المتعدية إلى الخلق؛ فلا تصلح أمة من الأمم إلا بعلمائها, ولا يصلح مجتمع من المجتمعات إلا بأن يكون فيه من أهل العلم من يوفقه الله ويشرح صدره للعلم وتحصيله ونشره, يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة, وهو أعظم نعمة وأغلى ما بُذلت فيه الجهود والقوى ليلاً ونهارًا, لما له من الشرف والفضل، ولما يترتب عليه من الرفعة من الله -عز وجل- لأهله وكثرة الأجر؛ لأن من استفاد من علمك وانتفع به فلك مثل أجره, وهو من القربات التي يبقى نفعها جاريًا وأجرها باقيًا لصاحبه بعد الممات, وإلى يوم القيامة, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا مات ابن آدم انقطع علمه إلا من ثلاث: صدقة جارية, أو علم ينتفع به, أو ولد صالح يدعو له)).

فالمقصود أن النعم الدينية والدنيوية يجب أن يعتقد العبد اعتقادًا جازمًا أنها من عند الله وحده دون سواه, وما كان للخلق من يد فيها, إنما هو سبب من الأسباب, إن شاء الله فتح على يديه وإن شاء لم يفتح على يديه.

لذا لا يجوز أن يعلق العبد قلبه إذا أتاه الله نعمة توسط فيها فلان, لا يجوز أن يعلق قلبه بفلان؛ بل يجب أن يعلق قلبه بالله -تبارك وتعالى-؛ لأنه هو المنعم وغيره لا يقدر, ولا يملك من الأمور شيئًا, إلا ما أقدره الله -تبارك وتعالى- عليه؛ لذا وجب شكر الله على نعمه الدينية والدنيوية, ولا يجوز كتم النعمة إذا أنعم الله عليك بمال أو علم أو جاه؛ فاشكر ربك عليه, وحدث بنعمة الله عليك لتكون شاكرًا ممتثلاً قول الله –تعالى-: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}, تحدث من أي الشكر لله -عز وجل- لا لأجل الافتخار أو الممارة أو الترفع أو ما شاكل ذلك مما لا يجوز للمسلم أن يقع فيه؛ لذا من أركان النعمة :

1) أن يؤمن العبد بأنها من عند الله وحده دون سواه.

2) أن يضيفها إلى الله -تبارك وتعالى-.

3) أن يشكر الله -تبارك وتعالى- عليها ولا يكفرها.
وشكر الله يكون بالقول ويكون بالعمل, حتى يكون العبد شاكرًا لله, عاملاً بأوامره, مجتنبًا نواهيه, يستحي من الله أن يبارزه بالمعصية أو التقصير في الطاعة, يعتبر شاكرًا لله وهكذا بلسانه, وهو بنعم الله على العبد.
نعم

المتن:

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه ((وإن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..)) الحديث، وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

الشرح:

صحيح تقدم معنا أن النبي صلى الله عليه وسلم على إثر مطر بالليل, أوحي إليه؛ فقال لأصحابه لما أصبحوا: ((قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر, فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته, فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب)) وهذا من شكر النعمة مطرنا بفضل الله ورحمته, ولم يقل بنجم كذا ولا بمنزلة كذا ((وأما من قال مطرنا بنوء
كذا وكذا ـ أي بطلوع هذا النجم من مكان كذا وكذا ـ من قال مطرنا بنوء كذا وكذا, فهو كافر بي مؤمن بالكوكب)), والواجب هو إسناد النعم إلى الله -تبارك وتعالى- ظاهرًا وباطنًا حتى يحقق الإنسان توحيده, وحتى يبرأ من الشرك وذرائعه ووسائله.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:22] .

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم.

وعن ابن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا".

وعن حذيفة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره : أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك؛ قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

الشرح:

الباب هذا مناسبته ظاهرة وذلك أن جعل شريكًا مع الله -تبارك وتعالى- في النعمة أو قضاء الحاجة من الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد, وقد يكون من الألفاظ التي جاءت في هذا الباب ما ينافي أصل التوحيد؛ فيكون من الشرك الأكبر.

ففي قوله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} [البقرة:22] هذا النهي "أندادًا" نكرة في سياق النهي؛ فالأنداد تطلق ويُراد بها الشرك الأكبر, وتطلق ويُراد بها الشرك الأصغر, فعبادة الأوثان التي جُعِلَت شركاء مع الله في العبادة, الأصنام والأوثان على اختلاف أنواعها؛ تسمى أندادًا, وعبادها يسوون بها الله -تبارك تعالى- في التعظيم, فهنا الشرك
أكبر وليس أصغر؛ لذا نهى الله هذا النهي العام الذي يندرج تحته الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

والأنداد: جمع ند, والمراد به النظير والشبيه والمثيل.

فنهى الله الأمة أن تجعل لله نظيرًا أو شريكًا تصرف له شيئًا من أنواع العبادات أو شيئًا من التعظيم كتعظيمه, أما ما جرى على ألسنة الناس بدون قصد التعظيم؛ فهو من باب الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله؛ والحلف بالأمانة، والحلف بالآباء، والحياة والكعبة والشرف، ونحو ذلك كل هذا من قبيل الشرك الأصغر, ويمكن أن يكون من قبيل الشرك الأكبر, إذا عَظَّمَ الحالف المحلوف كتعظيمه لله أو أكثر, وهذا يحصل من الغلاة من عباد القبور؛ فإنهم يعظمون معبوداتهم أكثر من تعظيمهم الله؛ حتى إنه يقال إذا قلت لأحدهم: احلف بالله على أمر من الأمور وهو فيه كاذب؛ تجرأ وحلف, وإذا قلت له احلف بفلان -صاحب الضريح- وهو كاذب لا يستطيع أن يحلف؛ لأنه يعتبر أنه إذا حلف فسينتقم منه صاحب الضريح في العاجل القريب, تجده يسبح ويعظم صاحب الضريح أكثر من تعظيمهم لله! فيقدر أن يحلف بالله كاذبًا ظالمًا, ولكن لا يحلف بفلان صاحب الضريح الولي, لا يحلف به وهو كاذب, لا يقدر, خوف الانتقام! والشاهد من هذا, أن الشرك الأصغر في هذه الألفاظ قد يتحول إلى أكبر, وذلك في النظر إلى ما يكون بقلب الحالف من تعظيم المحلوف به كتعظيمه لله, فهذا هو الند؛ المساواة أو أكثر كتعظيمه تعظيمًا أكثر من تعظيمه لله -تبارك وتعالى- فيكون أشد جرمًا عندما يعظم المخلوق أكثر من تعظيم الخالق, كما يفعله من فرغت قلوبهم من خشية الله وتعظيم الله -تبارك وتعالى- وتقديره حق قدره. نعم.

المتن:

قول الله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:22]

الشرح:

وأنتم تعلمون أنه ليس شبيه ولا نظير ولا ند, لا في الخلق ولا في القدرة ولا في التعظيم, وإنما شأن الله -تبارك وتعالى- أعظم من جميع مخلوقاته ولا نسبة. نعم.

المتن:

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كُلَيْبَة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم.

الشرح:

هذا تفسير لابن عباس, هذا التفسير للشرك الخفي, لقوله: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} [البقرة:22] فسره بالشرك الخفي, الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء في ظلمة الليل الأسود, وهو كما سلف معنا, أن هذه الآية تتناول الشرك الأكبر والشرك الأصغر والشرك الخفي, بحسب ما يكون بقلب الحالف والمُخبر, فإذا قال: وحياتي لأفعلن كذا وكذا, هذا يعتبرونه من الشرك الأصغر؛ لأنه مما جرت عادة الناس به, وهذا كثير في الأوساط الذين ما عرفوا التوحيد ولا حققوه.

والذي يقول: وحياتي, يحلف بحياته؛ يدخل تحت قوله: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} [البقرة:22], وتحت قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)), وهذا حلف بالحياة, والمراد به الكفر الأصغر والشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة, إلا إذا عظمه تعظيمًا كتعظيمه لله أو أكثر, فإنه يعتبر شرك وكفر مخرجان من الملة.

وأما: لولا فلان لحصل كذا, كذلك من الشرك الأصغر؛ لأنه أضاف نعمة السلامة, نعمة دفع المكروه أضافه إلى فلان ولم يضفه إلى الله -تبارك وتعالى- الذي يستحق أن يُعظَّم ويُقدَّر؛ لأن الأمور بيده.

فإذا قال: لولا الله ثم فلان, فإن "ثم" من حيث المعنى تختلف عن "الواو", فالواو في اللغة العربية تقتضي المشاركة والتسوية مع العطف و"ثم" تقتضي الترتيب والتراخي, فكأنه رتب مشيئة المخلوق على مشيئة الله -تبارك وتعالى- فيكون هذا لا حرج فيه إذا قال ما شاء الله ثم شئت يا فلان.

أو يقول مثلاً: لولا الله ثم فلان, لا حرج في ذلك, فهو من الأمور الجائزة.

أما إذا أراد أن يبتعد عن ذريعة الشرك, فإنه يقول لولا الله لحصل كذا أو ما حصل كذا, ولم يأت بفلان لا بـ"الواو" ولا بـ"ثم"؛ يقول: لولا الله لكان كذا وكذا, هذا أكمل, والبديل: لولا الله ثم فلان, جائز، يعتبر بديلاً عن الحرف الذي يكون به الإنسان مشركًا شركًا أصغر, وهو "الواو"؛ فإذا قال: لولا الله وفلان؛ وقع في الشرك.

إذا قال: لولا الله ثم فلان؛ خرج من الشرك الأصغر والأكبر.

إذا قال: لولا الله؛ فهذا أكمل وأتم وأبعد عن الشرك ووسائله. نعم.

المتن:

وعن ابن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

الشرح:

نعم من حلف بغير الله, حلف بالنبي أو بالكعبة أو بحياته أو بحياة أبيه أو بجاهه, حلف بغير الله؛ فقد وقع في الشرك الأصغر.

وقال العلماء: الشرك الأصغر لا الأكبر؛ لأنه جار على ألسنة الناس ولا يقصدون منه التعظيم, فإذا قصدوا تعظيم المحلوف به, فقد وقعوا في الشرك الأكبر, تعظيمه كتعظيم الله أو أكثر من تعظيم -الله تبارك وتعالى-؛ فقد وقع الحالف في الشرك الأكبر؛ لذا التحذير عام, من الشرك الأكبر والشرك الأصغر, والحلف بغير الله؛ بالأمانة بالكعبة بالشرف؛ كل ذلك لا يجوز؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **((من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت))** نعم.

المتن:

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أحلف بغيره صادقًا".

الشرح:

الحلف بالله كاذبًا حرام وإثم ومعصية, وصاحبها تحت مشيئة الله -عز وجل- وتكفرها التوبة. والحلف بغير الله شرك, وفرق بين الكذب وبين الشرك من حيث الإثم؛ فالشرك أعظم إثمًا من الحلف بالله كاذبًا.

لذا من فقه ابن مسعود قال:"لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغير الله صادقًا", وما ذلك إلا لأن الحلف عبادة وتعظيم, لا يجوز صرفها إلى غير الله -تبارك وتعالى- فيجب أن تصرف لله.

المتن:

وعن حذيفة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)) .

الشرح:

نعم, هذا النهي بالقطع على العبارة الأولى ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان)) لما في العطف بـ"الواو" من المساواة والتشريف, ولا يجوز مساواة أحد بالله -تبارك وتعالى- في التعظيم, ويكون شركًا أصغر, فإذا قال: "ما شاء الله ثم شاء فلان" جاء في الحرف "حرف العطف" الذي يقتضي الترتيب والتراخي, وأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله؛ خرج من الشرك الأكبر والأصغر, وأقبل من ذلك له, أن يقول: ما شاء الله, وكفى.

المتن:

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره : أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

الشرح:

كما سبق من الألفاظ التي إذا جاء العطف فيها بـ"الواو", فإنه يقتضي التسوية والتشريف بين المعطوف والمعطوف عليه, وهذا لا يجوز شرك.

وأما العطف بـ"ثم" فإنه يقتضي الترتيب, أي ترتيب مشيئة فلان على مشيئة الله, وقد قال الله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29]

يكون لا حرج فيه, وأكمل منه أن يقتصر الإنسان على إثبات المشيئة لله -تبارك وتعالى- في جلب مصلحة أو دفع ضر.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله))، رواه ابن ماجه بسند حسن.

الشرح:

الحلف فيه تعظيم للمحلوف به, والله -تبارك وتعالى- هو الذي يجب على العباد أن يعظموه ويقدروه حق قدره؛ ومن تعظيمه: أن يقتصروا في الحلف على الله به, ولا يجوز أن يشاركه أحدًا في هذا التعظيم؛ لذا جاء الأمر من الله -تبارك وتعالى- بحفظ الأَيْمان؛ فقال: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُم} [المائدة:89]؛ لأن اليمين بالله -تبارك وتعالى- قدره عظيم، ولا يجوز لأحد أن يحلف بالله إلا صادقًا على أمر من الأمور, إذا جاء هذا الباب هنا ((من يحلف بالله فليصدق ومن حُلِف له بالله فليرض)) , فيه الحث على وجوب الصدق في الأقوال, ومنها الحلف, فلا يجوز لأحد أن يحلف بالله كاذبًا؛ بل يجب عليه أن يحلف بالله وهو صادق.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((عليكم بالصدق, فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة, ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقًا -وحذر من الكذب بقوله:- وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار, ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا))؛ فإذا كتب عند الله كذابًا خسر دنياه وآخرته؛ لذا

وجب الصدق مطلقًا, سواء في الحلف أو في الأخبار التي تتعلق بأمر الدين أو الدنيا أو الشهادة, يصدق الإنسان في جميع أحواله, ومنها الحلف إذا حلف لا يجوز له أن يحلف إلا وهو صادقًا, متمكن مما حلف عليه سواء فيما يتعلق بالدين أو فيما يتعلق بأمر الدنيا,

هذا الأمر يتعلق بالحالف بالله, وهو وجوب الصدق بالحلف وغيره, وأما المحلوف له فإنه

يجب عليه الرضا, وهذا الأمر له صور متعددة, قد يكون المحلوف له صاحب مال، أو صاحب ذنب، أو صاحب عرض له قضية, وقد جاء في الحديث ((البينة على المدعي واليمين على من أنكر))؛ فالمدعي هذا إذا لم يأتي بالبينة؛ جاء الدور على المنكر ليحلف, فإذا بذل اليمين وجب على صاحب الدعوة أن يقبل يمينه, وأن يرضى بذلك اليمين لما فيه من التعظيم لله -تبارك وتعالى- ولا يرفض؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يرضى ((ومن حُلِفَ له بالله فليرضى)), من العلماء من أجرى هذا الحكم على ظاهره, وإذا جرى على ظاهره؛ وجب على المحلوف له -وإن كان متيقنًا كذب الحالف- وجب عليه أن يرضى لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم له بذلك, ومنهم من يفصل.

والعلماء لا حرج عليهم أن يستنبطوا الأحكام من النصوص, وأن ينظروا إلى عموم الأحكام في نصوص القرآن والسنة؛ فيوفقوا بينها بما يظهر لهم من الحق.

من العلماء من قالوا: لا يخلو هذا الحالف الذي حلف إما أن يكون معروفًا بين الناس بالصدق؛ فوجب على المحلوف له أن يرضى ولا ينازع, وإن كان مشهورًا بالكذب والفجور والفسق, لا يبالي أن يحلف على مال أو عرض انتهاك عرض أو سفك دم, لا يبالي بذلك؛ فلا حرج على المحلوف له أن يعترض على حلفه ويبين كذبه وفجوره بما يستطيع أن يرد بها يمينه ويتوصل إلى الحق, الذي هو متيقن منه مئة في المئة, لا حرج عليه,

وهذا استنباط لعل صاحبه نظر إلى عموم النصوص, احترام الأموال واحترام الدماء، واحترام الأعراض والفرق بين الناس هذا مؤمن تقي وعدل وذاك فاجر من أهل الفساد والفجور, ليسوا سواء, فلا يُنَزَّلون منزلة واحدة، فيُقبل يمين الفاجر والمؤمن على حد سواء, والحقيقة أن التفصيل فيه نفع وفائدة للمظلوم, فلعله يصل إلى حقه, وإن لم يصل في الدنيا وجد حقه يوم القيامة, يوم يقتص الله -عز وجل- للمظلوم ممن ظلمه.

أما المناسبة بين الحديث وكتاب التوحيد؛ فهي أن الكذب في الأيْمَان فيه استهانة بالله -تبارك وتعالى- وعدم تعظيم, وعدم التعظيم والاستهانة بالله في

الأقوال, من الأعمال التي تنافي كمال التوحيد؛ لذا أورد المؤلف -رحمه الله- هذا الباب؛ لأن من حَلَفَ ولم يَصدُقْ انْتَقص من إيمانه, لأنه لم يعظم الله -تبارك وتعالى- حلف به كاذبًا, ومن حلف له ولم يرضى فكذلك ما عظم الله؛ لأنه ما قبل اليمين وبدون مسوغ, ومن هنا تظهر المناسبة بين كتاب التوحيد وبين هذا الباب, من أن من لم يعظم الله -تبارك وتعالى- حق تعظيمه؛ فقد وقع فيما ينافي كمال التوحيد لا أصل التوحيد
(هنا حدث انقطاع)

الطالب: يعني ما تكون إلا في الحرم.

الشيخ: لا ليست في الحرم, ليست مقيدة في مكان معين أبدًا، إذا توفرت دواعيها ففي أي مكان؛ فهي خطيرة ليست سهلة, لا يَلْزُم عليها إلا إنسان متأكد مما باهل عليه, وسلك طرائق لحل المشكلة ولم تحل؛ يأتي دور المباهلة.

الطالب: لها صفة معينة يا شيخ؟ لها صفة معينة؟ أقول: المباهلة لها صفة معينة في الكلام؟

الشيخ: ما في شك هي دعاء يصيب الظالم, أما المظلوم إذا باهل المظلوم اللي متأكد على نفسه مئة في المئة, فلا حرج عليه, وما توصل على دفع مظلمته إلا أنه باهل, وقد باهل النبي صلى الله عليه وسلم **{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران:64]** باهل النبي صلى الله عليه وسلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة، أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة؛ فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ((ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت)) رواه النسائي وصححه.

وله أيضًا عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت؛ فقال: ((أ جعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده)).

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن الله. قالوا: أنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد؛ ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد؛ فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت؛ ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته؛ قال: ((هل أخبرت بها أحدًا؟)) قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده)).

الشرح:

الذين يُدَرِّسون كتاب التوحيد, دائمًا وأبدًا يُهَدِّفُون على المناسبة بين الباب وبين الكتاب, يعني ما مناسبة وضع هذا الباب في كتاب التوحيد؟ وما هي العلاقة بين الباب وبين الكتاب؟ فمثل هذا : باب ما شاء الله وشئت؛ مناسبة الباب لكتاب التوحيد هي: أن قول ما شاء الله وشئت في العطف بـ"الواو" فيه تشريك لغير الله بالله, وهذا ينافي كمال التوحيد, تشريك في الألفاظ, أما لو كان التشريك في الاعتقاد فهو ينافي أصل التوحيد, لكن تشريك في الألفاظ شرك تسوية ينافي كمال التوحيد, وهذا الخطأ يصحح بقولك: ما شاء الله ثم شئت؛ فـ"ثم" حرف من حروف العطف, ولكنها تقتضي الترتيب والتراخي, بينما "الواو" حرف من حروف العطف تقتضي المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه, وهذا عين الخطأ الذي يُصوب بـ"ثم" محل "الواو" إذا كان ولابد من ذلك فيأتي بـ"ثم" محل "الواو" فلا يقع في شيء من أنواع الشرك, وأكمل من ذلك أن يقول ما شاء الله ويكتفي بذلك, يقول ما شاء الله ولا يقول ثم شئت, فإن قالها جائز ولا إثم عليه, وإن اقتصر على قوله ما شاء الله وحده فهذا أكمل.نعم

المتن:

عن قتيلة، أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة؛ فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ((ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت)).

الشرح:

عُرِف بالتجربة والاستقراء, أن أهل الباطل الذين يُعادون أهل الحق يلزمونهم بأشياء قد تكون صحيحة, ولا يقصدون من ذلك النصيحة وإحقاق الحق, يريدون إلزامهم وأن يلحقوا بهم عيبًا؛ فمن جملة ذلك, قول اليهودي, اليهود يعرفون بأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم, النبي وأصحابه أعداء لهم, وأنه جاء بالحق وقبلوا الحق, أصحابه قبلوا الحق, واليهود ما قبلوا شيئًا من الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولا اعترفوا به, ولا صدقوه ولا آمنوا برسالته, فهم يأتون إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى بعض أصحابه ويُذكروهم ببعض الأخطاء, لا لنصيحتهم ولكن ليبينوا لهم أنهم هم إن كانوا على
خطأ, فأنتم أيضًا على خطأ, ومن جملته ذلك ما قاله اليهودي فنَبَّه على حق, في قوله ما

شاء الله وشئت خطأ, والكعبة حلف لغير الله خطأ؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام أخذ هذا الحق, ونشره لأمته وحذرهم من قول: ما شاء الله وشئت يا فلان, أو شئت يا محمد, ومن قول والكعبة, أو الحلف بالآباء وما أشبهه, ومن هذه الأحاديث أخذ العلماء وجوب قبول الحق من أي شخص قاله, سواء كان كافرًا أو مبتدعًا أو فاسقًا, يقبل الحق لأنه حق بقطع النظر عن قائله, ولو كان من اليهود كما في قصة اليهودي, قبل منه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك, وهذا لا يصلح دليل لمن يرى الرواية عن أهل البدع, ويرى أخذ العلم عنهم, هذا نوع آخر, الرواية لا تؤخذ إلا عن العدل, العدل عن العدل حتى تنتهي للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الرواية.

وحصلت بهذا العلم الكتب, كتب التعديل والتجريح, وكذلك أخذ العلم عن أهل البدع والضلال, حذر منه أئمة السلف, حذر منه أئمة العلم من أهل السنة, وأرشدوا أن يؤخذ العلم إلا عن صاحب السنة, لأن صاحب البدعة لا يؤتمن, هو خائن وعليه مخالفات, وتلزمه الزامات خطيرة؛ لذا لا يؤخذ عنه العلم والرواية إلا في نادر الأحوال؛ هكذا اليهود والنصارى وجميع الكفار, لا يؤخذ منهم الحق إلا عند الحاجة إلا ذلك.

أهل البدع والانحرافات لا يؤخذ عنهم العلم ولا الروايات إلا في أضيق الحالات؛ فيُؤْخَذ الحق الذي عندهم فيَضُمُّه أهل السنة إلى ما عندهم من حق بقطع النظر عن قائله, ولا يحترم لأن عنده حق ولم يعمل به, فلو كان فيه خير لعمل بالحق الذي بيَّنه للناس وحمله للناس.

لذا لنعلم أن التتلمذ على أصحاب البدع لا يصح, والتتلمذ والرواية عنهم كذلك, لا يصح إلا في أضيق الحالات, يعني في حال أن هذا الحديث لا يوجد إلا عند هذا المبتدع؛ لئلا يضيع شيء من الوحي؛ يؤخذ منه؛ يروى عنه في هذا الحديث الذي رواه

وثبتت أَحَقِّيَته, وصح نقله بمتابعات, وإلا فأهل البدع ليسوا أهلاً لنشر العلم في حلقات العلم, ولا على المنابر, ولا بطريقة الوعظ؛ لأنهم أهل خطر على أنفسهم, وأهل خطر على غيرهم, وأنهم يُعتبرون ببدعهم مشرعين مع الله -تبارك وتعالى- وهذا من أعظم الأخطار التي تلزم المبتدع. نعم.

المهم أن صاحب الباطل إذا عرض مسألة حق يحتاج الناس إليها تُؤخذ؛ لأنها حق, لا لأن فلان أخبرنا بها أو نقلها إلينا؛ بل تؤخذ لأن الحق أحق أن يتبع من أي مصدر كان, ولا كرامة لمن أتى به من أهل الباطل؛ لأن صاحب باطل ما نفعه ما عنده من العلم. نعم.

المتن:

قال:وله أيضًا عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: ((أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده)).

الشرح:

هذا الحديث بَيَّن خطر ما شاء الله وشئت عطفًا بـ"لواو" عطفًا لمشيئة المخلوق على مشيئة الخالق بـ"الواو", لما فيها من التشريك والمساواة, وإن كانت في الألفاظ؛ فهي من باب الشرك الأصغر تعتبر, الذي ينافي كمال التوحيد ولا ينافي أصل التوحيد, ينافي كمال التوحيد. نعم

المتن:

ولابن ماجه عن الطفيل أخـي عائشة لأمهـا قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: أنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزيرٌ ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد؛ ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم

تقولون: ما شاء الله وشاء محمد؛ فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته؛ قال: ((هل أخبرت بها أحدًا؟)) قلت: نعم؛ قال: فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال: ((أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده)).

الشرح:

هذا الحديث فيه بيان أن نسبة الولد إلى الله -تبارك وتعالى- كفر استقلالي, زيادة على كفر العبادة لغير الله -تبارك وتعالى- نسبة الولد إلى الله -تبارك وتعالى- كفر مخرج من الملة, استقلالي؛ أي: بذاته, واليهود والنصارى هم القائلون لذلك؛ كما قال الله -عز وجل- عنهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة:30] والعزير إما نبي وإما رجل صالح, {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة:30]؛ أي: عيسى عليه الصلاة والسلام؛ فهذا كفر استقلالي أنكره عليهم الصحابي الجليل, بما في القرآن الكريم.

وكذلك بعض قبائل العرب قالوا: الملائكة بنات الله, وهذا كفر بذاته؛ فقال اليهودي والنصراني قالوا:"وأنتم القوم، إلا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد", فالرسول عليه الصلاة والسلام نبههم على ذلك؛ قص عليهم رؤية الطفيل ونبههم على ذلك وقال: {إنكم تقولون كلمة كان يمنعني منها كذا وكذا}؛ يعني معناه: أن الدعوة إلى الله كانت بالتدريج, والتدرج مع المدعوين, فلما كانت اللفظة من الشرك الأصغر, وكان البداية الدعوة إلى هجر الشرك الأكبر؛ ما نهاهم ما عن الحلف بالألفاظ غير الله, بالحلف بغير الله, حتى جاء وقتها؛ فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك, ولا شك أن الشرك الأكبر أولى بالدعوة للتحذير منه وخروج الأمة منه؛ لأنه ينافي أصل التوحيد، والشرك الأصغر أخف منه ينافي كمال التوحيد, ويبقى الإنسان في دائرة الإسلام؛ لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يمنعني أن أنهاكم عنها كذا وكذا)) ثم جاء النهي لقوله عليه الصلاة والسلام: ((ألا لا تحلفوا بآبائكم, من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت))، لما سمع عمر -رضي الله عنه- يقول: وأبي, يحلف بأبيه, نهاهم عن ذلك.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب من سب الدهر فقد آذى الله وقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: 24].

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار)).

وفي رواية: ((لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر)).

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد هو: أن من سب الزمان -التي المراد بها الليالي والأيام والشهور والأعوام- من سبها؛ فقد أتى بما ينافي توحيده؛ لأنه أولاً أشركها مع الله -تبارك وتعالى- في التصرف؛ فيقول: هذا الزمان صنع بنا كذا وكذا, و هذا شرك في الربوبية, أو أنه سَبَّها لأنها تتصرف كما أسلفت في الخلق بالزيادة والنقصان وفي التدبير, وما يلحق بهم من أضرار هي مقدرة بإذن الله تعالى وهذا قدح في التوحيد, ثم الآية الكريمة فيها الإخبار عن كفار العرب الذين لا يؤمنون بوجود الله -تبارك وتعالى- طائفة

منهم لا تؤمن بوجود الله, وإنما هم طبائعيون يقولون بتصرف الطبيعة, يقولون الطبيعة هي التي تتصرف! ويقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع! يعني ما في خالق يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويقدر الأمور, ما في إلا الطبيعة, فلم يؤمنون بوجود الله -تبارك وتعالى- كما يجب أن يؤمنوا به هم وجميع المخلوقات, وأسندوا التصرف إلى الطبيعة, وهو إنكار للخالق؛ لذا سموا الطبائعيون والماركسيون, كل هؤلاء أنكروا وجود الله –تبارك وتعالى

ونسبوا كل شيء إلى الدهر؛ أي: الزمان هو الذي يتصرف والطبيعة هي التي تتصرف, وهذه عقيدة من أفسد العقائد؛ لذا جاء التعبير عنها في الحديث: (يؤذيني ابن آدم)؛ أي: يؤذي الله -تبارك وتعالى- بسب الدهر الذي يقلبه الله -تبارك وتعالى- كما يشاء؛ يقلبه؛ الليل والنهار, والخير والشر, والصحة والمرض, والحياة والموت, والجدب والرخاء كل ذلك بأمر الله -تبارك وتعالى- لا بتقلب الدهر بطبيعته؛ فأنكر الله عز وجل عليهم هذه العقيدة الفاسدة وقالوا: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} [الجاثية:24]. إنكار للبعث, يعني يموت قوم ويحيا آخرون, وهكذا بدون الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والجزع على الأعمال, لا يعلمون هذه العقيدة ومن كفر بها فهو من أكفر الناس, والحديث مفسر بقوله: (بيدي الأمر وأنا الدهر, بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)؛ فتبين بأن الدهر ليس هو الله, ولا هو اسم من أسماء الله؛ وإنما هو الزمان مرور الليالي والأيام والشهور والأعوام, وما يقع فيها من خير وشر وإحياء وإماتة وغير ذلك مما يحدث, ما يقع فيها شيء إلا بأمر الله وتقديره وحكمته؛ لأنه هو الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها.

إذًا لا يجوز لأحد أن يسب الدهر؛ لأنه من الاعتداء ومن الجهل الفظيع, سب الدهر وقد نهى الله -تبارك وتعالى- ذلك, ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. نعم.

المتن:

وفي رواية: ((لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر)).

الشرح:

فسر؛ لا تسبوا الدهر أي الزمان, فإن الله هو الدهر؛ يعني الذي يقلب الليل والنهار، هو الذي يتصرف في الدهر, وهو تفسير لقوله:(فإن الله هو الدهر), والرواية: (بيدي الأمر أقلب الليل والنهار), فلا يؤخذ منه أن الدهر اسم من أسماء الله, وإنما يؤخذ منه أن الله

هو المتصرف في الدهر الذي هو الزمان؛ كل ما يجري فيه من خير وشر و إحياء وإماتة, ومن قدر ورزق, صحة ومرض, وأحداث تتتابع, كل ما يقع فهو بأمر الله, ومن ذلك البعث والنشور ووجود الآخرة والجزاء فيها على الأعمال, كل ذلك لا يتصرف فيه أحد إلا الله -تبارك وتعالى- والله أعلم.

الطالب:

أحسن الله إليكم هذا سائل يقول: هل يصح أن نقول أن رؤيا الطفيل كانت سببًا لتحريم ما شاء الله وشئت؟ مع أنها رؤيا غير حاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف تكون تشريعًا؟

الشيخ: أعد أعد

الطالب: أنها رؤيا غير حاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف تكون تشريعًا؟

الشيخ: لأنه أقره؛ تكون تشريعًا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها, والتشريع قول وفعل وتقرير.

الطالب: هذا سائل يقول: الناظر في كتب الملل والطوائف والجماعات, يجد هذه الجماعات كثيرة جدًا؛ حتى أنها تتجاوز العدد الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق؟ فما التوجيه؟

الشيخ: أعد

الطالب:

هذا سائل يقول: الناظر في كتب الملل والطوائف والجماعات, يجد هذه الجماعات كثيرة جدًا, حتى أنها تتجاوز العدد الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق؟ فما التوجيه

الشيخ: هي لا تتجاوز العدد لأنها تتداخل؛ يدخل بعضها في بعض, فلا تتجاوز الاثنتين والسبعين فرقة؛ لأن المحدد لها هو الشارع, والشارع لا ينطق عن الهوى؛ فلابد أن تكون كذلك, فبعض الملل تتداخل, أنظر إلى الخوارج والمعتزلة, وأنظر إلى الجهمية؛ كم تشمل من الفرق, فهي لا تتجاوز الاثنتين والسبعين فرقة.

الطالب: سؤال أخير يقول: ما حكم بيع الفِيَز؟ الفيز للعمال يا شيخ

الشيخ: الفيزة لها نظام ولها جهة مختصة, لها نظامها ولها جهة مختصة, يجب ألا يغير فيها أحد شيء يخالف فيها النظام, فإذا التزم من أخذ بها, من التزم بنظام الدولة فيها, فما وقع في حرج ولا شيء عليه, ومن غير وبدل فهو خائن, يعني كهؤلاء الذين يستقدمون لأمر معلوم وعمل معلوم ثم (...) يرسلوهم هكذا برواتب شهرية, هذه هي الخيانة والكذب والغش للدولة وللناس. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله).

قال سفيان: مثل: (شاهان شاه).

وفي رواية: ((أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه)).

قوله: (أخنع)؛ يعني: أوضع.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد أن المؤمن الموحد يعظم الله -عز وجل- تعظيمًا يليق بعظمته وجلاله ولا يشرك في التعظيم مع الله -عز وجل- أحدًا يساويه به؛ فالتسمي بقاضي القضاة أو ملك الملوك ونحو ذلك فيه مبالغة في التعظيم الذي لا يستحقه إلا الله -تبارك وتعالى-, وهو ملك الملوك والحاكم بينهم والمدبر لهم وقاضي القضاة, هو الذي يقضي بين العباد ومنهم يوم القيامة القضاة, فلا يستحق أحد له رتبة رفيعة في العلم أن يسمى قاضي القضاة, ولا صاحب السلطة الكبيرة أن يسمى ملك الملوك؛ لأن هذه لا تكون إلا لله لما فيها من التعظيم, وصرفها لغير الله شرك ينافي كمال التوحيد, وذلك لمن رضي أو سمى نفسه؛ فقد أشرك بالله في تسويته لنفسه باسم أو صفة لا يستحق أن يُسمى أو يوصف بها إلا الله -تبارك وتعالى- نعم. الباب التالي.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-:

باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح: أنه كان يُكْنى أبا الحكم؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله هو الحكم، وإليه الحكم)؛ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين؛ فقال: (ما أحسن هذا فمالك من الولد؟) قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: (فمن أكبرهم؟) قلت: شريح، قال: (فأنت أبو شريح) رواه أبو داود وغيره.

الشرح:

كذلك هذا الباب مناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة, وهي أن احترام أسماء الله وصفاته من كمال التوحيد ومقاصد التوحيد, وأن التعظيم لغير الله لما لا يستحقه غير الله -عز وجل- من ضروب الشرك التي تنافي كمال التوحيد, وفي هذا الباب أيضًا بيان أن التكني مشروع, ولكن بما يقره الشرع بحيث لا يكون فيه اسم لله -عز وجل- يعظم به الإنسان نفسه أو صفة, فأبو الحكم الذي كان يُكْنَى أبا الحكم, الحَكَم اسم من أسماء الله, والحُكْم صفته, وهو الحاكم المطلق بين الخلق, فلا يجوز لأحد أن يتكنى به؛ لذا عَدَّل النبي صلى الله عبيه وسلم كُنيته أبا الحكم إلى أبي شُرَيح, وهو أحد أبنائه بل أكبرهم, وفيه دليل على مشروعية التكني بأكبر الأبناء, والظاهر أن هذا ينطبق في الذكور, أكبر الأبناء من الذكور, وإن تكنى الشخص بأنثى فلا حرج أن يتكنى بابنته, لا حرج في ذلك.

وفي الحديث حسن التعليم من النبي صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة لأصحابه وأمته في التعليم؛ فلا يعنف الجاهل على ارتكاب المحذور, وإنما يوجهه ويبين له ما ينبغي أن يكون عليه؛ فصار خير معلم ومربي للأمة, ومن اتبع أثره في التربية والتعليم نال النصيب الوافر من الأجر. نعم.

الشريط الرابع عشر
فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

"بابُ من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وقول الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ [التوبة:65]

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء" يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء؛ فقال له عوف بن مالك: "كذبت؛ ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فذهب عوف إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال: "يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث

حديث الرَّكْب نقطع به عناء الطريق". قال ابن عمر: "كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: "إنما كانا نخوض ونلعب"، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:65-66] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه."

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله آله وصحبه أجمعين.

ما ثبت في هذا الباب في كتاب التوحيد أن الإستهزاء بالله -عز وجل- أو برسوله عليه الصلاة والسلام أو بالقرآن الكريم؛ يُعتبر كفرًا أكبر مخرج من ملة الإسلام.

ووضع الشيخ -رحمه الله- هذا الباب من جملة الأبواب التي سبقت؛ لبيان ما يُنافي أصل التوحيد أو كمال التوحيد.

والهزل: معناه الاستخفاف والإستهزاء والسخرية سواءً من الرب -تبارك وتعالى-، ولا يفعلها إلا منافق نفاقًا اعتقاديًّا لا صلة له بالإسلام، أو قد يقولها مجنون فاسد العقل؛ لأن الله -عز وجل- هو الذي خلق الخلائق كلها، وأعطاها ما لم يستطع عليه بشر من العقل والقلوب والجوارح، وسهّل الأرزاق، وأمَّنهم في هذه الحياة، إلى غير ذلك من الأمور التي لا غنى لهم عنها ولا قدرة لأحد منهم أن يأتِيَ بشيءٍ منها، فلا يستهزيء بالله -عز وجل- إلا منافق معلوم النفاق نفاقًا اعتقاديًّا، أو فاسد العقل لا عقل له؛ ففاسد العقل معذور، وأما المنافق فهو خبيث النفس وخبيث القلب ليس بمعذور؛ وإنما قد أعدَّ الله -تبارك وتعالى- عقوبته في الآخرة هي الدرك الأسفل من النار -والعياذ بالله-، وأما في الدنيا فلأنه ينتسب إلى الإسلام وينتمي إلى المسلمين فإن النبي صلى الله عليه وسلم كفّ عن قتال المنافقين وأوكل سرائرهم إلى الله، ولم يسمح لأحد أن يقتل منافقًا وهو يعلم أنه منافق؛ وذلك لأنه ينتمي إلى الإسلام والمسلمين، وقد رُويَ عن النبي صلى الله عليه وسلم العِلّة في النهي عن قتالهم بقوله: {لا يتحدَّث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه}؛ لأنه مُعلِن الإسلام ومُبطِن الكفر؛ فكفرهم باطن وإسلامهم ظاهر، فلا ينفعهم الإسلام الظاهر إلا في الدنيا لصيانة أموالهم ودمائهم وذراريهم ونسائهم حتى لا يُعاملون معاملة الكفار من اليهود والنصارى

والوثنيين؛ لكن جزاؤهم عند الله أبلغ الجزاء؛ كما قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:145]، فالإستهزاء الذي حصل من الرجل المذكور وجماعته -وكلهم من أهل النفاق-؛ لأنهم لا يُريدون الإستهزاء من الله ولا من آياته ولا من رسوله ولا من المؤمنين؛ -بل صفوة المؤمنين لأنهم القراء حفظة القرآن-، إنهم لا يُريدون الاستخفاف بشأنهم؛ ولكن يُريدون أن يتحدثوا بما يقطعون به عناء الطريق والسفر، وهذا من الكذب الذي ليس غريبًا عليهم ومنهم؛ لذا الحكم الرئيسي من هذه النصوص؛ الآيات والأحاديث أنه يَحرُم الاستهزاء بآيات الله -عز وجل-؛ القرآن الكريم، لا يجوز أن يمزح الإنسان في شيءٍ من الآيات ولو لم يقصد الاستخفاف والإحتقار لها؛ بل إذا تكلم في الدين عمومًا لا يتكلم إلا بالجِدِّ، ولا يتكلم بالمزح الذي فيه تنقُّص بالوحيّ.

إذًا فمن هزل بشيءٍ مما ذُكر هزل بالله و بحقه أو برسوله عليه الصلاة والسلام أو بسنته من بعد مماته استهزأ بها، أو استهزأ بالمؤمنين لأنهم حملة الإيمان، أو استهزأ بقرّاء القرآن أو حملة السنة لأنهم أهل القرآن ولأنهم أهل السنة؛ من فعل ذلك فقد خرج من الإسلام إن كان مسلمًا قبل ذلك.

وقد يفعل الإنسان شيئًا من ذلك؛ كأن يستهزيء بشخص من أهل القرآن والسنة وهو يريد الإستهزاء بشخصه لا بما يحمل من الكتاب والسنة وإنما يريد أن يهزأ به بشخصه؛ هذا ارتكب إجرامًا ولكنه لا يَكْفُر بذلك؛ لأنه لا يريد الاستهزاء بشيءٍ من القرآن ولا بشيء من السنة التي يحملها الإنسان؛ ولكن يريد الشخص بنفسه، فلا يعتبر مرتدًا عن الإسلام؛ وإنما ارتكب إثمًا من الآثام التي هي التنقُّص بحق أخيه المسلم.

ومما شاع الاستهزاء بالدين وسب الدين عند الفسقة؛ فساق المسلمين يستهزيء بدين الإسلام أو يستهزيء بمن يطبق دين الإسلام تطبيقًا عمليًا؛ كإعفاء اللحي وقص الشوارب ورفع الثوب فوق الكعب والذكر دائما ونحو ذلك وحمل المصحف في الجيب ليتذكر القرآن دائمًا، تجد من سفهاء الناس من يسخر به، إما يقول: "المطوَّع"، أو يقول: "دقن"، أو ما شاكل ذلك من الألفاظ السيئة التي لا تصدر إلا من مرضى القلوب، فإذا قصد الإستهزاء بذلك الإستهزاء بدين الإسلام؛ فقد خرج من الإسلام، وإن قصد الإستهزاء بالشخص الذي يطبق دين الإسلام استهزاءً بشخصه لا بما يحمل أو يطبق من دين الإسلام؛ فهذا ارتكب

إثمًا من الآثام ولا يعتبر مرتدًا عن دين الإسلام؛ لأنه قصد الشخص بذاته، ولم يقصد ما يحمله الشخص من الإلتزام بالكتاب والسنة وتطبيق الكتاب والسنة تطبيقًا عمليًا لا يريد ذلك، ولو أراد سبه وشتمه من أجل أنه من حملة الكتاب وحملة السنة والعقيدة الصحيحة؛ فإنه يكْفُر -والعياذ بالله-.

كذلك سب الدين، مَن سب دين الإسلام بأي نوع من السب والشتم والإحتقار؛ فقد ارتد عن الإسلام بسببه له، أما الرجل قد يسب دين الرجل وهو الذي يحصُل كثيرًا فهذا فيه تفصيل:

- فإن قصد دين الرجل الذي هو الإسلام؛ فقد ارتد عن إسلامه وكفر.

- وإن أراد بالدين الذي سبَّه هو ما عليه الرجل من الأخلاق السيئة أو سوء المعاملة أو ما شاكل ذلك فظن أن هذا هو دينه أو الذي يدين به فسبه من أجل ذلك؛ فهذا قد وقع في المحظور؛ ولكن لم يكن مرتدًا عن دين الإسلام إذا كان أراد بالإسلام الذي سبّه ما عليه الرجل من سوء المعاملة أو سوء الأخلاق فاعتبر أن هذا إسلامه فسبّه من أجل ذلك ولم يرد دين الإسلام من قريب ولا بعيد فإنه لا يكون مرتدًا؛ أي لا يكْفُر؛ ولكنه أساء الأدب مع أخيه المسلم، وأساء الأدب؛ لأن هذا من الألفاظ التي تجر إلى سب الإسلام الصحيح الذي هو دين المسلمين.

ويلحق بذلك أمورًا: كل ما فيه ذكر للإسلام إذا هزأ به؛ إذا هزأ بكتب العلم التي فيها فقه الأحكام والحلال والحرام والفرائض إذا استهزأ بها واستخف بها؛ كفر بذلك؛ لأنه لا يستهزأ بها إلا لأن فيها ذكر الله وما والاه، فيعتبر الإستخفاف بها والإستهزاء استهزاء بالله -تبارك وتعالى- وعدم تعظيم للباري -عز وجل-؛ لأن هذه العلوم وحيٌ من عند الله، ما كان من القرآن والسنة وحي، وما كان من كتب العلم فهي مستمدة من الكتاب والسنة فقهها ومعانيها فيجب احترامها ولا يجوز الاستهانة بها.

المتن:

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء" يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء؛ فقال له عوف بن مالك: "كذبت؛ ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فذهب عوف إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته؛ فقال: "يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الرَّكْب نقطع به عناء الطريق". قال ابن عمر: "كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: "إنما كانا نخوض ونلعب"، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَبِاللَّـهِ وَآيَاتِـهِ وَرَسُـولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:65-66] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

الشرح:

هذا الحديث فيه بيان أنَّ من أخبر الجهات؛ السلطة أخبرهم بمَن يتحدث بال... إما يُبيت شرًّا للمسلمين أو يعمل أعمالاً لا ترضي الله –عز وجل- كصنّاع الخمر وكالمتكلمين في أعراض العلماء والحكام الذين يرعون مصالح الناس، مَن سمع شيئًا من هؤلاء فوجب عليه أن يُبيِّن للسلطة التي تأخذ على يد الفاسد؛ لأنه سفيه غاية السفه، إما منتهك للحرمات وإما مجاهر بما يضر الناس في دينهم ودنياهم كالذين يصنعون الخمور والذين يأتون بالمخدرات والمسكرات يدخلونها على المجتمعات المسلمة طلبًا للمال وإفسادًا للعقول والقلوب، مَن وجد شيئًا من هذا النوع فذهب يخبر السلطة لتأخذ على يد الظالم والفاسق؛ فهو مأجور وليس من النميمة ولا من الغيبة المحرمة؛ الغيبة المحرمة: انتهاك عرض المسلم بدون مُسوِّغ، أما ليُؤخذ على يديه فليس من قبيل الغيبة ولا من قبيل النميمة.

والقصة يؤخذ منها: وجوب الصدق في الحديث عن الدين بحذافيره، ووجوب الجِدّ وأن يكون جَادًّا ولا يستهويه الشيطان فيقع في المزح ويظن أن لا حرج عليه، فدين الإسلام كله جِدّ وكله صدق، فيتعامل المسلم مع القرآن ومع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ومع دين الإسلام عمومًا يتعامل بالجِدّ ويفر من الإستهزاء والمزح الذي قد يقع بسببه في سخط من

الله؛ كما في الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالله فيهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب))، فهذا الحديث من تأمله وتذكره دائمًا فإنه يستفيد منه فائدة عظيمة كلما أراد أن يلهو بلسانه ويتكلم تذكر هذا الحديث، وحديث معاذ أيضًا الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم؛ قال له الرسول عليه الصلاة والسلام في وصيته: ((كفَّ عليك هذا، وأخذ بلسان نفسه))؛ فقال: معاذ: وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ((ثَكِلَتْكَ أمك يامعاذ! وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم –أو قال: على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم))؛ لأن ما يتكلم به اللسان في غير مرضاة الله: إما في سخط الله من الكلمات التي تتعلق بالدين والتنقص منه أو تتعلق بالمسلمين والمؤمنين كذلك؛ لذا السلف –رحمهم الله- قرروا أن أحق شيءٍ بالسجن: اللسان، يسجنه يخزنه حتى لا يوقعه في الكلام الذي يجر إلى غضب الله وسخطه وأليم عذابه، وهذا حق ينبغي للإنسان أن يراعي كلامه ولسانه سواءً في الإسرة أو في المجتمع الذي يعيش فيه أو في أي حال؛ وإنما يُباح لك الكلام –بعد الكلام الواجب والمسنون المشروع- في المباحات، تتكلم في المباحات؛ كالبيع والشراء والأخذ والعطاء وسؤال وجواب في أمور دنيا الإنسان لا حرج، هذه أشياء مباحة؛ لكن التي فيها خطر هي الكلام إما في التنقص للدين أو الوقوع في أعراض المسلمين والمسلمات أو نحو ذلك مما يكون سببًا في عقوبة الإنسان العاجلة والآجلة.

وأولئك الذين نزلت فيهم الآية، قلنا النبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا بالوحي؛ قال لهم: قد كفرتم بعد إيمانكم، والمراد بالإيمان الذي كانوا يعلنونه، وإلا فالمنافقون لا إيمان لهم، ﴿إنهم لا إِيْمَانَ لهم﴾ في قراءة، و﴿لا أَيْمَانَ لهم﴾، وإنما إيمانهم في الظاهر باللسان والجوارح ما يتسترون به على دمائهم وأموالهم وأهليهم. نعم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت:50].

قال مجاهد: "هذا بعملي وأنا محقوق به"، وقال ابن عباس: "يريد مِن عندي".

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:78].

قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".

وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل"، وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف".

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن ثلاثةً من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم؛ فبعث إليهم ملكًا؛ فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به؛ قال: فمسحه فذهب عنه قذره فأعطى لونًا حسنًا وجلد حسنًا؛ قال: فأي المال أحب

إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر -شك إسحاق-؛ فأعطى ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها؛ قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرًا حسنًا؛ فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل فأعطى بقرةً حاملاً، قال: بارك الله لك فيها؛ قال فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره؛ قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة والِدًا فأنتج هذان ووَلَّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم؛ قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته؛ فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ به في سفري؛ فقال: الحقوق كثيرة؛ فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله -عز وجل- المال؛ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر؛ فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله ما كنت؛ قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته؛ فقال له: مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا؛ فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلي ما كنت؛ قال: ثم إنه أتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري؛ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك" أخرجاه.

الشرح:

لا إله إلا الله، المناسبة بين هذا الباب الذي فيه من العبر ما يزداد به المؤمن إيمانًا، المناسبة بين الباب وكتاب التوحيد هي: أن شكر النعمة لا يصدر إلا من قلب موحِّد عرف ربه وقدَّره حق قدره، وعرف حاجته إليه دائمًا وأبدًا في كل شأن من شؤونه في دينه ودنياه، وأن كفر النعمة من الأعمال التي تنافي كمال التوحيد، وكفر النعمة لا يخرج من حالين:

- إما أن يكون كفرًا أكبر: إذا أسند النعمة إلي غير الله ولم يؤمن أنها من الله؛ بل أسندها إلى غير الله، وجحد نعمة الله عليه، فجعل مع الله شريكًا؛ هذا كفر أكبر مخرج من الملة.

- والكفر الأصغر: أن يؤمن أن النعمة من الله؛ ولكن أُعطيَ هذه النعمة لأنه يستحقها وغيره لا يستحقها، أو لأنه صاحب قدرة على العمل حتى توصل إلى هذه النعمة، ولو لم يكن من أهل القدرات والحكمة في وجوه المكاسب ما حصل له شيء فجعل مع الله شريكًا ولكن هذا الشرك أو الكفر أصغر ليس أكبر، باعترافه أن الله هو المنِعِم؛ لكن أشرك معه غيره في هذه النعمة.

هذا الذي يتعلق بمناسبة الباب بما فيه من الآيات والحديث بكتاب التوحيد: إما أن يكون كفر النعمة أكبر وإما أن يكون أصغر، فإن كان أكبر فينافي أصل التوحيد ويرتد فاعله، وإن كان أصغر فينافي كمال التوحيد فيأثم صاحبه لكن لا يخرج من دائرة الإسلام.

وتفسير الآيات كما أوضحه السلف: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:78] يعني: بوجوه المكاسب أو أنني صاحب شرف واستحقاق وهو إدلال على الله -تبارك وتعالى- بما له من الاستحقاق والشرف والمعرفة بوجوه المكاسب، ولا ينبغي أن يقال مثل هذا؛ ولكن الواجب أن نعترف بالنعمة من جميع النواحي أنها من عند الله وأنها رحمة من الله -تبارك وتعالى-، فإن كان من الشاكرين زاده الله، وإن كان من الكافرين الجاحدين للنعمة تحمّل الإثم كما سبق.

وفي الحديث قصة الثلاثة فيها فوائد وعبر للعقلاء من الناس، كذلك أن القصص: قصص قرآني وقصص نبوي، وهذا من القصص النبوي، والله -سبحانه وتعالى- سمّا القصص الذي هو وحي؛ سماه أحسن الحديث ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]، فخير القصص: قصص القرآن وقصص السنة النبوية.

القارئ لهذه القصة من بدايتها إلى نهايتها يستفيد فائدة كبرى؛ وهي: أن الله يبتلي من يشاء من عباده سواءً كان ذلكم الابتلاء بالخير أو بالشر؛ كما قال -عز وجل-: ﴿وَنَبْلُوكُم

بِالشَّـرِّ وَالْخَـيْرِ فِتْنَـةً﴾ [الأنبياء:35]؛ أي اختبـارًا، ﴿وَإِلَيْنَـا تُرْجَعُـونَ﴾ [الأنبياء:35]، وقـال –سبحانه–: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [التوبة:65]؛ قال: أخلصه وأصوبه.

فإذا ابتلي فيختلف الناس في مواقفهم حيال هذا الإبتلاء، فإن كان نعمة ابتُلِيَ بها المؤمن شكر الله فزاده الله من فضله، وإن محنة ونقمة ابتُلي بها المؤمن صبر وعلِم أنها من عند الله وأن الله هو الذي يرفع المحن والنقم والبلوي، وأنه يبتلي لحكمة، لا ليُهلِكَ المؤمن؛ ولكن ليرفع من منزلته عاليةً عنده إذا صبر؛ لذا جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إذا أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن))، بخلاف غير المؤمن إذا أصابته نعماء فهو يبتر وربما يضيف النعماء إلى جِدّه واجتهاده ومعرفته فيضل ضلالاً بعيدًا، وإن أصابه ابتلاء بشر كفقر ومرض أو خوف أو فقد قريب أو ما شاكل ذلك؛ فإنه يعجز ويتسخط ويظل ناقمًا على ربه وعلى كل الخلق؛ وذلك لأنه فاقد الإيمان الكوني الذي يؤمن به أن كل شيء بقضاء وقدر، الخير والشر بقضاء وقدر؛ كما قال –عز وجل–: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2]، فوجب الإيمان بالقضاء والقدر في الخير والشر.

وفي القصة ما يحفز المؤمن أن يحدد من موقفه عند الرخاء والشدة وعند الإبتلاءات بالخير والشر؛ فالمؤمن –كما أسلفتُ– يظل شاكرًا لله مقيمًا لفرائضه وواجباته، مبتعدًا عن محارمه ذاكرًا لله لا ينسى، شاكرًا له على نعمائه إذا أعطاه النعمة، وإن ابتلي فالصالحون يبتلون من الله؛ لأن لهم درجات عند الله عالية ينالونها بفضل الله ثم بسبب الإبتلاء الذي صبروا عليه؛ لذا تجد الرسل والأنبياء أشد ابتلاءً لما لهم عند الله من المنزلة العالية؛ كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أشد الناس ابتلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)) يعني الأتقى فالأتقى، وليتأسى بالرسل والأنبياء في تقواهم، ويبتلى كذلك بما يشاء الله –عز وجل– من الابتلاءات.

وفي القصة أيضًا: معرفة النتائج التي تترتب على الشكر والكفر للنعمة، فالنتائج التي تترتب على الكفر بالنعمة نتائج وخيمة، والعبد هو الملوم؛ لأنه هو الذي تسبب، فالأقرع والأبرص ابتُليا بما جاء ذكره وحوّل الله حالهم من حال ضعيفة جدًا إلى حال حسنة، وحوّلهم

من الفقر إلى الغنى، ولماجاء دور الابتلاء أسقطوا ما نجحوا، وهو الملَك الذي أرسل إليهم ابتلاءً من الله -عز وجل- فكفروا النعمة ونسَوْا فضل الله -عز وجل- عليهم، نسيا الأبرص والأقرع.

وأما الأعمى فإنه شاكر شكر الله على النعمة التي أولها تغيير حاله من حال المرض والابتلاءات في فقد بصره، ثم أعطاه الله -عز وجل- المال وهذه نعمة أخرى، فلما ابتلي نجح، قصده مسكين جاء في صورته أعمى وهو الملَك، فإن الله أعطى الملائكة قدرة يتشكلون في أي صورة من الصور، فسأله ذكره بالذي كان عليه فتذكر وسأله من المال الشيء اليسير فجاد بالكثير وما ذلك إلا لطيب قلبه ونفسه؛ فقال له: "أمسك عليك مالك"؛ فنجح عند الله -تبارك وتعالى- بشكره لنعمته وثنائه على الله -عز وجل-، وهكذا المؤمن دائمًا وأبدًا سواءً في الأمم الأُولى أو في هذه الأمة، إذا كان المؤمن شاكرًا لله فلينتظر الزيادة في الدنيا والبرزخ والآخرة؛ بدليل قول الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7] وعد من الله والله لا يخلف الميعاد.

والصبر عند الابتلاءات يؤمن بأنها من عند الله وأن الله لا يريد أن يُهلك أو يُعذّب عبده المؤمن في دنياه إذا ابتلاه؛ وإنما يريد —سبحانه- ليرفعه منازل عالية وقد جرى القلم بذلك في الأزل فلا يمكن أن يتخلّف ذلك أبدًا لا خير ولا شر، ما كُتب في اللوح المحفوظ لا يتخلّف؛ لقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:12] وهو اللوح المحفوظ، والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:190].

قال ابن حزم: "اتفقوا على تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله؛ كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب".

وعن ابن عباس في معنى الآية قال: "لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس؛ فقال: إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلن له قرنيّ أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه؛ فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه؛ فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد؛ فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف:190] رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته".

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف:189] قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانًا"، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الشرح:

لا إله إلا الله، المناسبة بين هذا الباب وكتاب التوحيد هو: أن التعبيد لغير الله لا يخلو: إما أن يكون شرك أكبر في الربوبية والألوهية، وإما أن يكون شركًا أصغر من إضافة النعم إلى غير المنعِم.

وعلى كل حال، فالتعبيد لغير الله من حيث الحكم محرم لا يجوز في شريعة الإسلام؛ إنما التعبيد يكون لله وحده، ليتحقق التوحيد في الألوهية والربوبية، فيُقال: عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك من الأسماء التي تضاف إلى الله -تبارك وتعالى-، ويكون الاسم مُركَّب إضافي.

وأما التعبيد لغير الله: فإما أن يكون شركًا أكبر، وإما أن يكون من الشرك الأصغر الذي يُنافي كمال التوحيد، فإذا أضافه إلى غير الله مثل ما يُضاف إلى الله فهذا عين الشرك

الأكبر، وإن أضافه إلى غير الله لا يقصد مشاركة الله -تبارك وتعالى- في ربوبيته وألوهيته؛ فهو من الشرك الأصغر.

وفي الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف:190] يختلف علماء التفسير في معنى الآية، في قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾، هل الضمير هذا ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ يعود إلى آدم وحواء أم أنه يعود إلى بعض أفراد البشر من بني آدم؟ الجمهور من المفسرين قالوا: بأنه يعود إلى آدم وحواء وذكروا هذه القصة، واستدلوا بأن معنى الآية ولفظ الآية إشارة إلى هذا القول؛ حيث جاء قبها: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف:189]، المراد بها: حواء، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا﴾ [الأعراف:189]؛ أي آدم وحواء، ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف:189]؛ أي سليمًا غير معيب ولا ميت، ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف:189]؛ ثم قال: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ أي ولدًا سليمًا صحيحًا وكان إبليس توعدهما لئن لم يسمياه عبد الحارث ليفعلن كذا وكذا؛ فسمياه عبد الحارث، والحارث اسمٌ لإبليس؛ فوقعا في شرك الطاعة لا في شرك العبادة، وشرك الطاعة درجات، المعاصي جميعها تسمى شرك في الطاعة؛ لأنها طاعة لإبليس؛ ولكن ليس بالشرك الأكبر المخرج من الملة؛ وإنما هو معصية، فسميت شركًا؛ لأنها طاعة للشيطان، والله -عز وجل- قد نهانا عن طاعة الشيطان.

القائلون بأن الضمير عائد إلى آدم وحواء؛ قالوا: قد وقع آدم وحواء في معصية مقامها أكبر من هذا المقام؛ لأن الله نهاهما عن أكل الشجرة فأكلا منها، وكان ... مباشرةً بنداءٍ من الله لآدم، وخطاب لهما لآدم وحواء؛ قال الله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:22]، فقد وقعا في المعصية وتابا إلى الله؛ فغفر الله لهما وأهبطهما من الجنة؛ جنة الخلد على الصحيح إلى الأرض، فلا غرابة أن يحصل منهما المعصية مرةً أخرى ويتوبا إلى الله -تبارك وتعالى-؛ فلهذا بوّب المؤلف على هذا التفسير، جعل الباب هنا الذي سبقته أبواب فيما يتعلق في وجوب شكر النعمة وأن من كفرها إسنادها إلى غير الله -تبارك وتعالى-، فإسناد التعبيد إلى غير الله كفرٌ لنعمة الله؛ إذ الولد من النعمة، فإذا أضافه إلى غير الله؛ فقد كفر النعمة، وكفر النعمة كفرٌ أصغر.

والقول الثاني: أن الآيات وإن كان سياقها في آدم وحواء إلا أنه يُراد به جنس البشر من بني آدم؛ بعض أفراد البشر، وأنهم أشركوا بالله -تبارك وتعالى- وعبّدوا أبناءهم لغير الله كعبد الحسين وعبد الزهراء وعبد الكعبة ونحو ذلك، حصل من بعض بني آدم ذلك، وأخذوا النصيب الكبير الرافضة، فيكون انتقال من الأصل إلى الفرع، ولم يكن الإشراك من آدم وحواء؛ وإنما كان من بعض ذرية آدم وحواء بدليل سياق الآيات التي بعد هذا: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:191]، ولم يقول: أيشركان، قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾.

وعلى كل حال، كلٌّ له وجه في الإستدلال، و[1] يُفهم من تسمية آدم وحواء ابنهما عبد الحارث بأنهما أشفقا عليه وأدركتهما محبة الولد ولم يُشركا بالله شركًا أكبر في العبادة؛ وإنما أشركا في الطاعة، والشرك في الطاعة له درجات متعددة تبدأ من الصغائر إلى الكبائر إلى البدعة إلى الشرك الأصغر إلى الأكبر، فلم يكن شركهما من الشرك الأكبر، نعم.

المتن:

قال: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:190].

قال ابن حزم: "اتفقوا على تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد الْمُطَّلِب".

الشرح:

يعني اتفق العلماء جميعًا أنه لا يجوز التعبيد لغير الله ولا يُستثنى من ذلك إلا عبد المطلب، على خلافٍ بين العلماء في هذا الاسم أيجوز أن يتسمّى به أحد أم لا يجوز؟ أما ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم فلا حرج، لقوله: ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب))، وأقر الرجل الذي سأله: أين محمد؟، قالوا: هذا محمد، أنا ذا يا ابن عبد المطلب؟ فأقره على ذلك قال: قد أجبته، فيكون لا حرج فيما قد مضى، أما الكراهة تتعلق بغير هذا الاسم من أسماء بني آدم لا يكون التعبيد فيها إلا لله وحده، فإضافتها إلى المطلب أقل شيء فيه الكراهة، نعم.

---

[1] أصل الجملة: "لا يُفهم من تسمية آدم وحواء ابنهما عبد الحارث بأنهما أشفقا عليه ..."، فأحسب "لا" سبق لسان من الشيخ لا يستقيم بها المعنى، والصواب حذفها أو إضافة "إلا" قبل "بأنهما أشفقا عليه"، فليُتنبه لذلك.

المتن:

وعن ابن عباس في معنى الآية قال: "لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس؛ فقال: إني صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرنيّ أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه؛ فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه؛ فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد؛ فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف:190] رواه ابن أبي حاتم.

الشرح:

والذي عليه الجمهور الذي ساقه المؤلف -الذي عليه جمهور أهل العلم- بأن الضمير عائد إلى آدم وحواء، وأن شركهما إنما في الطاعة لا في العبادة؛ لأن الشرك في العبادة خطير لا يحتمل إلا الشرك الأكبر لمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله.

المتن:

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته".

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف:189] قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانًا"، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الشرح:

هذا بيان واعتذار لآدم وحواء بأنه أدركهما حبّ الولد والشفقة عليه فوقعا في هذه المعصية التي هي الشرك في الطاعة لا في العبادة، بتسميتهما للولد "عبد الحارث" وما كان ينبغي أن يكون ذلك؛ بل يُسمى عبد الله أو عبد الرحمن ونحو ذلك من الأسماء الشرعية، فصار الإشراك -يعني ذنب أهون من ذنب- في الطاعة لا في العبادة، والصغائر لا يُعصم منها الأنبياء، قد يقعون فيها.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:180].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: "﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾؛ يشركون"، وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وعن الأعمش: "يدخلون فليها ما ليس منها".

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، المناسبة: أن الدعاء بالأسماء الحسنى وصفات الله صفات الجلال والكمال؛ توحيد ودلالة على وجود الإيمان في قلب العبد، والإلحاد من الأمور التي تنافي أصل التوحيد إذا كان الإلحاد مخرج من الملة، أو تنافي كمال التوحيد إذا كان دون ذلك؛ لأن الإلحاد معناه: الميل عن طريق الحق، والميل عن طريق الحق يُحتمل أن يكون ميل للكفر عن الإسلام أو بالشرك الأكبر أو النفاق أو كبائر الذنوب أو البدع، فهو أمر يتناول كبير المعاصي وصغيرها، ومن ألحد في أسماء الله إلحادًا بالكفر أو الشرك أو البدعة المكفِّرة فعمله هذا يُنافي أصل التوحيد، ومن ألحد فيها دون ذلك صار إلحاده معصية، والمعصية ينقص بها الإيمان وينقص بها التوحيد، فصارت المناسبة ظاهرة وهي: أن الدعاء دعاء الله بأسمائه وصفاته توحيد، وأن الإلحاد: إما أن يكون إلحادًا مخرج من الملة فيُنافي أصل التوحيد، أما أن يكون إلحادًا غير مخرج من الملة كالمعاصي فيُنافي كمال التوحيد.

والإلحاد في أسماء الله درجات، أنواع، إلحادٌ في تشريك أسماء الآلهة مع أسماء الله -عز وجل- وهو كفرٌ صريح بيّنه الله -عز وجل- في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)﴾ [النجم:19-20] أصنام، فاشتقوا اللات من الإله، والعزة من العزيز، ومناة من المنان، وكلها أسماء لله، أشركوا آلهتهم مع الله -عز وجل- في الأسماء، واشتقوا لها أسماء من أسمائه، وهذا هو الشرك الأكبر، وقد يكون الإلحاد في أسماء الله وصفاته: إما بجحدها وإنكارها كما فعلت الجهمية أتباع الجَهم بن صفوان، الجَهم بن صفوان وفِرقته الذين أحيوا بدعة الجَعْد بن درهم الذي قُتل في عهد الدولة الأموية بسبب انحرافه، قتله خالد القسري -أعتقد- يوم عيد الأضحى؛ خطب الناس وقال: "أيها الناس ضحوا! تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحي بالجعد بن درهم! فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يُكلم موسى تكليمًا" فنزل وذبحه، أخذ بدعته الجهم وبِشر المريسي؛ ولكن انتشرت البدعة على يد الجهم فنُسبت إليه بدعة الجهمية التي هي جحد وإنكار الأسماء والصفات فلم يُثبت لله اسمًا ولم يُثبت له صفة، وكان صاحب حديث! يعني عنده علم؛ لكنه ضلّ، فيُقال أنه جلس أربعين يومًا لا يُصلي؛ لأنه لا يدري ماذا يكون في سجوده! سبحان ربي الأعلى أو الأسفل! لأنه لا يُؤمن أن الله مستوٍ على عرشه وأنه في العلو، لايؤمن بهذا؛ بل لا يؤمن بأي اسم لله أو صفة، يُثبت وجود مُجرد من الأسماء والصفات!، وهو تشبيه لله بالعدم؛ لأن الشيء الذي ليس له اسم ولا صفة معدوم، في مخلوقات الله المشاهدة الشيء الذي ليس له اسم ولا صفة هو المعدوم، وأما ما هو موجود فلابد أن يكون له اسم أو يكون له وصف أو نحو ذلك، وانظر إلى ما أمامك من المخلوقات لهم أسماء ولهم صفات سواء من بني آدم أو من الأشجار أو الأحجار أو المباني أو ما شئت من مخلوقات الله؛ فالله -عز وجل- خالقها كيف لا تكون له الأسماء الحسنى والصفات العُلا؟! الجهمية أنكروا أن يكون لله اسم أو صفة، أثبتوا ذاتًا مجرد عن المعاني فكفَّرهم معظم السلف؛ لأنهم أنكروا شيئًا أثبته القرآن وأثبته الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما أنكروا ما هو معلوم من الدين بالضرورة دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع؛ حكموا عليهم بالكفر وهم أحق بالكفر؛ لأنهم كذّبوا بالقرآن، ومَن كذّب بالقرآن كفر، ومن الآيات التي كذّبوا بها هذه الآية التي أوردها المؤلف -رحمه الله-: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، [حصل ضبط] بأن الأسماء التي بلغت من الحسن نهايته لله -تبارك وتعالى-، وما عداها من الأسماء تليق بأهلها.

والفرقة الأخرى بعد الجهمية: المعتزلة، فرقة من الفرق الضالة نفوا عن الله -عز وجل- جميع صفاته: السمع والبصر والعلم والحكمة والقدرة وجميع الصفات الذاتية والفعلية، وأثبتوا أسماء لله: السميع والعليم والحكيم؛ لكنها مجردة من المعاني، فكأنهم لم يُثبتوا أسماء ولم ثبتوا صفاتًا لله -عز وجل-.

وتليهم فرق هم أقل غلطًا منهم كالأشعرية والكُلاّبية والماتريدية و، هؤلاء أخذوا نصيبًا من فكر الجهمية، ويُطلق عليهم معطلة أيضًا تعطيلاً جزئيًا؛ لأنهم أثبتوا لله بعض الصفات قليل من كثير، وأولوا بعض الصفات تأويلاً مذمومًا غير صحيح.

لذا قسم العلماء التعطيل إلى قسمين:

- تعطيل كُليّ: كتعطيل الجهمية والمعتزلة.

- وتعطيل جزئيّ: كتعطيل الأشاعرة والماتريدية والكُلاّبية؛ لأنهم أثبتوا سبع صفات، قالوا: لأن العقل أثبتها! وأعرضوا عن النقل، وهذا خطأ فاحش أن يُقدَّم العقل البشري على النقل المعصوم الذي هو الكتاب والسنة بفهم ثقات الأمة العلماء.

فهذه كلها تُسمّى إلحاد داخلة في الآية الكريمة: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من الإلحاد، ويدخل في الإلحاد كُل انحراف عن الحق إلى الباطل؛ لأن الإلحاد: الميل عن الحق إلى الباطل، وأعظم الإلحاد وهو أشده جرمًا: الإلحاد بالكفر والشرك، ثم بالبدع والكبائر وما بعدها من الصغائر التي يُلِمُ بها الإنسان وقد يصرّ عليها، كُل هذا يُعتبر إلحادًا؛ لأنه ميل عن الحق الذي يجب أن يُتبع إلى الباطل الذي يجب أن يُجتنب.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب لا يُقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام))".

الشرح:

هذا الباب تضمن هذا الحكم حكمًا واحدًا: وهو أن لا يجوز لأحد أن يقول: السلام من الله من عباده؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، والسرّ في ذلك -والله أعلم-: أن في هذه العبارة: "السلام على الله من عباده" فيها تنقص لله -تبارك وتعالى- وأنه محتاج إلى عباده، والله -عز وجل- غنيٌّ عن العالمين، وكل ما سواه متفقرٌ إليه، وهم بحاجة إلى

الدعاء بالسلام بعضهم يدعو لبعض، وليس لله -عز وجل- حاجة أن يُدعى له بالسلامة؛ لأنه صاحب الكمال ذاتًا وأسماءً وصفاتًا.

ومن هنا تظهر المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد وهي: أن مَن قال: "السلام على الله من عباده" فقد تنقص الله -تبارك وتعالى-، وتنقص الله يُنافي كمال التوحيد إذا كان في اللفظ، أما في الإعتقاد الذي هو عمل القلب فتنقص الله يُعتبر منافيًا لأصل التوحيد؛ لكن في الألفاظ بحيث لا يُريد الأنسان أن يتنقص من كمال الله فإنه يُنافي كمال التوحيد ويبقى صاحبه في دائرة الإسلام، وأما مَن جَهِلَ الحكم فالله -عز وجل- يعفو ويصفح؛ لأن الصحابي لما قال: "كنا إذا كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قلنا: السلام على الله من عباده"، فغاية ما حصل أنه نهاهم عن ذلك ولم يقل لهم شيئًا؛ لأنهم لم يقولوا ذلك عمدًا أو قصدًا لتنقص الله؛ وإنما قالوا بهذه الألفاظ ظنًّا منهم أنهم مصيبون وليسوا مخطئين؛ حتى قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تقولوا السلام على الله وعلى فلان وفلان؛ ولكن قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن "السلام" اسمٌ من أسماء الله؛ كما نطق بذلك القرآن: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:23]، وهذا الاسم يدلّ على صفة الكمال؛ وهي أن الله -عز وجل- سالمٌ من كل نقص وعيب ومن كل تمثيل، وبجانب هذا التنزيه لله -عز وجل- نثبُت له صفات الكمال جملةً وتفصيلاً كما دلّ على ذلك القرآن والسنة، فمَن نفى عن الله صفات العيب والنقص أثبت له صفات الكمال.

إذًا بقي السلام الذي هو اسم من أسماء الله تحية المؤمنين بعضهم لبعض في الدنيا وفي الآخرة؛ كما قال -عز وجل-: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:44]، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر:37]، بما فيه من الدعاء بالسلامة، والعبد بحاجة في الدنيا إلى الدعاء بالسلامة؛ ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه من كل مأثم ومن كل آفة من الآفات، وهو دعاء من بعض الناس لبعض، وفيه الطمأنينة والأمان؛ لأن مَن مرّ بك فسلّم في سواد الليل؛ في وقت من الأوقات المخيفة فسلّم عليك حصل عندك طمأنينة، أما إذا سلّم وهو ساكت؛ فيظل الإنسان في ريبة وفي شك من أمره لعله يريد سوءًا، فيكون ظانًّا به ظن سوء؛ لكن إذا

سلّم صار المسلَّم عليه مطمئنًا سواء مرّ به في جوف الليل أو في النهار أو في أي وقت من الأوقات.

وقد ثبت أن الله -تبارك وتعالى- لما خلق آدم وأكمله؛ فقال له: "اذهب إلى أولائك النفر من الملائكة فسلِّم عليهم، فانظر ماذا يُحييونك"، فذهب فسلم عليهم بهذه التحية: "السلام عليكم"؛ قالوا: "وعليكم السلام ورحمة الله"؛ فزادوه: "ورحمة الله"؛ فقال له الله -عز وجل-: "تحيّتكَ، وتحية ذريتك من بعدك"، فبقي السلام تحيةً من الله -تبارك وتعالى- يُحييّ بها المسلم أخاه المسلم، وهي دعاء بالمسلَّم عليه بالسلامة، أن تَحُلَ عليه السلامة، يسأل له من الله -عز وجل- أن يُفيض عليه السلامة وأن يرزقه السلامة في كل شأنٍ من شؤونه في دينه ودنياه وفي قلبه ولسانه وجوارحه وعمله، دعاء مبارك.

ويستحب بعض العلماء الإتيان به مُنكَّرا ليكون المعنى أكمل؛ كما في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:37]، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذا مُنكَّر، والمنكَّر معناه أوسع من المعرَّف "السلام"، و"السلام" يصح، والمنكَّر طلب من الله -تبارك وتعالى- لهذا العبد المسلَّم عليه أن تحُلّ عليه بركات أسماء الله وصفاته جميعًا، فيكون المعنى أوسع وأعم من إلقاء السلام مُعرَّفًا، وإلقاؤه مُعرَّفًا جائز.

الشريط الخامس عشر

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

زيد المدخلي -حفظه الله-

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول: (اللهم اغفر لي إن شئت).

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يقل أحدكم: "اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإن الله لا مُكرِهَ له"، ولمسلمٍ: (وليُعَظِّم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) .

الشرح:

هذا الحديث فيه نهي وأمر مقترن بعلته، أما النهي ففي صدر الحديث" لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت" يُنهى عن ذلك؛ لما فيه من ما يدل على الاستغناء؛ استغناء العبد الفقير المحتاج عن رحمة الله ومغفرته، وهذا الاستغناء يحتمل معنيين:

– استغناء يحصل من المتكبرين الذين لا يقدرون الله حق قدره، الذين يرون أنهم ليسوا في حاجة إلى مغفرة الله ورحمته، وهذا كفر أكبر لا يصدر من المسلمين العارفين بإسلامهم، قد يصدر من الفُسّاق الذين يجهلون أحكام الشرع وفي مقدمتها يجهلون حق الله عليهم، وهذا المعتقد الفاسد ينافي أصل التوحيد.

ويُعتبر مناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد وبعض الناس يجري على ألسنتهم وهو غير قاصد، لا يقصد الاستغناء عن الله –تبارك وتعالى– ولكنه لا يفكر في المعنى فيجري مثل هذه الألفاظ على لسانه؛ فيقدح في توحيده فيكون هذا القول، وهذا اللفظ من الألفاظ التي ينقص بها التوحيد ينافي كماله ولا تنافي أصله؛ لذا جاء النهي تعظيمًا لله –تبارك وتعالى– وافتقارًا إليه وتذللاً له وإعلان قدر الإنسان أو حاجته إلى خالقه ومولاه وأنه لا يستغني عنه طرفة عين؛ لذا لا يجوز له أن يقول: "اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت"؛ هذا النهي وأما الأمر ففي قوله: ((وليعزم المسألة))؛ أي: إذا طلب من ربه حاجة تتعلق بأمر دينه أو دنياه فعليه أن يعزم المسألة ويُلح في الطلب؛ فإذا جاء إلى طلب المغفرة والرحمة يقول: ((اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)) يتوسل بالأسماء التي تناسب الطلب وهكذا إذا طلب الرزق من الله –تبارك وتعالى– الحلال وطلب الحياة الطيبة المباركة يعزم في المسألة في أي طلب مشروع أو مستحب أو مباح، عليه أن يطلب من الله ما يريد من حاجة ويعزم المسألة ولا يستفتي فيقول: "إن شاء الله" وهذا في ما يتعلق بمخاطبة الله –تبارك وتعالى–؛ أي: مخاطبة العبد لربه –تبارك وتعالى– .

وقد استدل العلماء ما جاء من ذكر الاستثناء ويراد منه التبرك فقط، ولا يريد معنى الاستثناء؛ يريد التبرك بكلمة: "إن شاء الله" ومن يرى جواز ذلك ولا حرج وأنه ما قصد الاستثناء حقيقةً، قصد التبرك بمشيئة الله؛ تراه في قوله –عز وجل–: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: 28]، وقد أوحى الله –عز وجل– إليه بأنهم سيدخلون المسجد الحرام فقيد ذلك بالمشيئة وليس هو قيد وإنما هو تبرك بالمشيئة بما قصه الله عن يوسف –عليه السلام– إذ قال لأبويه: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [يوسف: 99] الآية.

إذًا فلابد من العزم والعلة في قوله عليه الصلاة والسلام: ((فإن الله لا مُكره له))؛ أي: اطلب من ربك في كل وقت وحين ما يجوز لك أن تطلبه، واعلم أن الله -عز وجل- خزائنه ملئ ومهما طلب الإنسان من ليل أو نهار وفي أي وقت من الأوقات وأي طلب من المطالب؛ فإن الله لا يعجزه شيء أبدًا ولا يكره سؤال السائل، بل يغضب على من لم يسأله؛ كما ورد في الحديث: ((إن الله يغضب على من لم يسأله)) وذلك لأن الله هو الغني وفي الحديث القدسي: (يا عبادي) -يقول الله تعالى-: "لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيء إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ".

إذًا فالله -عز وجل- يحب من عباده أن يسألوه حاجاتهم الدينية والدنيوية وبالدرجة الأولى الحاجات الدينية التي تقربهم إليه زلفى؛ كسؤال الله محبته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام ومحبة من أحب الله وأحب رسوله عليه الصلاة والسلام؛ كما في الحديث: ((اللهم إني أسالك حُبك وحب من أحبك وحب كل عمل يدنيني منك أو يقربني إليك)) هذا أمر محبوب لله -تبارك وتعالى- ويسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار ويسأله الحياة الطيبة المباركة؛ فالسؤال هذا عبادة، الدعاء عبادة، سواء دعاء العبادة أو دعاء المسألة كله عبادة، فابن آدم هو الذي إذا كررت عليه السؤال يغضب ويمل، والله -عز وجل- إذا كررت عليه السؤال في كل لحظة طيلة حياتك لم يغضب ولم يردك خائبًا، وفي الحديث الآخر: "إن الله حييٌ ستِّير يستحي من عبده إذا مد إليه يديه أن يردهما صفرًا " ((ويستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا))؛ أي: خائبتين؛ بل يملئهما من الخير وذلك إما أن يُعجِلْ له طلبه سواءً من أمر الدين أو الدنيا، وإما أن يصرف عنه من السوء ما سينزل به، والله هو الذي يعلمه وهو لا يعلم والعبد لا يعلم وصرف الله عنه بذلك الدعاء سواءً سينزل به وكلاهما من بَدَل الله نزوله ودفعه، نزول السوء والشر ودفعه المقدران من عند الله -عز وجل- وإما أن يدخر له دعوته إلى يوم القيامة فيثقل بها موازينه ويُكفِّر بها سيئاته وكل ذلك خيرٌ للمؤمن، إذن الدعاء دعاء المؤمن إذا [سَلِمَ] من موانع الإجابة فإنه ثابت له إما يعجّل وإما يصرف به عنه من السوء ما سينزل به، وإما يدّخره الله -عز وجل- له إلى يوم القيامة في الوقت الذي يكون هو في أمس الحاجة إلى حسنة تثقل الميزان أو سيئات يكفرها الله -عز

وجل- بذلك الدعاء، فهو لا يضيع الدعاء أبدًا؛ لذا أمر الله به في قوله: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:60] أمر بالدعاء ووعد الاستجابة؛ لذا لا يجوز التقصير في الدعاء وأنت ماشي وأنت على فراشك وأنت في المسجد وأنت في الشارع وأنت في قضاء حاجتك، تزاول المرأة أعمالاً لا يمكن أن يؤثر عليها الاشتغال بالدعاء، مهما أكثرت من الدعاء فما عند الله أكثر، الإجابة والعطاء من الله -تبارك وتعالى-.

الحذر من موانع الإجابة وهي الدعاء بقطيعة الرحم كأن يدعو أن يقطع رحمه إن وصلها فعليه كذا وكذا أو يدعو بمأثم على نفسه أو على ذريته أو على إخوانه المؤمنين من موانع الإجابة أو يستعجل، يقول دعوت ودعوت فلم يُستجب لي؛ لأنه ما رأى شيئًا وما يدري أن الله صرف بدعائه شرًا عنه أو ادخره له إلى يوم القيامة إذا لم يرى الإجابة؛ فلابد أن يحرص الداعي على استيفاء شروط الإجابة وموانع الإجابة، والداعي يدعو وهو واثق بالله أنه سيجيبه واحد من الثلاثة الذي مر ذكرها وموانع الإجابة كذلك الثلاث التي هي الدعاء بقطيعة الرحم أو بمأثم أو استعجال. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: لا يقل عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقل أحدكم أطعم ربك وضّع ربك، وليقل سيدي ومولاي ولا يقل عبدي وأمتي وليقل فتايَ وفتاتي وغلامي".

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد هي: أن سوء الأدب مع الله –تبارك وتعالى– ينافي كمال التوحيد، وسوء الأدب يختلف من حيث الإساءة فقد تكون الإساءة كبيرة كالشرك الأكبر أو الكفر الأكبر فتنافي أصل التوحيد، وقد تكون الإساءة بدون ذلك فتنافي كمال التوحيد؛ وفي هذه الألفاظ: "عبدي وأمتي" فيها إساءة أدب مع الله –تبارك وتعالى– الذي يجب أن يفرد بالتعظيم ويُنزه عن مشاركة غيره له في العبودية؛ فالنهي هنا يقتضي التحريم؛ أي لا يجوز لأحد أن يقول: "عبدي وأَمَتي"؛ لما فيه من المشاركة للربوبية لله –تبارك وتعالى– والله وحده لا شريك له، لا في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه ولا في صفاته، ولما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هاذين اللفظين أباح البديل لهما؛ قال:" لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضِّع ربك وليقل سيدي ومولاي".

نعم لفظ الرب بالنسبة لإضافته إلى المخلوق (ربك) هذا الذي ينصب بالنهي عليه؛ أما بالنسبة إلى إضافة إلى غير المكلف كالجمادات مثلاً؛ مثل: الدار والمال؛ إذا قلت: "رب الدار ورب المال" ونحوهما مما لا أثر للمشاركة فيه جاز ذلك، لكن رب فلان بشخصه هذا هو محل الكراهة أقل شيء فيه الكراهة، والبديل أن يقول: سيدي ومولاي، لا حرج في ذلك فللبشر سيادة تناسبهم، فإذا قال العبد سيدي أو قال مثلاً أحد أفراد الناس لوالديه أو لعظيم عنده يا سيدي؛ لا حرج عليه ما لم يخش العُجْبَ من المخاطب، وما لم يخش الغلو وإلا فلفظة سيدي وللبشر سيادة تناسبهم ليست كسيادة الله –تبارك وتعالى–؛ لأن الله له الكمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكذلك (مولاي) هي تجد عند العلماء علماء الحديث المولى من أعلى، والمولى من أسفل يعني عبارة متداولة بين الناس ليس فيها مشاركة في الربوبية لله –عز وجل–، وكذلك غلامي وفتاي وفتاتي من الألفاظ المباحة؛ لأن يقول السيد المالك للرقيق هذا فتاي والأنثى فتاتي والغلام غلامي لا حرج في ذلك وهي ألفاظ بديل مما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام سواءً كان النهي بالتحريم أو كان النهي بالكراهة .

عندكم شيء؟

الطالب:

...يا شيخ عندما قال يوسف عليه السلام: "اذكرني عند ربك"

الشيخ:

نعم هذا ما استدلوا به على أنه للكراهة وليس للتحريم ويوسف عليه الصلاة والسلام لا يتطرق إليه الغلو.

الطالب:

شيخ أحسن الله إليك لفظ الربوبية ما يكون مستساغ في غير المكلفين؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي نشب عن ضالة الإبل قال: (مالَك ولها فإن معها ...حتى يجدها ربها.

الشيخ:

صحيح هذه ما كان من قسم الجمادات أو بهيمة الأنعام الغير مكلفين لا محظور فيه يقول رب الدار ورب الإبل رب المال ونحوها لا حرج.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: لا يُرَد من سأل بالله:

عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ومن سأل بالله فأعطوه ومن استعاذ بالله فأعيذوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تُرَو أنكم قد كافأتموه)) رواه أبو داوود والنسائي بسند صحيح.

الشرح:

هذا الباب والباب الذي قبله مناسبتهما لكتاب التوحيد هي: أن تعظيم الله –تبارك وتعالى– من تمام التوحيد وكماله والعكس بالعكس، عدم التعظيم لله والمبالاة؛ ينافي كمال التوحيد، ففي إجابة السائل وفي إعادة المستعيذ وما جاء ذكره في الحديث فيها تعظيم لله وتقدير لله –عز وجل– وبذلك يتم توحيد العبد وينقص بقدر ما قصّر في ذلك بقدر ما قصر بدون مسوِّغ للتقصير وهذا الحديث تضمن بيان خمسة أمور .

الأمر الأول: إجابة السائل وتلبية طلبه وهذا موضع اختلاف بين العلماء هل كل من سألك شيئًا وجب عليك أن تعطيه؟ وإلا نقص من توحيدك؟ أم أنه لابد من التفصيل في المسألة؟ بل ومن العلماء من رأى الوجوب من سألك شيئًا وأنت قادر على إعطائه؛ وجب عليك أن تعطيه تعظيمًا لله الذي سألك به، قال: "أسألك بالله أن تعطيني كذا وكذا"؛ فإن كان في المقدور ولم يشق عليك فتعظيماً لله –عز وجل– تعطي من سأل بالله، ومن العلماء من يرى الاستحباب لما يترتب على قضاء حاجة المسلم من الأجر وفي الحديث: ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) فمنهم من ينظر إلى السائل بالله هل سؤاله لشخص معين وطلبه معين كذا وكذا أم أنه يسأل الناس جميعًا من وجده سأله؟ فمن رده حينئذٍ فلا حرج عليه، وقد يكون السائل بالله بيعطي شيئًا من المال أو الحاجة وهو يكذب في طلبه فهذا لا يجاب ولا يعطى، الذي غرضه الابتزاز للأموال الناس ولو سأل بالله تقدير الله في قلب المسلم، والذي يكذب لا يُعطى شيء وربما يستعين به على معصية؛ فالمقصود أن من سألك بالله حاجة وأنت قادر على قضائها بدون مشقة لا في مال ولا في جسد؛ فابذلها له أولى من رده وهكذا الاستعاذة؛ قد يستعيذ مسلم من شر آخر؛ فيقول: "أعوذ بالله منك أو من شرِّك"، وهذا إن كان استعاذ وهو محق، وجب عليك أيها المسلم أن تعيذه بمعنى تتركه وتسالمه فلا تعتدي عليه بأخذ شيء من ماله أو اعتداء على جسده، وقد ثبت أن النبي

صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من العرب، وكأنه قيل لها إذا دخل عليك فقولي: "أعوذ بالله منك"؛ فقالت ذلك، قال: ((لقد عذت بمُعاذ الحقي بأهلك)) تركها وما ذلك إلا لأنه قال: ((من استعاذكم بالله فأعيذوه)).

قال: ((ومن دعاكم فأجيبوه)) فصّل بعض أهل العلم في الدعوة التي يجب ويلزم من دُعي أن يلبي وبين غيرها؛ فخصُّوا دعوة العرس وليمة العرس؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من لم يُجب فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم)) ومنهم من عمم، والتعميم أولى، أن من دعاه أخوه المسلم سواء لتناول الطعام أو لغير ذلك من الحاجات؛ وجب عليه أن يجيب إلا أن يكون له عذر فإذا كان له عذر اعتذر، ولا حرج عليه، أو منعه مانع قهري لا إثم عليه؛ فالأصل في الدعوة إجابة الداعي إلا إذا منع مانع وحصل عذر للمدعو فلا حرج عليه في التخلف، وليحرص المسلم على الدعوة لتناول طعام الوليمة لما في ذلك من التأكيد والإثم الذي يلحق من اعتذر من غير عذر. نعم.

قال: ((ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه)) كذلك من صنع إليكم معروفًا فكافئوه تبادُل المنافع والمصالح بين المسلمين أمر معروف ولا يستغني بعضهم عن بعض، لاختلاف طبقاتهم هذا غني وذاك فقير وذاك صحيح وذاك مريض ونحو ذلك فيحتاج بعضهم إلى بعض .

قال: ((من صنع إليكم معروفًا فكافئوه)) بمالٍ أو خدمة أو أي شيء من المعروف عندئذٍ وجبت مكافئته على من يستطيع أن يكافئه من جنس ما قدم له، إن قدم له مالاً كافئه بمال سواء قليل أو كثير وإن قدم له خدمة كافئه بذلك، والمهم أنه كما صنع الأول إليه معروفًا هو يكافئه على المعروف بالمعروف، حتى لا يبقى للأول فضل على الثاني بل يكافئه فلا يكون في قلبه تذلل ينافي كمال التوحيد، بل يبادر إلى المكافئة ليكون قلبه ذليلاً لله خاضعًا لله -تبارك وتعالى- لا يشرك معه فيه أحد، وقد لا يجد من صنع إليه معروف شيئًا يكافئه به فأرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يقدر عليه كل من تتحرك لسانه وقلبه يعي، وهو الدعاء، فصنع معروفًا كثيرًا كبيرًا ولم تجد شيئًا تكافئه من جنس معروفه ادعوا له بالمغفرة والرحمة وصالح العمل والحياة الطيبة المباركة والبركة في الأهل والولد والمال كالأدعية التي يحبها الإنسان وهي مشروعة وتصلح شأن الإنسان ويصلح شأن الإنسان بسببها في دينه ودنياه، ولو لم تقل إلا جزاك الله خيرًا لكفى وزيادة، تقول ذلك مخلصًا جزاك الله خيرًا سواء

وهو يسمع أو بظهر الغيب ودعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجاب؛ كما ورد في الحديث: ((من دعا لأخيه في ظهر الغيب إلا قال الملك آمين ولك بمثل))، ودعاء الملك مستجاب؛ لأنه معصوم؛ فالذي يدعو لأخيه في ظهر الغيب أو لقريبه أو لصاحبه أو للمؤمنين والمؤمنات من عرف منهم ومن لا يعرف بظهر الغيب حاز من الأجور ما لا يحصيها إلا الله –تبارك وتعالى– وما جاء في الحديث أن من دعا للمؤمنين والمؤمنات فله لكل مؤمن ومؤمنة حسنة، الأحياء والأموات، فأنت تدعو في جملة واحدة اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات تناولت كل مؤمن ومؤمنة من الأحياء والأموات وكتب الله لك بعدد المؤمنين والمؤمنات حسنات، كل فرد بحسنة وهذه من الغنائم لهذه الأمة التي يجب أن يشكروا الله –تبارك وتعالى– عليها لا تستطيع أن تحصي المؤمنين والمؤمنات ولكن الله يكتب لك لكل مؤمن ومؤمنة استغفرت له و دعوت له حسنة وهي في جملة قصيرة وهذا من فضل الله –تبارك وتعالى– على المؤمنين والمؤمنات من هذه الأمة.

المتن:

قال –رحمه الله تعالى– :

باب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة: عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يسأل بوجه الله إلا الجنة" رواه أبو داوود.

الشرح:

وهذا أيضًا من المسائل الخلافية بين العلماء هل يجوز للإنسان أن يسأل بوجه الله للأمور الدنيوية أم أنه لا يسأل بوجه الله إلا الأشياء الغالية، التي هي رضاه والجنة؟ والذي ينبغي أن يقتصر الإنسان في سؤال الأشياء المادية الدنيوية على السؤال بالله إن احتاج إلى ذلك؛ وأما المسائل العظيمة كسؤال الجنة ورضا الله –تبارك وتعالى– فلا حرج أن يسأل الإنسان بوجه الله –تبارك وتعالى– وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات)) والله أعلم.

المتن:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال -رحمه الله تعالى-:

باب: ما جاء في اللغو؛ كقول الله تعالى: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} [آل عمران: 154]، وقوله: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران: 168]

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)).

الشرح:

المناسبة من هذا الباب وبين كتاب التوحيد: أن الإيمان بالقضاء والقدر من صفات الموحدين وهو ركن من أركان الإيمان و (لو) هذه التي تفيد التحسُّر على الماضي، دليل على ضعف الإيمان وضعف الإيمان ينافي كمال التوحيد؛ لذا وجب تركها ووجب الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن كل شيء بقضاء الله وقدره؛ لقوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:49]، ووجب الإيمان جزمًا بالقدر وأن كلما كان من الأمور من قليل أو كثير حتى الشوكة يشاكها العبد، هي بقضاء الله وقدره ولفظ لدغة البرغوث وما كان أكبر وما كان أصغر، كل ما جرى من الأحداث والأمور في عالم السماء وعالم الأرض فهو بقضاء وقدر فإما أن يكون مما لا دخل للإنسان فيه؛ كالمصائب على اختلاف أنواعها؛ فوجب التسليم لذلك كالموت والمرض والفقر والخوف وغيرها مما يبتلى به الخلق و الجدب، فهذه يجب الإيمان بها والتسليم لقضاء الله وقدره مع بذل الأسباب في علاج الأمراض، وبذل الأسباب للسعي في كسب الرزق وبذل الأسباب في استتباب الأمن إلى غير ذلك من الأسباب التي هي في وسع العبد، التي يجب عليه أن يفعلها مع إيمانه بأن ما قُدر فسوف يكون لا يمنعه مانع أبدًا وما ذلك إلا .... (انقطع الصوت).

الذي هو على كل شيء قدير فإذا كان الله قد قدر شيئًا فلا يستطيع أن يدفعه من في السماوات ومن في الأرض وفي الحديث: ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لا

ينفعونك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لا يضروك إلا في شيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

فالإيمان بالقدر أمر عظيم وشأنه كبير يجب أن يُذَّكر العبد به نفسه دائمًا وأبدًا؛ لو سرق متاعك من يدك فتذكر بأنه بقضاء وقدر، ولكن كما أسلفت لابد من بذل الأسباب فإذا كان المقدور بما كسبت أيدي الناس؛ كفعل المعاصي كالقتل والزنا والسرقة وترك الواجبات والفرائض وما شاكل ذلك الغيبة والنميمة أشياء كلها بقدر؛ لكن هذه لا يُعذَر فيها الإنسان، ولا يجوز له أن يحتج بالقدر ليمارس المعاصي والذنوب مُدَعيًا أن الله قد كتب عليه ذلك؛ لأن الله الذي كتب عليه ذلك هو الذي أمره أن يمتثل المأمور ويجتنب المحظور وأقدره على ذلك؛ أقدره على فعل المأمور وترك المحظور، وبجانب ذلك أقدره على العكس، ولكن أقدره على فعل المأمور وترك المحظور وأعانه على ذلك، إذا امتثل أعانه الله على ذلك، وأما المعصية فالله لا يعين عليها؛ ولكن يخلي بين العبد وبين نفسه والشيطان، إذا رفض أوامره وارتكب محارمه خلى بينه وبين الشيطان -والعياذ بالله-، ومن وكله الله إلى نفسه ضل عن سواء السبيل (...) في المآثم مأثم بعد مأثم.

إذن فالمحرمات وإن كانت بقضاء الله وقدره الكفر والفسوق والظلم وجميع العصيان بقضاء الله وقدره وقد قدرها في اللوح المحفوظ، ولابد أن تكون؛ لكن أُمر المكلفون من عالم الإنس والجن أن يمتثلوا أوامر الله ويجتنبوا محارمه، وأبان الله -عز وجل- لهم ذلك افعلوا كذا واتركوا كذا، وجعله داخلاً في وسعهم وفي مقدورهم، أن يفعلوا المأمورات ويتركوا المحظورات وأنزل الكتب في ذلك وأرسل الرسل لبيان ذلك، فما بقيت حجة لأحد من المكلفين يتركوا الطاعات ويرتكبوا المعاصي ويحتج بالقدر، فلا يحتج بالقدر الإنسان إلا إذا وقع في معصية ما ثم تاب إلى الله -تبارك وتعالى- فإذا سُئِلَ بعد ذلك وقال قدر الله؛ لا لوم عليه وما في قصة احتجاج آدم وموسى فلما كان آدم تاب من أكل الشجرة وتاب الله عليه، وقال لموسى بأن الله قد كتب علي هذا الذنب في كذا وكذا قبل كذا وكذا؛ فأقره الشرع وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((حج آدمُ موسى)),

ومنها يؤخذ أن الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية بعد التوبة والإنابة إلى الله واستقامة الحال لا حرج أن يقول قدر الله، ولكن يبادر إلى التوبة والاستغفار والله -عز وجل- وعد بالتوبة والاستغفار لمن تاب إليه واستغفره وعده أن يتوب إليه ويغفر له.

إذن لا يجوز للإنسان إذا وقع في أمرٍ من الأمور أن يقول لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا وكلما فعل شيئًا تحسّر وندم أو ما فعل شيئًا قال لو أني صنعت كذا وكذا ما حصل كذا أو لحصل لي كذا؛ هذه "لو" هي التي تفتح عمل الشيطان وتضعف الإيمان في القلب، وتبعث على سوء الظن بالله -تبارك وتعالى- فيكون قائلها كأنه قد نسي القدر وأنه قضاء محتوم؛ لابد أن يكون كل شيء في وقته سواء صالح أو غير صالح سواء خيرًا أو شرًا، لا يتقدم ولا يتأخر؛ لذا وجب على الإنسان أن يتمكن بأن يمرن نفسه على الإيمان بالقضاء والقدر وأنه ما من حدث من الأحداث أو أمر من الأمور يقع في الأرض أو في السماء إلا وقد جرى به القلم في اللوح المحفوظ؛ كما قال الله -وقوله الحق-: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس:12]، وهو اللوح المحفوظ وحديث أول ما خلق الله القلم وقال له اكتب قال وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء فجرى القلم في تلك الساعة بما هو كائن إلى قيام الساعة، لا يختل منه شيء ولا يتقدم ولا يتأخر حتى أمور قد قدرها الله، وقدر أنها لا تقع؛ بل يرفعها الله قبل أن تقع لأسباب قدرها؛ فالدعاء مثلاً مُقدَّر و البلاء مُقدر فقد يرفع الله -عز وجل- البلاء بالدعاء قبل نزوله فهو رفعٌ لقدرٍ بقدر؛ فيمرن العبد المسلم نفسه على الإيمان بقضاء الله وقدره حتى لا يدع يدخل عليه خلل يضعف إيمانه ويوجب له الاعتراض على القدر في بعض الأوقات أو الشك أو سوء الظن بالله -عز وجل-؛ بل يمرن نفسه حتى يعرف هذا المقام معرفة تامة؛ لذا لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اللو التي معناها التحسر على ما فات الإنسان أو فرط فيه أو ما شاكل ذلك في ما مضى من الزمان؛ أمر بالاستعانة بالله —عز وجل- على فعل الأسباب النافعة والاستعانة به على ترك ما يضر في الدين والدنيا، ونهاه عن العجز والكسل وسوء الظن واليأس والقنوط، كل ذلك لا يجوز بل عليه أن يستعين بالله ولا يعجز عن ذلك ثم ينتج عن العجز ينتج عنه قوله لو أني فعلت كذا لكان كذا، وهو يعلم أن القدر قد كُتِبَ ولابد أن يكون في وقته، فلا معنى ولا موقع لِلو في شيء قد جرى به القدر وقد حصل وكان، ولا يبعث عليه إلا ضعف الإيمان، أما لو في

المستقبل لا حرج من استعمالها لقول النبي صلى الله عليه وسلم "لو استقبلت من أمري ما استدبرت وما سقت الهدي ولجعلتها عمرة".

وهذا في المستقبل فإذا قال الإنسان لو حصل لي في المستقبل كذا وكذا لأفعلن كذا وكذا وهو صادق لا كما قال المنافقون الذين قص الله خبرهم: {لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} وهو غير صحيح؛ {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة: 75-76]

فإذا كان العبد هو صادق من قلبه ولسانه لإن حصلتُ على كذا وكذا لأفعلن كذا من الخير يعني، لا حرج عليه لأن هذه (لو) بمعنى إنْ الشرطية إن حصل كذا فعلت كذا إذا قال وهو صادق وجازم لا حرج عليه طالما هو في المستقبل لا في الماضي، وأما في الماضي فإن "لو" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تفتح عمل الشيطان .

أسئلة:

-سائل يقول: هذا السؤال يقول حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((لولا أنا لكان في الدرك الأسفل)) عندما سأله عمه العباس -رضي الله عنه- لقوله لقد كان أبا طالب يحامي عنك ويدفع عنك فهل نفعته بشيء؟ قال نفعته بشيء

الشيخ: هذا خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام، لا يجوز أن يكون دليل للإنسان أن يستعمل (لولا) في ما مضى.

-هذا سؤال يا شيخ يقول ما قولكم في قوله ولا يرد القضاء إلا الدعاء هل الدعاء يرد القضاء والقدر؟

الشيخ: الدعاء من القضاء والقدر والبلاء قضاء وقدر، فكل شيء بقضاء وقدر فقد يقدر الله شيء ثم يُقدر أن هذا الشيء لا يقع بسبب الدعاء الذي قدّره فيؤمن الإنسان بأن البلاء ورفع البلاء كلاهما من القدر، والإيمان بالقدر سهل لكن لابد من التأمل فيه وتمرين النفس عليه بتذكيرها دائمًا وأبدًا، حتى لا يكن هناك شيء من التحسر على شيء فات أو على شيء حدث، تذهب النفس عليه حسرات وهو يؤمن بأنه بقضاء وقدر، نعم يتحسر

ويأسف إذا وقع في المعاصي مع إيمانه بأنها بقضاء وقدر لكن يأسف الإنسان خجلاً من الله وحياءً وأنه تسبب في هلاك نفسه، فيبادر دائمًا إلى التوبة فإذا بادر إلى التوبة تحول من حال إلى حال آخر إلى حاله الأولى قبل السيئة؛ بل إلى أحسن؛ من تاب توبة صادقة؛ بَدَّل الله سيئاته حسنات في نص القران.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب: النهي عن سب الريح عن أُبي بن كعب -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر (هذي) الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به" صححه الترمذي

الشرح:

هنا نذكر الريح وردت بلفظ التأنيث ولفظ التذكير، الرياح والريح، والغالب أن الرياح (...) بالخير كما جاء ذكرها في القرآن لواقح، لواقح السحاب فينتج المطر.

فوردت في التذكير ريح، والغالب أنها وصف لما يُكره قد يكون فيها عذابًا؛ لقول الله تعالى: {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة:6]، إلا إذا وصفت الريح بالطيب فهي بمنزلة الرياح {وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} [يونس:22]، فهي مستعملة في الخير هنا بخلاف {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} استعملت في ما يكره الناس في الشر في العذاب، وعلى كلٍ سواء ذكرت بلفظ الرياح أو بلفظ الريح أو جاءت بما يحب الناس أو بما يكرهون؛ فإنه لا يجوز لأحد أن ينسب إلى الريح خيرًا أو ينسب إليها شرًا؛ أي أنها تأتي هي بالخير أو تأتي بالشر، وما ذلك إلا لأنها مسخرة سخرها الله -تبارك وتعالى- وهي تجري بأمر الله تجري إلى حيث أمرها الله أن تتوجه، وآية ذلك أنك ترى الرياح أو الريح تتجه شمالاً وتتجه جنوبًا وتتجه شرقًا وتتجه غربًا ليس بأمرها الأمر كله بيد الله -تبارك وتعالى- وهو الذي يصرف الرياح يمنةً ويسرةً وإلى أي جهة أراد لحكمة، وهو الذي يُصرِّف السحاب كذلك ويُنشؤه؛ إذًا

لا يجوز لأحد إذا رأى من الريح ما يكره لا يجوز له أن يسب الريح؛ لأن سبه للريح يعتبر أذى لله -تبارك وتعالى- لأنه هو مصرفها، والكلام في النهي عن سبها كالكلام في النهي عن سب الدهر؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبُّوا الدهر فإن الله هو الدهر))؛ يعني أن الله هو الذي يتصرف في الدهر وهو الذي يتصرف في الريح، ويصرفها حيث شاء فإذا رأى الناس رياحًا وكانت لواقح للخير تبعها الغيث واستبشروا بها، قالوا خيرًا، حمدوا الله -عز وجل- ولم يعلقوا قلوبهم بالرياح؛ بل يعلقوا قلوبهم بمن يصرف الرياح سواء رأوا منها ما يحبون أو رأوا منها ما يكرهون، يعلقون قلوبهم بالله -تبارك وتعالى- الذي يُصرِّف الرياح ويصرف غيرها من مخلوقاته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى السحب المتراكمة ورأى الغيوم ورأى الرياح تغير حاله وكان يدخل ويخرج؛ بينما الناس الآخرون يستبشرون لأنهم يؤملون أن من ورائها خير؛ فلما رأته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وهو ينظر إلى السماء ويدخل ويخرج مشغولاً؛ قالت له: لماذا؟ فتلا عليها الآية: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} [الأحقاف: 24-25] فيخاف النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون عذابًا؛ لأنه أخوف الناس من ربه -تبارك وتعالى- مع أنه أزكى الناس وأكمل الناس وأحب الناس إلى الله -عز وجل-، ولكنه يقدر الله حق قدره ويخافه ويرجوه، وكما ينبغي للمؤمن أن يكون خائفًا وراجيًا ربه -تبارك وتعالى- ؛ لذا لا يجوز لأحد إذا رأى ما يكره من الريح أن يسبها أو يقول هذا شر أو آذتنا، فإما أن يلعن وإما أن يشتم فيقع في المأثم.

والمناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد ظاهرة؛ إذا سب الريح وهو يعلم أن الله هو الذي صرفها ويعلم الحكم إن قامت عليه الحجة؛ فهو جاء بمأثم ينافي أصل التوحيد، وإن كان جرى على لسانه هذا النحو الذي فيه أذى لله -تبارك وتعالى- لكنه لا يريد أن يسب أمرها ومصرفها، ولما نهى عن ذلك أرشد إلى ما ينفع وفيه السلامة؛ قال: ((فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم أن نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به)) هذه من الأذكار المقيدة عند رؤية الريح وهبوب الرياح لاسيما الشديدة؛ "نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما

أمرت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به"؛ فهذا هو السبب الذي ينبغي أن يأتي به المسلم ولا يسب الريح ولا يتسخط ولينظر لشأن من أجراها وأرسلها وهو الله – تبارك وتعالى–؛ فإذا قدر الله حق قدره؛ فهذا من كمال التوحيد وإن زلق لسانه بما لا يجوز له من سب وشتم وتسخط فقد أتى إما بما ينافي أصل توحيده، أو ينافي كمال توحيده وكلاهما سواء .

–**السائل**: يقول ما حكم استخدام (لو) في الأمر الماضي في فعل الخير مثلاً: لو حضرت الدرس لاستفدت؟

الشيخ:

بالنسبة للماضي (لو) لا تستعمل لأن ما مضى وفات هو بقدر بقضاء وقدر فإذا جاء بـ "لو" هنا فهو اعتراض على القدر وعكس القدر؛ لأن الشيء الذي قدره الله –عز وجل– لا يمكن أن يتأخر لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر، ولو هنا التي ينتج عنها التحسر والاعتراض على القدر ولا تفيد شيئًا، لا تعيد الوقت الذي تحسر عليه ولكن عليه أن يندم على ما فات وأن يعوضه في المستقبل حتى لا يدع فيه حرج؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان وإنما جازت في المستقبل لفعل الخير مع الصدق والعزم، أما في ما مضى فلا، ولو كان تحسُّره نابعًا من قلبه إلا أنه يجب عليه أن يؤمن بالقدر وأن شيء قد فُرغ منه لا يمكن أن يعود؛ لكن يعزم في المستقبل على إصلاح حاله تائبًا مستغفرًا والندم توبة ولا فيه اعتراض.

المتن:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب قول الله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} وقوله: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر في ظنهم أنما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته؛ ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح؛ وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظنوا غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد أن حسن الظن بالله -عز وجل- توحيد، حسن الظن بالله توحيد، وذلك أن يُحسن المؤمن الظن بربه إن أصابته ضراء وإن أصابته سراء لا يسيء الظن بالله -عز وجل-، إن أصابه مرض أو فقر أو خوف فإنه يحسن الظن بالله، وأنه هو المتصرف بعباده بما يشاء ويريد من خير يصيبهم به أو شر يوقعهم فيه فهو الحكيم؛ فالمؤمن تجده راضٍ يرضى بقضاء الله وقدره ولا يسخط؛ لأنه لو سخط أساء الظن

بربه؛ لأن الله [...] منه أو سلط عليه كذا وكذا؛ فيكون قد أساء الظن بالله فوقع في صفات المنافقين؛ لكن حسن الظن بالله، الرضا بالقضاء والقدر، والمحبة لله -عز وجل- وأنه رحيم بعباده ويجب أن يشكر على نعمه ويحمد على أفعاله، هذه صفات المؤمنين فلا يسيء الظن بربه أبدًا بل يحسن الظن بربه.

إذن المناسبة بين الباب وبين كتاب التوحيد أن حسن الظن بالله دائمًا وأبدًا توحيد، ولا يصدر إلا من قلب مؤمن، وأن سوء الظن بالله —عز وجل- كفر ينافي أصل التوحيد؛ لأن من أساء الظن بربه فقد كفر به، وبهذا جاءت الآيات في صفات المنافقين والمشركين {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} [آل عمران:54] يسيئون الظن بالله -تبارك وتعالى- ظنًا باطلاً غير الحق؛ بينما المؤمنون يظنون بالله الحق، لا يظنون بربهم إلا أنه رحيم بهم، وأنه يفعل الأشياء ويقدر لحكمة، وأنه وعد بنصر دينه ونصر رسوله عليه الصلاة والسلام، وكل هذا حق تجد المؤمنين يصدقون بذلك ويحسنون الظن بالله -تبارك وتعالى- بينما المنافقون والمشركون يسيئون الظن بالله -تبارك وتعالى-؛ كما وصفهم بقوله: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} كظن الجاهلين قبل الإسلام الذين يظنون بالله ظن السوء ووصفهم بقوله: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ} [الفتح:6]، ثم دعا عليهم {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} فكل من أساء الظن بالله -عز وجل- ولو كان من المسلمين؛ فقد تشبه بالمنافقين والمشركين.

إذن فوجب حسن الظن بالله في كل موطن من مواطن الحياة، وبالأخص عند حضور الأجل؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه))؛ يعني أنه سيرحمه إذا قرب أجله ودنى عليه أن يحسن الظن بالله -تبارك وتعالى- أكثر وأكثر فلا يسوء الظن ولا يقنط من رحمة الله ولا ييأس، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)) أنه أرحم الراحمين وأنه خير الغافرين وأنه يقابل ذنوب عباده المؤمنين بالغفران والرحمة.

وظن الجاهلية الذي ذكره الله -عز وجل- في القران: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} من ظنون الجاهلية: عدم الإيمان بالقدر، لا يؤمنون بالقدر؛ بل يظنون أن الله يفعل الأشياء قبل أن يعلمها يقدرها ويفعلها بمشيئته بدون حكمة وبدون سابق علم؛ هذا ظن

الجاهلية، كما أن ظن الجاهلية هو ما يتصوره المنافقون والمشركون من أن الله لا ينصر رسوله ولا ينصر دينه؛ بل (...) الكفار والمنافقين على المؤمنين والمسلمين فينتهي دين الإسلام ولا يبقى منه شيء وهذا من ظن الجاهلية، وهكذا من ظن الجاهلية اعتقادهم أن الله لا ينصر رسوله عليه الصلاة والسلام والصحابة وأصحابه الكرام ظنوا أن الله لا ينصر الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه لا ينصر أصحابه الكرام، وأنه سيسلط عليهم الأعداء، وهكذا من ظنهم أنهم لو جلسوا في بيوتهم ما أصابهم شيء من القدر، وكل هذا كفر بالله -تبارك وتعالى- حذّر الله المؤمنين والمسلمين أن يقعوا في شيء من هذه الظنون؛ بل عليهم أن يحسنوا الظن بالله وأن يؤمنوا إيمانًا جازمًا بأن الله سينصر دينه وينصر رسوله عليه الصلاة والسلام وينصر أتباع الدين وأنه يهزم المشركين؛ كما قال الله -عز وجل-: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [النجم:45] ما رأى من موقعة من المواقع وقع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيها شيء من الاعتداء عليه والابتلاء إلا وأعقبهم الله -عز وجل- بذلك نصرًا؛ كما في غزوة بدر وكما في قصة الحديبية وغيرها من المواقع التي نصر الله -عز وجل- فيها الرسول والصحابة الكرام ومنحهم من الكفار غنائم جعلهم غنائم لهم رجالهم ونساءهم وصبيانهم وأموالهم وصار الدين كله لله -تبارك وتعالى-، وهذا بفضل الله ثم بجهود الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ومن معه من أصحابه الكرام الذي نصر الله -عز وجل- بهم دين الإسلام إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، وفي الحديث: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرين)) وذلك بفضل الله ثم بجهاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم وسلك مسلكهم ونهج منهجهم والله أعلم.

شرح كتاب التوحيد

للشيخ: محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–

شرح فضيلة الشيخ:
زيد المدخلي –حفظه الله–

الشريط السادس عشر

فريق التفريغ بشبكة الحرائر السلفية

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى–:

باب ما جاء في منكرِ القدر

وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر؛ ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))" رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال له: اكتب؛ فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))، يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من مات على غير هذا فليس مني))".

وفي رواية لأحمد: ((إن أول ما خلق الله تعالى القلم؛ فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)).

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار)).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي؛ فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار؛ قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم" حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد هي:

أولاً: أن الإيمان بالقدر على الوجه الشرعي توحيد وإيمان، وذُكِرَ في كتاب التوحيد؛ لكونه توحيد ولكونه إيمان وركن من أركان الإيمان.

ومن ناحية أخرى: إنكار القدر كفر، والكفر ينافي أصل التوحيد، وبضدها تتميز الأشياء؛ فذُكِرَ موضوع القدر والإيمان به وعدم الإيمان به في كتاب التوحيد بهذه المناسبة؛ لأن المؤمن بالقدر موحد تمام التوحيد، والمنكر للقدر كافر إنكاره هذا ينافي أصل التوحيد.

أما من حيث الأحكام المتعلقة بهذا الباب فهي أحكام عظيمة وينبغي التفطن لها والتدبر في نصوصها؛ حتى يكون الإنسان على بصيرة فلا ينزلق في خطأ بسبب قلة العلم في هذا الباب؛ فأولاً: يجب أن يُعْلَم أن كل شيء من أمر الدنيا والبرزخ والآخرة كله بقدر وقد جرى به القلم وكُتِبَ فلا يمكن أن يتغير مكانًا ولا زمانًا ولا وصفًا؛ بل لابد أن يكون كما كُتِبَ قلَّ أو كَثُرَ سواء كان مما يتعلق بالذوات أو ما يتعلق بالصفات أو يتعلق بأمر الدنيا أو بأمر البرزخ أو بأمر الآخرة؛ كل ذلك قد جرى به القلم؛ فلابد أن يكون كما جرى به القلم، ولا يجوز لأحد أن يشك أو يتردد؛ حتى الشوكة يشاكها الإنسان ذاك زمانها ومكانها ووصفها لا يمكن أن تتقدم أو تتأخر عن ذلك، وما هو أكبر من ذلك فيأخذ الحكم؛ لأن حكم القدر واحد، وهو كما قيل: نظام التوحيد، فمن صَدَّق به فهو الموحد، ومن أنكر القدر وكذب به؛ نقض تكذيبه توحيده، أو بشيء من القدر؛ لذا وجد التفطن لهذا الأمر العظيم: الإيمان بالقدر.

وقد (..) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بقي في نفسه شيء منهم ذهب إلى الآخر يستفسره ويأخذ العلم منه، والعالم يبذل ما عنده من علم مستدلاً على ذلك بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الوعيد الذي يترتب على من أنكر القدر أو شقه فيقول: لو مت على غير هذا؛ ألقاك الله في النار.

والمراد به، المراد بالقدر: التدبير والقضاء الذي قدَّره الله وقضاه، وبالتتبع والاستقراء أنواع التقدير:

الأول: التقدير الأزلي وهو ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ وقال الله -عز وجل- عنه: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس: 12] وهو اللوح المحفوظ الذي أمر الله القلم أن يكتب فيه كل ما هو كائن إلى قيام الساعة، وهذا التقدير هو الأصل، هو الأصل لكل التقادير التي جاءت بعده.

والتقدير الثاني: في بطن الأم؛ كما في حديث عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)). الحديث، وهذا تقدير عمري وهو الذي يكتبه الملك بأمر الله، والجنين في بطن الأم؛ فلا يمكن أن يخالف التقدير الأول، لا يمكن أن يخالفه أبدًا لا بقليل ولا بكثير.

والتقدير الثالث: التقدير الحولي وهو ما يكتب من العام إلى العام، ما يكتب في رمضان في ليلة القدر؛ كما قال الله —عز وجل-: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدخان: 3]؛ ثم قال: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: 4]؛ أي: ليلة القدر يُكتَبُ كل ما يجري في تلك السنة المستقبلة إلى تلك الليلة من العام المقبل، يُكتَبُ كل ذلك من خير وشر وحياة وموت وأمور مقدرة، ويتفق هذا التقدير مع ما سبقه من التقدير في بطن الأم والتقدير الأزلي، يتفق فلا يختلف أبدًا.

والرابع: التقدير اليومي وهو ما يعمله العباد، وما يجري في اليوم من خير وشر وأمور متعددة ومختلفة ومتنوعة كل ذلك يأتي متفق مع ما سبق من التقادير التي سبق ذكرها، وذلك دليل على قدرة الله –تبارك وتعالى– وعلى كمال علمه وحكمته وفضله ورحمته وأنَّه العالم بالأول والآخر والظاهر والباطن، ولا يمكن أن يقع في الكون شيء لا يعلمه الله أو علمه بعد ما يكون؛ كما تقول فرق المبتدعة.

فآمن أهل الإيمان –أهل السنة– آمنوا بالقدر كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وفهمه أصحابه الكرام، من خير وشر، جملةً وتفصيلاً؛ آمنوا به إيمانًا لا تردد فيه ولا شك، وإنما هو على طريقة أهل السنة والجماعة، كل ما يقع في الكون سمائه وأرضه وما بين ذلك فهو في كتاب؛ كما قال الله تعالى: {لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى} [طه: 52].

وخالفت في الفرق المبتدعة باب القدر خالفت فيه القدرية، فرقة من الجهمية الغلاة تسمى القدرية؛ هؤلاء أضلهم شخصان: معبد الجهني وغيلان الدمشقي، أنشآ فتنة القول بالقدر في الكوفة أو البصرة ما أدري، وسمعهم بعض أهل السنة الأذكياء؛ فاستغربوا قولهم أنه لا قدر، يقولون للناس: لا قدر وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، والله لا يعلم الأشياء

إلا بعد وقوعها؛ فغلوا حتى وقعوا في أشنع الكفر، اتهموا الله بالجهل وجعلوا مع الله خالقين متعددين؛ فجاء في الأثر: "أنهم مجوس هذه الأمة"، وشبهوا بالمجوس؛ لأن المجوس يقولون بخالقين خالق للشر وخالق للخير، النور والظلمة، قالوا: النور خالق الخير والظلمة تخلق الشر، ففضلوا أحد الخالقين على الآخر ولكن جعلوا مع الله خالقين.

والقدرية المعطلة الجهمية جعلوا مع الله خالقين متعددين لا حصر لهم؛ أي: كل عبد يخلق فعل نفسه؛ انقسموا إلى قسمين:

قسم قالوا: كل فرد يخلق فعل نفسه خيرًا وشرًا، يخلق الخير ويخلق الشر بمحض قدرته وليس لله في ذلك عمل ولا خلق؛ فجعلوه مع الله خالقًا، الله خلق الذات وهذه الذات خلقت الفعل!

وقسم منهم قالوا: إن العبد يخلق الخير ولا يخلق الشر متناقضين في دعواهم وكلها من اعتقد صحتها فهو مشرك الشرك الأكبر شرك في الربوبية؛ قالوا الفرقة الثانية قالوا: إن الله يخلق الخير ولا يخلق الشر والعبد هو الذي يخلق الشر؛ وكلا القولين رديء ولا أصل له.

وتقابل هذه الطائفة المجبرة أو الجبرية تُسمى، عكس ما قالت القدرية؛ قالوا: إن العبد لم يخلق شيئًا ولم يفعل شيئًا بإرادته واختياره وإنما هو مجبور؛ أي: الكافر مجبور على الكفر والفاسق مجبور على الفسق وهكذا، فمن لازم هذا القول أن الله يعذب العاصي ظلمًا ولا يعذب عدلاً وحكمة.

وعند أهل السنة أن العبد يعمل الأعمال باختياره ومشيئته التابعة لمشيئة الله، وأعطاه القدرة والاختيار وأمره بفعل الطاعة وترك المعصية، فإن امتثل فهو المثاب وإن عصى فهو الذي ظلم نفسه وأساء إليها، وأصابه الوعيد الشديد على ترك الطاعة وفعل المعصية، هذه الطائفة قل نصيبها من العلم فأساءوا الظن بالله -تبارك وتعالى- وقالوا: إنه يظلم الناس، والله نزه نفسه عن الظلم بل وإرادة الظلم؛ كما قال سبحانه: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: 46] {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: 40] وقال سبحانه: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر: 31] .

وفي الحديث القدسي يقول الله: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا)) فبطل قول الطائفتين القدرية والجبرية، وأنهم أساؤوا الظن بالله -تبارك وتعالى-.

ومن غزارة علم الشيخ محمد بن عبد الوهاب أتى بهذا الباب بعد الباب الذي قبله، وفيه وصف المنافقين بسوء الظن فإنكار القدر ومخالفته من باب سوء الظن بالله -تبارك وتعالى-؛ لذا وجب التبصر في باب القدر في نصوص القدر كتابًا وسنة، ومنها قول الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2] {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: 8] كل هذا من باب القدر الذي لا يتخلف.

وأما الحديث الذي فيه: ((واعلم أن ما أصلبك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك)) هو من أوضح النصوص في باب القدر أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ولو اجتمع من في السماوات ومن في والأرض على الدفاع عنك ما استطاعوا؛ لابد أن ينفذ القدر وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو كانت الدنيا كلها خصمك؛ فوجب الإيمان الثابت في القلوب بمثل هذا النص حتى يموت الإنسان على سنة، واعلم أن ما أصابك من حياة أو موت أو فقر أو غنى أو صحة، خوف ونحو ذلك كل ذلك، كل ما أصاب المخلوقات ناطقها وصامتها إنسها وجنها وسائر العوالم لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ ولهذا رفعت الأقلام وجفت الصحف، وهو أمر قد فُرِغَ منه؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر -رضي الله عنه- لما قال له: ففيم العمل، في شيء مستأنف أم في شيء قد فُرِغَ منه؟ قال: ((بل في شيء قد فُرِغَ منه))؛ أي: قدره الله وقضاه وختم عليه فلا يمكن أن يتغير منه مثقال ذرة، لا في عالم الأرض ولا في عالم السماء، ولا بالنسبة لبني آدم ولا لغيرهم من المخلوقات، كل شيء جرى به القلم لا بد أن يكون.

وفي الحديث الذي فيه أول ما خلق الله القلم هذا الحديث ظاهره التعارض مع حديث: ((إن الله قدَّر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ثم خلق القلم وقال له: اكتب)) تدل النصوص على أن أول المخلوقات العرش والماء قبل القلم، وكان عرشه على الماء وأول ما خلق القلم أولية مقيدة، وخلق العرش والماء أولية مطلقة

بحيث لم يكن قبل العرش والماء شيء أبدًا من المخلوقات، لقوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: 7] ثم خلق القلم وقال له: اكتب، وأول ما خلق الله القلم، هذه أولية مقيدة بما بعد العرش والماء فلا تعارض بين النصين. والله أعلم.

سؤال: يا شيخ القضاء والقدر بمعنى واحد؟

الجواب: نعم بمعنى واحد

[المتن]

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة)) أخرجاه.

ولهما عن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله)).

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم)).

ولهما عنه مرفوعًا: ((من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: "قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته".

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب -وهو ما جاء في المصورين- وبين كتاب التوحيد:أنَّ التصوير لما فيه من المضاهاة بخلق الله نوع من أنواع الشرك، والشرك إذا كان أكبر ينافي أصل التوحيد

وإن كان أصغر ينافي كمال التوحيد؛ فجاء هذا الباب: باب ما جاء في المصورين بأن التصوير بحسب الحالات، قد يكون منافيًا لأصل التوحيد إذا ضاهى المصور بخلق الله؛ أي: شبه ما صنعه شبهه بخلق الله تعالى وادعى بأنه مثل ما خلق الله أو أحسن؛ فهذا كفر ينافي أصل التوحيد، وإن لم يدع هذا الادعاء لكنه يصور ويفتخر بهذه الحرفة؛ فإنه ينافي كمال التوحيد.

والأحاديث بمجموعها في هذا الباب تدل على أن عملين من الكبائر، العمل الأول: التصوير، والعمل الثاني: رفع القبور؛ لأن كلا منهما وسيلة من وسائل الشرك، إن لم يكن شركًا فهو وسيلة من وسائل الشرك ووسائل الشرك تنافي كمال التوحيد، والشرك الأكبر والكفر الأكبر ينافي أصل التوحيد، فمن ادعى أنه يصور كخلق الله وقادر على أن يصنع من الخلق ما يصنعه الله -تبارك وتعالى-؛ فهذا كفر صريح، وأما الذي لا يدعي هذا الادعاء وهو يصور؛ وقع فيما ينقص كمال توحيده، ينافي كامل توحيده.

وبعض العلماء فصل في التصوير، وفرق بين تصوير ذوات الأرواح وغير ذوات الأرواح، فما كان من ذوات الأرواح أيضًا إما أن يكون تصويره بالنحت أو الرقم أو بالآلات الحديثة المعروفة في هذا الزمن، فما كان بالنحت أو الرقم؛ فاتفقوا على تحريمه، وأنَّ هذه الأحاديث تنصب عليه، من نحت نحتًا حتى أظهر صورة مجسمة على شكل الآدمي أو شكل الحيوان أو رقم رقمًا في قصات بيده أو ورقة أو كتابًا أو ثوبًا؛ فالرقم تصوير.

واختلف العلماء المعاصرون في الآلات التي يصور بها في هذا الزمن التصوير الفوتوغرافي، منهم من يرى أنه لا محظور فيه مطلقًا؛ لأنه ليس تصويرًا وإنما هو حبس ظل، ومنهم من يرى أنه تصوير ولا يخرجه عن التصوير كونه بآلة كونه آلة لا يباشر عمله باليد ولا بالقلم وإنما هو التقاط بآلة سريعة، ومنهم من يرى التعميم وأن حكم التصوير لذوات الأرواح واحد سواء بهذه الوسائل الحديثة أو بغيرها من النحت والرقم.

والشيخ عبد العزيز بن باز يميل إلى التعميم، كان يميل إلى أن التصوير محرم عمومًا سواء بهذه الوسائل الحديثة أو بغيرها كالنحت والرقم ونحوه، قال: "لأن النصوص عامة، وأن العلة موجودة وهي المضاهاة لخلق الله؛ أي: المشابهة".

وأما ما لم يكن من ذوات الأرواح كالشجر والحجر والماء ونحو ذلك؛ فهذه أيضًا محل نظر للعلماء، هل تدخل في النهي عن التصوير أم أنه لا محظور في تصوير هذه الأشياء التي لا روح فيها؟ من العلماء من يرى التعميم حتى في غير ذوات الأرواح؛ كالأشجار والثمار عناقيد العنب أو الموز أو البرتقال أو أي شيء من الثمار؛ لأنَّ هذه أودع الله فيها حياة والذي يصور ضاهى خلق الله -تبارك وتعالى- فيها، ومنهم من يرى الجواز وعليه الأكثر ودليله أثر بن عباس إن كان لابد فهذه الأشجار، والأحوط في ذلك أن يبتعد الإنسان عن التصوير مطلقًا سواء نحتًا أو رقمًا من ذوات الأرواح أو من غيرها إلا ما دعت إليه الحاجة والضرورة؛ فالضرورات تبيح المحظورات كما هو الحال في هذا الزمان، لما كثرت الخيانة من الناس والتسلل من دولة إلى أخرى للإفساد وعلى رأس المفسدين اليهود والنصارى والصهيونية عامة؛ احتاجوا الناس إلى الصورة، احتاجت الدول إلى تصوير الأفراد، هذا من دولة كذا وهذا من دولة كذا يحمل جوازًا أو بطاقة أو نحو ذلك؛ دفعًا للمفسدة وجلبًا للمصلحة، فالمصلحة تستدعيها، وكذلك المفسدة التي تترتب على الفرد تستدعي أن يتصور الإنسان من أجل قضاء الحاجة وتطبيق النظام نظام الدولة لما يترتب عليه من المصلحة وتندفع المفسدة، وليكن بحسب الحاجة فقط لا يتوسع فيه كمن يصورون الصور ويعلقونها في البيوت أو يقولون للذكرى! هذا كله لا يجوز ولا ينبغي؛ بل يأخذ من هذا بقدر الحاجة فقط؛ لأن الأصل فيه التحريم وإنما أبيح منه شيء للضرورة فقط.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: 89].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب)) أخرجاه.

وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل (الله) بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه)) رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا - ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِمَنْ)).

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)).

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد أن كثرة الحلف بالله في كل وقت وحين، وفي كل شأن من الشؤون؛ وسيلة إلى الاستخفاف بحق الله -تبارك وتعالى-، ووسيلة أيضًا إلى الكذب وعدم تعظيم الله وتعظيم أسمائه، وهذه أعمال تنافي كمال التوحيد، عدم تعظيم الله وتعظيم أسمائه بكثرة الأيمان؛ ينافي كمال التوحيد؛ لذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من كثرة الحلف؛ بل حذر الله تعالى من كثرة الحلف بالله إلا عند الحاجة، عند الحاجة لا حرج، من أراد أن يحلف فليحلف بالله أو ليسكت، وذلك عند الحاجة وأما في كل شأن من الشؤون يحلف بالله، يحلف بصفة من بصفاته؛ فإنه إذا أكثر الحلف قل التعظيم في قلبه لله -تبارك وتعالى-؛ لأنه يحلف عند الصغيرة والكبيرة والجد والهزل فينافي، كثرة الحلف ينافي كمال التوحيد؛ لما فيه من عدم كمال التعظيم، وفي المقابل حفظ اليمين فيها احترام لله -عز وجل- واحترام لأسمائه وفي ذلك كمال التوحيد .

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-:

قال الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: 89].

الشرح:

نعم حفظ الأيمان هذا هو الأصل؛ إلا عند الحاجة، إذا طلب منه اليمين أو جاء أمر من الأمور يستدعي أن يقسم عليه من أجل المصلحة، إما إزالة شبهة وإما تأكيد فأقسم عليه لا حرج هذا مما تدعو الحاجة إليه وأما بدون حاجة يتكلف ويحلف ويعيد ويحلف ويجد ويحلف ويمزح ويحلف وهكذا؛ هذا يتنافى مع كمال التوحيد. نعم.

المتن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب)) أخرجاه.

الشرح:

نعم الحلف منفقة للسلعة هذا فيما يتعلق بأهل البيع و الشراء، الذين يكثرون الحلف في بيعهم وشرائهم وأخذهم وعطائهم، لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه صادقًا أو كاذبًا، وكثرة الأيمان في البيع والشراء تجر إلى الكذب ولابد؛ لذا ذم النبي صلى الله عليه وسلم من يبيع بيمينه ويشتري بيمينه، وبيَّنَ بأنَّ الحلف يكون سببًا في نفاذ السلعة وبيعها ولكن ممحوق البركة؛ يعني: تنفذ السلعة و[تكمل] من لديه ولكن البركة ممحوقة وهي عقوبة من العقوبات كونه يستهين بشأن الله -تبارك وتعالى- فيكثر الحلف وإن صدق، يكثر الحلف، أما إن كان كاذبًا فظلمات بعضها فوق بعض، كونه ينفق السلعة بالحلف وكونه يحلف كاذبًا هذا أشد إثمًا، وإن حصلت وإن رأى بأنه باع ما لديه وتخلص منه ورَبِحَ إلا أنه ممحوق البركة يسلط الله على هذه المكاسب ما يذهبها فتذهب لا بركة فيها ولا خير فيها؛ لذا وجب على الإنسان أن يبيع ويشتري مع حفظ الأيمان لا يحلف ولكن عليه أن يصدق فلا يغش، الناس ليسوا سواء في المماكسة؟ هذا يحسن المماكسة وهذا لا يحسن؛ يعني يؤمَّن من يشتري منه ولا يجوز له أن يخدعه أو يزيد عليه في الثمن حتى أنه يحمله ما ليس عليه، والحديث وإن جاء على لفظ الخبر إلا أنه يدل على التحريم، على تحريم كثرة الأيمان حال البيع والشراء.

المتن:

وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أُشَيْمِطٌ زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل (الله) بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه)) رواه الطبراني بسند صحيح.

الشرح:

الحديث صريح على أن هذه الثلاثة الأعمال من كبائر الذنوب؛ لأن جاء فيها الوعيد الشديد، وعيد شديد، لا يكلمهم الله يوم القيامة ويعرض عنهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من كبائر الذنوب فبيَّنَ صفاتهم:

أُشِيْمِطٌ زان؛ بمعنى: كبير السن قد [وخطه] الشيب وهو تميل نفسه إلى جريمة الزنا أو تميل نفسه إلى وسائل الزنا، ووسائل الزنا متعددة؛ النظر والتلذذ بالأصوات؛ كما في هذا الزمن، فإن فات النظر على الطبيعة ما فات على الشاشات، ومن هنا وجب على طلاب العلم خصوصًا وعلى المسلمين عمومًا أن يغضوا أبصارهم سواء رأوا على الطبيعة النساء، أو بواسطة الشاشات التي تعرض النساء الكاشفات العاريات اللاتي جُعِلنَّ فتنة للناس في هذه الأزمنة؛ فالزنا محرم وجريمة منكرة على الشاب وعلى الكهل وعلى الشائب؛ إلا أنه من الشائب أشد جرمًا وأشد إثمًا؛ لأنه ما جعله يميل إليه إلا قبح النفس وشرها؛ لأن عنفوان الشباب والشهوة قد ذهبا بخلاف الشاب قد تقول أنه شاب يميل إلى النساء ورؤيتهن والزنا؛ لأنه شاب قوي ثائر الشهوة أما الأُشَيْمِطْ الذي قد اختلط رأسه بالشيب ولحيته بالشيب وهو يميل إلى الزنا ويتحدث به؛؛ بل ويحاول الوقوع في الجريمة فهذا أبغضه الله –تبارك وتعالى–؛ لأن الحامل له على الزنا ووسائله إنما هو قبح النفس وفجورها والشهوة التي تبعث على هذه الجريمة المنكرة.

والعائل المستكبر: العائل الفقير؛ كما قال الله –عزَّ وجل–: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} [الضحى: 8] مع العيال أيضًا، وهو مع ذلك مستكبر متصف بصفة الكبر وهذه كبيرة من كبائر الذنوب؛ لقول الله —عزَّ وجل– في الحديث القدسي: ((العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحًدا منهما عذبته بالنار)) فلا يجوز للمكلف أن يتصف بصفة الكبر؛ لأن الكبرياء لله –تبارك وتعالى– فلا ينازع الله في صفته ويرفع من شأنه ويتعاظم على غيره، ولما كان من بواعث الكبر الغنى بالمال، كثرة المال تبعث على الكبر واحتقار الآخرين، والجاه والمنصب وأي وسيلة، سبب من أسباب الرفعة تحمل الإنسان على الكبر؛ لكن العائل المستكبر ما هو الذي يحمله على الكبر؟! وهو فقير ويحمل عائلة تحتاج إليه؟! إلا قبح النفس وتعاظمها بدون موجب لذلك؛ لذا صار من جملة أهل الكبائر.

والشاهد من الحديث الفقرة الأخيرة: "ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه)) وهذا محل الشاهد من الحديث في هذا الباب؛ يعني: كثير الحلف في البيع و الشراء، إن باع حلف وإن اشترى حلف وإن أخذ كذلك، فدائمًا وأبدًا لا يتورع سواء حلف صادقًا أو حلف كاذبًا لا يعظم الله –عزَّ وجل– ولا يقدره حق قدره فصار من أهل الكبائر،

والواجب أن يبيع ويشتري بدون أن يكثر الحلف فإن لزم الأمر وحلف مرة أو مرتين لغرض من الأغراض الصحيحة؛ لا حرج؛ لكن دائمًا وأبدًا يستعمل الحلف في بيعه وشرائه؛ فهو صاحب كبيرة ذمه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذم الذي يستحقه هو ومن ذكروا في بقية الحديث .

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة و السلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-: في باب ما جاء في كثرة الحلف

وفي الصحيح عن عمران بن حصين –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم – قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا – ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِمَنْ)).

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)).

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

الشرح:

مضى معنا في درس البارحة أن المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد؛ أن حفظ اليمين فيه تعظيم لله -تبارك وتعالى-، وتعظيم الله من كمال التوحيد وكمال الإيمان، والعكس بالعكس؛ أنَّ عدم حفظ الأيمان والتسحاهل بها؛ سبب في عدم تعظيم الله -تبارك وتعالى-، وسبب في عدم تعظيم أسمائه وصفاته، وهذا ينافي كمال التوحيد؛ فأورد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الحديث في كتاب التوحيد؛ لأن مناسبته ظاهرة حفظ الأيمان من كمال التوحيد، والتساهل في الأيمان والإكثار منها سبب في الاستهانة بالأسماء الحسنى والصفات العلى وفي الوقوع في المحظور؛ كالكذب وهذا ينافي كمال التوحيد.

وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، -قال عمران: لا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا- يعني قرنين أو ثلاثًا)) فيه دليل على أن أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم القرون الأولى الثلاثة، القرن الذي بُعِثَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء أفضل أمة محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم أصحابه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم فضل الصحبة التي ليست لأحد غيرهم؛ بل هي خاصة بهم والصحبة من أفضل المناقب، ومن أفضل ما يتشرف به من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وأخذ عنه، ولو في وقت قصير؛ فهو صحابي، فهذا القرن أفضل القرون وخيرها، واختُلِفَ في القرن ما حده؛ فقيل إنه مائة سنة، القرن مائة سنة، وقيل أنه الجيل الذي عرف بداية نشأته وانتهاء نشأته، ثم الذين يلونهم؛ لأنهم أخَّذوا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العلم، والصحابة عدول كلهم لا يكذبون، فمن أخذ عنهم العلم مشافهة؛ فقد أخذ الحق من أهله والعلم الصحيح، وهم أهل اللغة وهم أهل الشرع فاستحقوا أن يوصفوا بأنهم خير القرون أيضًا، ولما كان الكذب في التابعين وأتباعهم قليل جاؤوا في الدرجة الثالثة في الخيرية وهم على جانب كبير من الخير؛ لأنهم بدأوا التدوين، تدوين السنة والسعي في جمعها؛

فجمعها الجمع الغفير منهم حتى حُفِظَتْ في دواوين الإسلام كلها ولم يفت منها حديث، ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك ردوا ما كان ضعيفًا أو مكذوبًا ردوه وبينوا علة ضعفه، وعلة الرد له.

وجاءت الشهادة النبوية لهؤلاء؛ لأنهم أحق بها، والرسول عليه الصلاة والسلام أعرف بذلك؛ لأنه يقول بالوحي: ((خيركم قرني)) وفي رواية: ((القرن الذي بعثت فيهم —وهم الصحابة– ثم الذين يلونهم –وهم التابعون– ثم الذين يلونهم)) وهم أتباع التابعين، وهم القرون المفضلة.

وإيراد الحديث هنا من أجل الفقرات الأخيرة: ((ثم يجيء قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون)) وهذا يتفق مع الباب كثرة الحلف؛ لأن الشهادة يمين، فكونهم يأتون بالشهادة ولم يطلبها أحد منهم دليل على أنهم لا يحفظون أيمانهم وشهاداتهم، وفاعل ذلك يقع في المحظور، وهذه الجملة ظاهرها التعارض مع: ((خير الناس الذي يأتي بالشهادة ولم يطلبها و إن لم تطلب منه)) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، والجمع بين هذا وبين الأول: أنَّ مدح من يأتي بالشهادة إذا لم يسألها مدحه يُحمل على أن المشهود له لا علم له بهذه الشهادة؛ فهو يأتي بها ليحق حقًا ويبطل باطلاً؛ فهذا خير الشهود، خير الشهود من يأت بشهادة لم يُسألها، يحمل على أي شيء؟ على أن المشهود له لا علم له أن عند فلان شهادة تثبت له حقًا أو تنفي عنه باطلاً؛ فهذا خير الشهود ولا يدخل في الجملة التي معنا في هذا الحديث: ((يشهدون ولا يستشهدون))؛ لأن هذا لمراد ذمهم وأنهم يستعجلون ولا يحفظون الأيمان، والشهادة يمين من الأيمان.

((ويخونون ولا يؤتمنون)) هذه من صفات الذم؛ لأن الخيانة من الفساد في الأرض، خيانة فيما يتعلق بحقوق الله –تبارك وتعالى– أو فيما يتعلق بحقوق الخلق على اختلاف طبقاتهم قربًا وبعدًا، فالخيانة في حق الله؛ ترك الواجبات أو التقصير فيها خيانة، وارتكاب المحرمات خيانة أيضًا، ومخالفة السر للعلانية من الخيانة، والخيانة فيما يتعلق بحق الخلق تكون في المال كالسرقة أو النهب أو الاختلاس أو الغش في البيع والشراء وسائر المعاملات، إذا لم تكن موزونة بميزان الشرع فهي خيانة، والناس يتفاوتون في الخيانة بين مستقل ومستكثر، والجزاء عند الله من جنس العمل، وخيانة في العرض سواءً فيما يتعلق بالكلام السيئ في

عرض المسلم، وهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أربى الربا ((وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم)) خيانة بالكلام في عرضه بما هو مذموم ولا يحب أن يسمعه؛ كما في الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه و سلم لما سُئِلَ عن الغيبة قال أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: ((هي ذكرك أخاك بما يكره)) بحيث لو سمعه لكرهه، أو خيانة في عرضه في الفساد بالزنا أو الغزل ونحو ذلك في نسائه، هذه من الخيانات التي ذمها الله – عزَّ وجل– ونهى عنها بصريح القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: 27]، وتخونوا أماناتكم: عامة في كل خيانة بالنسبة لحق الله أو بالنسبة لحق الخلق من قريب وبعيد، وهكذا الخيانة في الدماء لا يجوز لأحد، أن يعتدي على أحد لا جادًا ولا هازلاً.

والأمانة عكسها: أداء حقوق الله أمانة؛ كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: 58] الأمانة حق من حقوق الله وهي التكاليف الشرعية كلها ظاهرها وباطنها فرائضها ونوافلها كل ذلك من الأمانات، وفيها الواجب والمفروض وفيها المحرم والمتروك وفيها المندوب، المهم التكاليف أمانة لدى الإنسان، منها ما يؤديها على سبيل الوجوب، ومنها ما يؤديها على سبيل التطوع وطلب الأجر.

ومن صفات الذم لهذا النوع: الذين ينذرون ولا يوفون، ينذرون نذرًا ويلزمون به أنفسهم، وغالبًا ما يكون ما في النذر المعلق الذي قال فيه النبي صلى الله عليه و سلم: ((إن النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل))؛ يعني: البخيل بالطاعة والمال حتى يأتي عليه ضيق أو كربة؛ ثم ينذر لله عليه لكذا وكذا إن تحققت له نعمة أو زالت عنه نقمة، فربما يتحقق له الطلب ولا يوفي من النذر فيكون مذمومًا بذلك؛ ينذرون ولا يوفون، وقد مدح الله أهل الوفاء بالنذر حتى ولو كان النذر المكروه؛ وجب عليه الوفاء به؛ فقال —عز وجل–: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: 7]؛ لأن الوفاء بالنذر من المال أو العبادة لا سيما الشاقة تدل على خوف في قلب صاحب النذر الذي وفى به، خاف من الله؛ فوفى ما ألزم به نفسه.

((ويظهر فيهم السِمَنْ)): ويظهر فيهم السمن بسبب الدعة إلي الراحة، الدعة إلي الراحة والسكون سبب في السمن، أما إتعاب النفس في الصلاة والصوم والعبادات وطلب العلم والأسفار في تحصيله؛ فلا يحصل مع ذلك سمن. نعم.

المتن:

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)).

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

الشرح:

يعني في فعل السلف دليل على حسن التربية والاهتمام بها بالأولاد ولو كانوا في حال الصغر، يهتمون بتربيتهم على الصدق ويحذرونهم من ضده. والله أعلم.

المتن:

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم

وقول الله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} [النحل: 91]

وعن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرًا على جيشٍ أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: ((اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال -، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم؛ ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم؛ ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها؛ فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم؛ فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنْزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا)) رواه مسلم.

الشرح:

المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب التوحيد هي: أنَّ تعظيم الله -تبارك وتعالى- وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم من كمال التوحيد وكمال الإيمان هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى عدم تعظيم الله وتعظيم رسوله عليه الصلاة والسلام بما يجب لهما إما ينافي أصل

الإيمان والتوحيد، وإما تنافي كماله بحسب ما يقوم بقلب الإنسان، والمراد بخفر الذمة، خفر ذمة الله وذمة رسوله التي لا يجوز خفر ذمة الله ولا ذمة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ المراد بها: نقض العهود وعدم الوفاء بالعقود، فمن وفى بالعهود والعقود مع الناس؛ فقد وفى بما يجب لله -عزَّ وجل- من التعظيم ولرسوله صلى الله عليه وسلم كذلك من التعظيم، ومن لم يوفي بأن نقض العهد أو فجر في يمينه؛ فإنه أتى بما ينافي إما أصل التوحيد وإما كمال التوحيد بحسب ما يقوم بقلبه وما يصدر منه من عمل بجوارحه .

والحديث، والباب من أوله إلى آخره رسم خطة عسكرية إسلامية إذا طبقها ولاة أمور المسلمين في معاملتهم للآخرين؛ نجحوا نجاحًا عظيمًا في نجاح الدعوة إلى الله -عز وجل- والجهاد في سبيل الله. أقرأ.

المتن:

قال: وقول الله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} [النحل: 91]

الشرح:

الآية صريحة في وجوب الوفاء بالعهد مع كل من أعطيته العهد سواء من المسلمين في التعامل أو سواء مع المشركين على اختلاف مللهم، من أعطيته العهد وعقدت معه عقدًا؛ فإنه يجب الوفاء به ولو كان من أهل عبادة الأوثان أو اليهود أو النصارى أو غيرهم من أهل الملل، ولا تنقضوا العهد إلا أن يأتي النقض من قِبَلِهم أو تخاف منهم خيانة، فإذا خفت منهم خيانة؛ فترد إليهم عهدهم وتعلن ذلك حتى يكونوا على بيِّنة فلا تكون قد نقضت شيئًا من العهد بدون مسوغ. نعم.

المتن:

وعن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: ((اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من

المشركين؛ فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال –، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم؛ ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين)).

الشرح:

أولاً: إن عقد الألوية للجهاد لا يعقدها إلا الوالي المسلم العام صاحب الولاية العامة أو من ينيبه، ولا يعقدها أطراف الناس الذين ليس لهم ولاية ولا إنابة من الوالي، والألوية معروفة أمور جرت عليها الدولة الإسلامية في عقد اللواء حمله، يحمله أحد المجاهدين الراية هذه من سنن الجهاد، ومن العلامات التي تميز الجيش الإسلامي عن غيره، وكذلك من واجبات الإمام أو نائبه أو أمير الجيش أن يوصي القادة، قادة الجيش وروَّاد الجهاد بتقوى الله –تبارك وتعالى– فيما بينه وبين الله؛ يعني في القيام بالحقوق التي بينه وبين الله وفي القيام بالحقوق التي للرعية عليهم للجيش، فإذا اتقى الله –عز وجل–؛ فقد برئت ذمته سواء نجح في مراده ومقصوده أو لم ينجح؛ ثم هذه الوصايا يجب أن تطبق في الجيش الإسلامي،

أولاً: الغزو بسم الله، في وجوب الإخلاص في هذه العبادة العظيمة، يجب أن يكون المجاهد سواءً كان أميرًا في الجيش أو كان قائدًا أو كان جنديًا في الجيش، يجب عليه أن يخلص في العبادات كلها، وبالأخص أيضًا يخلص في الجهاد الذي هو من الفرائض ومن أشرف العبادات وللشهداء من الأجر ما جاء وصفه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ثم يتجنب ما نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه من قتل الأولاد؛ لأنهم ليسوا من المقاتلين وقتل النساء؛ لأنهن ليس من المقاتلات، إلا من اشترك في القتال وأراد أن يفتك بالمسلمين فإنه يقتل؛ لأنه صائل ومحارب سواء امرأة أو شيخ كبير أو مراهق يقتل لقطع أذيته للمسلمين ولجيش المسلمين، أما بدون فلا، لا يقتل الولد الذي دون البلوغ، ولا تقتل المرأة، ولا يقتل الشيخ الفاني كبير السن، ولا يقتل العابد في صومعته وإن كانت عبادته باطلة، ولكنه فرغ نفسه لهذه ولم يشتغل بحرب المسلمين ولم يشترك فيه؛ هؤلاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلهم؛ لأنهم ليسوا من أهل الحرب إلا من اشترك مع أعداء الله وحارب المسلمين وأراد أن يصيبهم بأذى؛ فإنه يُقتل استثناءً من هذه الوصايا التي خص بها النبي صلى الله عليه وسلم الجيش. نعم.

المتن:

((إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال))

الشرح:

وهذه من أهم الوصايا؛ لأنها دليل على أنَّ المجاهدين لم يكن همهم غنيمة أو همهم انتقام أو تشفي من الغير وإنما الذي يهم المجاهدين أن يدخل الناس في الإسلام وأن ينصرف الأعداء عن الصد عن سبيل الله؛ فجاء الترتيب قبل استعمال السلاح والقوة أن يبدأ أمير الجيش والقائد أن يبدأ بدعوة المشركين إلى هذه الخصال، وأولاها: أن يدعهم إلى الإسلام يشرح لهم محاسن الإسلام ويُبيِّن لهم فضله وأن فيه الحياة الطيبة المباركة، فإن استجابوا للإسلام فذاك هو المطلوب، دعاهم إلى أن يكونوا مع المهاجرين وهذا قبل الفتح قبل عام الفتح، أما بعد عام الفتح فأصبحت الأرض كلها دار إسلام. نعم.

المتن:

قال: ((فان أجابوك فاقبل منهم ثم ادعم إلي التحول ..))

الشرح:

نعم إن استجابوا ودخلوا في الإسلام وشهدوا شهادة الحق فاقبل منهم، على الأمير أن يقبل منهم ويفرح ويفرحوا.